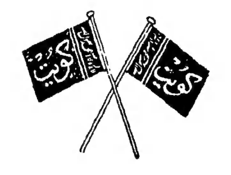


تاريخ الكويت السياسي

عصر الشيخ مبارك

من ٢٥ ذي القعدة عام ١٣١٣هـ ١٧ مايس ١٨٩٦م
الى ٢١ محرم ١٣٣٤ هـ ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٥ م

تأليف
حسين خلف الشيخ خزعل

الجزء الثاني

مقدمة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب المؤرخون فنزفوا الأقلام واستنزفوا المحابر . ومعظم من كتب في التاريخ يرى الحقائق التاريخية الحاصل عليها أما عن طريق الروايات المكتوبة وأما عن طريق الروايات المسموعة من شهود العيان وأما عن مشاهداتهم هم أنفسهم . ولكنهم مع ذلك كانوا يميلون أما الى ذات اليمين وأما الى ذات الشمال تحت وطأة المؤثرات الداخلية أو الخارجية أو الذاتية أو النفسية وللوراثة والبيئة والزمان أحكام في توجيه المؤرخ والأخذ بكظم نفسه وهيهات له الأخذ بكظم نفسه والعدول بها إلى طريق الحقائق المجردة التي لا يمكن للزمن جحودها وان جحدها فلن يستطيع أن يخفيها لأن الحقيقة تبقى حقيقة وإن تراكم عليها الصدأ أو غمرتها هبوات الأباطيل ورانت عليها دياجي الأغراض والميول والإتجاهات . لذلك فهي تظل مشعة نيرة ينبعث بريقها من خلال الحوادث ومن سطور التاريخ ومن وراء تضارب أقوال المؤرخين والمؤلفين والرواة . ومن غير السهل ان تبتهم سبل انبعاثها بما

يعترضها من عقبات في مسيرها نحو الظهور والبروز .

على هذا فليس التاريخ في الأعم الغالب هو ما نقرأه في هذه الأوراق المدونة التي ندعوها بكتب التاريخ . هذه الكتب المتداولة التي جرى بها التيار إلى غير ما يريد من كتبها أنفسهم . ولكنهم أرادوا أن يكتبوا فكتبوا أو أريد منهم أن يكتبوا فكتبوا مدفوعين إلى غير ما يعتقدون .

وكتب بعضهم وهو يعلم انه يتجافى عن الحقائق لخضوعه لمؤثرات لا مندوحة له عنها أمالرغبة أو لرهبة أو لأمل او لاشفاق اوالتوجس او أو لمداجات ومداهنة .

وكتب آخرون ولا بد لهم أن يقولوا كلمة الحق وقد حيل بينهم وبينها — ففضلوا بأن لا يتركوا الميسور بالمعسور معتمدين على إرتكاب أهون الشرين فترك التدوين شر إذ بتركه يضيع التاريخ . وان التدوين شر إذ به تتشوه الحقائق ولكن التدوين على كل حال أهون الشرين لان فيه تتغلغل الحقائق في طيات الحروف ففضلوا أن يدونوا ما ينطوي في بعضه بعض ما ينفع في التاريخ . تاركين للحوادث والوقائع ماجريات الأحوال أن تقول كلمتها المهموسة أو المغلفة سواء منها ما هو ظاهر أو ما يحاك من وراء الستار مما لم يتح لاسرارها أن ينكشف عنها الغطاء ليظهر عليها النور فيجلوها وضاءة للناظرين .

بهذه العوامل وبحكم هذه المؤثرات ذهب من التاريخ ما ذهب وانطمس منه ما انطمس وتشوه ما تشوه .

ومن أجل ذلك كانت دراسة التاريخ من الدراسات المستعصية فاحتاجت دراسته الى الاختصاص . ومن ثم كانت مهمة المؤرخ المتجرد لمحض التاريخ الشجاع القلب القوي النفس السامي الروح .. مهمة صعبة أشد ما تكون من الصعوبــة .

أما قراءة التاريخ فأمر ميسور ولا يحتاج إلى كبير عناء والواقف على ما يقرأ بدون تدبر لمنطوياته إنما يقرأ للامتاع والسلية لا للعلم والمعرفة .

إني لست ببدع من المؤرخين ولا أدعي العصمة من الزلل ولكني أقول بأنني وإن كنت سلكت فيما سلكوا وقفوت أثرهم فيما اعتمدوا فاعتمدت فيما كتبت في (تاريخ الكويت السياسي) على شهود العيان والرواة الذين ينقلون عن أهل الخبرة والدراية والاطلاع وعمن واكب الحوادث وعاش فيها. وقد اصطدمت كثيراً بمن لم يسوغ لنفسه الافضاء بما عنده لعوامل هو أدرى بها مني بالنسبة اليه فكنت أبذل الجهد في الاستدراج وأعمل شتى الوسائل في استخلاص الحوادث واستخراجها من مكامنها وكثيراً ما كنت أخفق في المسعى ولا أعود بطائل.

ومع كل ما اعترضني من عقبات وزحمني من المثبطات فقد عملت على أن لا أرجع صفر اليدين فركبت متن الدأب غير آل جهداً حتى تمكنت في تذليل كثير من الصعاب. فرها الهائج وسجا الصاخب واسلس الجامح فتمكنت من الحصول على معلومات أكاد أجزم بصحتها وأسوغ لنفسي الاصرار على انها عذارى ابكار لم تفترع قبل افتراعي اياها ولم تدون قبل تدويني لها فأفادت كثيراً في كتابة هذا التاريخ وكونت جانباً هاماً منه.

وفي هذا الجزء من (تاريخ الكويت السياسي) فذلكة هامة من تاريخ الكويت أو بالأحرى من تاريخ (العرب) في القرن الرابع عشر هجري (القرن العشرين ميلادي) أميط عنها اللثام لأول مرة كانت عرضة لضياع الكثير من حوادثها وفقدان صفحات منها بيد الحدثان بيد أن محاسن الاتفاق أوصلتني إلى التمكن منها — والفوز بالحصول عليها من أركازها وخزائنها فأبرزتها مجلوة بشكلها الذي يرى في تضاعيف هذا الكتاب. وهي حوادث جسام ذات صلة وثقى بالحوادث الثورية والانتفاضات الوطنية والوثبات القومية التي سبقتها والتي عاصرتها والتي جاءت من بعدها.

ان فترة عصر الشيخ مبارك الصباح متعددة الجوانب متشابكة الحلقات متداخلة الفروع متشعبة الجذور تتلابس بكثير من الأقطار وتتمازج مع شتى الأمصار (العربية) بحيث يتعسر فرزها وتميز شؤونها وتأطـير كل

منها باطارها الخاص وهذا هو ما يجعل الصعوبة تستحوذ على من يروم فهم أحوالها وملابساتها ودوافعها وتتبع جذورها بدون أن يأخذ نفسه بالصبر في التمحيص والتعمق في الدراسة للكثير من القضايا التي تبدو لأول وهلة في أفق الغرابة والنشاز او في دارة البعد عن فلك الموضوع الذي يجري في جداول سلاسل التاريخ ولكن لا بد مما ليس منه بد لاستكناه ما يتطلبه البحث التاريخي في مختلف الوجوه.

وإذا انعمنا النظر أيضاً في تاريخ عصر (الشيخ مبارك) ومنحناه العناية وقصرنا بعض اهتمامنا لاستقراء ما جرى فيه من الحوادث والوقائع نجده حافلاً مليئاً بحوادث ووقائع ذات أهمية بالغة في تاريخ البلاد العربية كافة لاتصال وشائجها بكل ما حصل في ذلك العصر للتاريخ العربي وإلى ما اشتملت عليه من أسرار وحقائق جليلة تفيد في فلسفة التاريخ في ذلك العصر وتبرز تلك الأسرار والحقائق واضحة جلية عند الاستقصاء: ومن الأمثلة على أهميتها ذلك التنافس المرير بين الدول الكبرى الثلاث البريطانية، والروسية، والالمانية، في التسابق وإصطناع العلل لزحزحة السيطرة العثمانية والاستئثار بالنفوذ على الخليج العربي لجعله خارجاً عن سلطان الدولة العثمانية وبالتالي تابعاً لسلطان احدى هذه الدول ثم عمل كل دولة من هذه الدول لسد الطريق على سواها وللفوز بالغنيمة لنفسها.

لا جرم ان الحوادث التي وقعت في عصر (الشيخ مبارك) والحوادث التي وقعت قبيل عصره قد واكبت نهضة العرب وتمشت معها جنباً الى جنب من لدن بدأت تزول السنة عن ما قيهم فأخذوا يؤلفون الجمعيات ويعقدون المؤتمرات ويصدرون النشرات ويشيرون الى احقيتهم بالخلافة الاسلامية محاولين العمل الى استرجاعها وساعين للحصول على استقلالهم وهم يومئذ فريقان فريق ينادي بالقومية العربية والوحدة العربية وتقوية أواصرها والمطالبة باعادة الخلافة الى العرب وهم أهل المشرق. وفريق ينادي – بالوحدة الاسلامية وطلب استعطاف الدولة العثمانية لشد أزرهم

ولم يلوحوا أو يتعرضوا لذكر الخلافة ولا لاحقية العرب بها وإن كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم ان الخلافة يجب أن تكون عربية وان الخليفة من قريش وهم أهل المغرب .

ولقد عمل الفريقان من أجل تلك المقاصد والمطالب اعمالاً متواصلة وقدموا من أجلها الضحايا والقرابين . كل ذلك كان يجري على مقتض الزمن الذي هم فيه ومتطلبات حياتهم وشكل البلية التي يعانون منها في ذلك العصر ومبلغهم من التفكير وتركيز آمالهم وأمانيهم بعد أن قضى على عهود استقلالهم ومجدهم زمن طويل كبلوا من جرائه قروناً بقيود الا نحطاط والاستسلام ومع كل ما بذله العرب من الجهود وما قدموه من الضحايا فان أعمالهم لم تأتهم في ذلك الحين بما كانوا يصبون اليه فذهبت ضياعاً أو كادت . بيد أن ذلك لم يعقد بهم عما رسموه لانفسهم من الخطط ولم يطفيء جذوة العزيمة المتأججة في نفوسهم وأرواحهم فظلوا مثابرين بالرغم من كل ما منوا به من عنت وإرهاق وتضحيات لم ينقطعوا من المسيرة نحو التقدم والاستقلال مجتازين كل ما كان يعترض سبيلهم من المشاكل والمحن والموانع يستمرئون الشجا مستمدين العون والقوة من جذور تاريخهم القوي الحافل بالتضحيات والبطولات ومن مجدهم التليد .

ونحن لا نغالي إذا قلنا ان تلك الفترة التي عاشها الشيخ مبارك كانت هي الفاصلة في سير النهضة العربية بعد تبعثر العرب وفقدانهم استقلالهم في شتى اقطارهم وان كانت تختلف إختلافاً جوهرياً بأشواطها عن الأشواط الاولى التي تقدمت عليها ببعض الفترات من حيث الصلابة والضعف والاستبسال والعمل الصارخ المبين والنضج السياسي لدى القائمين بتلك الشؤون إلى نقصان الوعي العام بدرجات من التفاوت بين أقطار البلاد العربيـــة .

وبالرغم من كل ذلك يحق لنا القول بدون مواربة أو تمحل أو حمل على التأويل بل بكل صراحة وتأكيد ان الفترة التي هي عصر (الشيخ مبارك) كانت

من أخطر الفترات التي مرت بالأمة العربية وأعمقها أثراً .

إلا انها مع شدة الأسف قد أغفل أمرها ولم يعن بها المؤرخون ولا مدونو الوقائع فلم يكتب عنها كما ينبغي ان يكتب عن أمثالها على الوجه الصحيح الكامل الذي لا بتر فيه ولا تشويه ولا تبديل ولا تحوير وقد بقيت معظم صفحاتها مطوية أو مجهولة لدى الأكثرية الكاثرة من الكتاب والمؤرخين ولم تدرس وقائعها حتى ولا من الطبقة المتنورة التي ربما تيسر لها الحصول على شيء من تلك الصفحات أما لزهد منها نشأ عن عدم اعتبارهم اياها ما يؤبه له في حلقات الجهاد أو حلقات التاريخ . او لغفلة رانت على تفكيرهم أو لعوامل أخرى صدتهم عن التبحر فيما تضمنته من حوادث ذات صلة قريبة أو بعيدة عن ماجريات الأمة العربية في جميع الأقطار

أما أنا فقد قدر لي أن أحصل على طائفة من الوثائق النادرة التي تختص بتاريخ الكويت في تلك الفترة كما تيسر لي الوقوف على بعض المعلومات من حوادث ومناقشات ومراسلات ومماحكات فدونت ما استطعت تدوينه ولم أكتم أية حقيقة من الحقائق دون خوف أو وجل ولم أغير او أبدل او ازوق او انمق بل سردت كل ذلك على علاته بخطئه وصوابه بركته وقوته بضره وبنفعه لا يهمني أأغضبت جهة ما أو أرضيت جهة أو سخط جانب أو سر جانب فان الامانة هي التي قصدت أن تكون شعاري وهجيراي في تأليفي هذا . وأملي أن يكون كتابي مهيئاً للوصول لمن يروم درس تاريخ الكويت في هذه الحقبة ومغاصاً لمن يبتغي الغوص في لجحه أو يكون مناراً لمن يريد البحث فيه . وأرجو أن يوفق غيري إلى الارتفاع عن النقص وأن يعيد النظر فيما منعت ويطرد من حيث أفضيت . ومن الله سبحانه أطلب العون والتوفيق .

٢٢ تموز عام ١٩٦٢ — حسين خلف

عاليه في ٢١ صفر ١٣٨٢ — الشيخ خزعل

الشيخ مبارك الصباح

تولى إمارة الكويت

من ٢٥ ذي القعدة عام ١٣١٣ هـ ١٧ مايس ١٨٩٦ م
الى ٢١ محرم ١٣٣٤ هـ ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٥ م

نشأته

هو الولد الثالث للشيخ صباح ولد عام ١٢٦٦ هـ ١٨٤٤ م في الكويت ولما بلغ الخامسة من عمره أحتضنه جده الشيخ جابر وأخذ يعني بتربيته فجاء له بمعلم من علماء الدين عكف على تعليمه وتهذيبه على الطريقة التعليمية المتبعة في ذلك الحين فعلمه ما تيسر من القرآن المجيد وأدبه ببعض آداب الدين .

ولما بلغ الثانية عشرة من عمره أخذ يتدرب على الرمي والفروسية وفي الرابعة عشرة كان قد انهى دروسه في الفروسية وغيرها وجعل يتمرن في مجالس الحكم ويقضي بين الناس فأظهر ميلاً شديداً إلى العدل .

ومن المعلوم أن الاحكام كانت في الكويت كما في غيرها من الامارات العربية فاذا حكم أحد أفراد العائلة المالكة بين الناس فإن حكمه يكون نافذاً الا في الأمور الجنائية والحقوقية الكبرى فالحكم فيها يصدر من قبل الأمير (أي الشيخ الكبير)

وعلى هذا فقد كان مجلس الشيخ مبارك في أواخر عهد جده وطيلة أيام والده وأخيه الشيخ عبدالله مجلساً للاحكام غاصاً بأصحاب الدعاوي وكانت احكامه مدعاة لسرور المتخاصمين.

اوصافه

كان الشيخ مبارك طويل القامة رقيق الجسم أسمر اللون مفتول الساعدين أسود الشعر ذو عينين دعجاوين جذابتين ينبعث منهما بريق الذكاء والدهاء قصير اللحية خفيفها وعلى جبهته أثر ضربة سيف زادته هيبة.

خلائقه

كان ذكياً شديد الإحساس ذا همة عالية وعزم متين كثير التفكير قليل الحديث دائم الاصغاء حتى إذا ما انتهى محدثه من حديثه أجابه بما ينبيء عن تبصر ورزانة، قوى الحافظة فاذا رأى إنساناً مرة واحدة لا ينساه مهما تقادم الزمن وبعد به العهد.

وكان جلداً عنيداً وله مطامع لا حد لها فما حدثته نفسه بشيء إلا وأقدم عليه قبل فوات الفرصة مشغوفاً بالشهرة وهو أقرب الى الحلم منه الى الغضب.

وكان شجاعاً جريئاً وقد ظهرت عليه هذه المزية في احدى الحروب التي أعان بها الفيلق الهمايوني السادس عندما طلب من الكويت الاشتراك مع جيوش الدولة العثمانية في تأديب بعض القبائل العراقية الجنوبية.

ومن شجاعته أيضاً انه كان مرة مع قسم من حرسه سائراً في برية نجد لاستطلاع أثر العدو وإذا بالعدو قد أحاط به بجيش جرار على حين غرة فذعر من كان معه وولوا الأدبار فبقي هو بمفرده بين الأعداء يدافع عن نفسه حتى فاز بالنجاة وقد أصيب بضربة سيف على جبينه وما برح في تلك البراري تائهاً لمدة ثلاثة أيام يتعيش على لبن الأبل إلى أن وصل الى

الكويت فساق جيشاً جراراً ونكل بأعدائه أشد تنكيل وكان لهذه الوقعة أثر كبير في نفوس العرب فأخذوا يتحدثون بها برهة من الوقت .

نبوغه في السياسة

وأما نبوغه في السياسة فهو أهم بكثير من شجاعته وأعظم منها وندر بين الناس من ينبغ بالشجاعة والسياسة في وقت واحد فإذا كان الشجاع بحاجة إلى قلب جريء ويد قوية للبطش بالأعداء لينال الفوز و النصر ، فإن السياسي بحاجة إلى نباهة خارقة وذكاء مفرط وفكر متوقد وعلم واسع في أحوال الأمم لدفع الضرر والحصول على الظفر بعقله وحنكته .

وعلى كل فاننا نجده قد أظهر في ميداني الشجاعة والسياسة تفوقاً خارقاً .

ميوله

كان الشيخ مبارك ميالاً للوحدة العربية ومن السابقين للمناداة بها وكثيراً ما كان يكرر قوله (نحن عرب ويجب أن نبقى عرباً وأن نعمل ما في وسعنا للإحتفاظ بعروبتنا ونقاوم كل باغ عليها) .

وكان طموحاً لنشر سلطانه ومد سيطرته على البلاد المجاورة ولكن الظروف كانت تحول دائماً دون نيل بغيته .

ومع كل هذا فلم يكن منقطعاً عن الأنس والطرب فكان اذا انهى عمله في النهار انصرف الى من كان في قصوره المطلة على البحر من القيان المصريات منهن والسوريات والأجناس الأخرى ليقض بعض لياليه على انه لم يكن متساهلاً باشاعة ذلك وإباحته في ربوع الكويت فما كان يتوقف عن انزال أشد العقاب بالمقترفين للاثام فكثيراً ما أقام الحد على شاربي الخمور وراكبي الفجور والمتجاهرين بالمعاصي والفساد طبقاً لاحكام الشرع الاسلامي الحنيف .

الشيخ مبارك ويوسف الابراهيم

بعد أن تسلم الشيخ مبارك زمام السلطة في الكويت لم يبق ما يشغل باله إلاّ إلقاء القبض على يوسف الابراهيم لان نقمته عليه لم تكن تقل عن نقمته على أخويه (الشيخين محمد وجراح) ولو كان يوسف الابراهيم في تلك الليلة في الكويت لبدأ بقتله ثم اثنى لقتل أخويه بيد انه لم يكن موجوداً .

ولم يكن يوسف الابراهيم يجهل ذلك ولكن شاءت الأقدار أن يكون يوسف في ليلة الحادثة خارج الكويت في قصر له بالصبيّة أو لعله كان على علم بما نواه الشيخ مبارك لأخويه فابتعد عن الخطر .

وعلى كلٍ فان ابتعاد يوسف الابراهيم عن قبضة الشيخ مبارك وصعوبة استقدامه من مأمنه بالارهاب والقوة قد أقلق راحة الشيخ مبارك وزاد في هواجسه ففضل استمالته باللين والمصانعة . فبعث اليه رسلاً يطلبون منه العودة إلى الكويت ويضمنون له الامن على نفسه وعلى ماله وحفظ منزلته على ما كانت عليه في عهد الشيخ محمد الصباح ولكن يوسف الابراهيم لم ينخدع بهذه الوعود ولم يخف عليه ما كان يبيته له الشيخ مبارك من وراء هذه الأماني والمواعيد وعلم جيداً انه اذا وطئت قدماه مدينة الكويت فمصيره القتل حتماً .

تظاهر لهم بقبول رسالتهم ووعدهم بأنه سيقدم إلى الكويت بأسرع ما يمكن وطلب اليهم إبلاغ تحياته الخالصة إلى الشيخ مبارك وانه سيكون عند حسن ظنه طاعة وأمانة كما كان لاخويه من قبل فيما إذا شمله برعايته وعطفه وقد تظاهر بهذا القول لكي لا يساء به الظن فيعاجل بالقتل قبل أن يتمكن من الفرار .

فما كادت رسل الشيخ مبارك تغادره حتى أسرع الى ركوب السفن الشراعية التي كانت راسية في الصبيّه واتجه إلى البصرة ونزل في أملاكه الواسعة الواقعة في (الدورة) متحصناً فيها ومبتعداً عن متناول يد غريمه .

مغادرة اولاد الشيخين محمد وجراح الكويت

لقد حاول الشيخ مبارك في باديء الأمر أن يبذل جهده في رعاية أولاد أخيه والعطف عليهم ويخفف عنهم سورة الحزن والألم بعد مقتل أبويهم فطفق يقابلهم بالمودة واللطف والإكرام ولكنهم مع كل ذلك لم يطيقوا البقاء في الكويت لا سيما بعد ذهاب يوسف الابراهيم إلى البصرة وكانوا يظنون انه سيحقق لهم الفوز والتغلب على عمهم الشيخ مبارك للقرابة التي تربطهم به (١)

فتركوا الكويت إلى البصرة سراً ورافقهم بسفرهم هذا كل من السيد عبدالوهاب الطباطبائي والشيخ محمد بن رابح فاجتمعوا بيوسف الابراهيم وكان يوسف الابراهيم قد استطاع ان يحكم علاقاته بمسلم البصرة (حمدي باشا) :

ومن هنا بدأ الخلاف الخطير بين يوسف الابراهيم والشيخ مبارك .

---

(١) اولاد الشيخ محمد وجراح امهاتهم بنتا الشيخ علي الصباح وزوجة الشيخ علي هي بنت عيسى ابن ابراهيم عمة يوسف الابراهيم .

شكاية الى حمدي باشا

متسلم البصرة

بعد أن استقر المقام بأولاد الشيخين محمد وجراح بالبصرة رفعوا شكاية مسهبة إلى حمدي باشا متسلم البصرة بتحريض من يوسف الابراهيم ومن ضمن ما جاء فيها (ان الشيخ مبارك قد اغتصب إمارة الكويت بعد أن قتل شيخيها الذين كانا يحكمان الكويت بموجب (فرمان همايوني) وان قصده من ذلك العمل هو خلع السيادة العثمانية عن الكويت وتسليمها إلى دولة أجنبية).

فأصغى حمدي باشا إلى هذه الشكاية ولاقت هوى في نفسه فأوعز سراً إلى الشيخ عبدالله الابراهيم الراشد (شيخ الزبير) بالذهاب إلى الكويت لاستحصال شهادة من أهالي الكويت تتضمن (ان الشيخ مبارك هو الذي قتل أخويه الشيخين محمد وجراح) ليكتب بذلك إلى اسطنبول يشرح لها عصيان الشيخ مبارك وتمرده على الدولة العثمانية ويطلب منها الاذن له بسوق فرقة من الجيش إلى الكويت لارغام الشيخ مبارك على التخلي عن الكويت وإنزاله عن كرسي الامارة ولكنه لم يوفق لذلك.

ثم ان الشيخ مبارك بسهره على مصالحه وتحوطه وتحفظه اهتدى بواسطة بعض أصدقائه الذين في البصرة إلى ما نواه له حمدي باشا من الشر فاتجهت أنظاره لعرض هذا الأمر على رجب باشا مشير بغداد ليكف اذى حمدي باشا عنه.

رفع الشيخ مبارك قضيته الى مشير بغداد

تيقن الشيخ مبارك ان انحياز متسلم البصرة الى جانب أولاد أخويه ويوسف الابراهيم واستماعه لشكواهم وفتحه المخابرة مع ولاة الأمور في اسطنبول مباشرة هذا ما لا يرتضيه المشير لنفسه وهو المرجع الأعلى

في العراق قبل كل أحد لا سيما وان المشير (رجب باشا) كانت تربطه بالشيخ مبارك روابط صداقة قديمة منشأها إنضمام الشيخ مبارك بقوات الكويت إلى جيوش المشير في تأديب القبائل العراقية الجنوبية عندما قامت بالعصيان على الدولة العثمانية

فاهتبل الشيخ مبارك هذه الفرصة وكتب إلى المشير (رجب باشا) كتاباً وأرسله اليه مع أحد خواصه كما أرسل كتباً أخرى إلى بعض أصدقائه في بغداد ليستميلوا المشير لسماع قضيته.

وفعلاً فقد تم للشيخ مبارك ما آراد إذ وقف المشير تجاه قضيته موقف المتطوع في الدفاع عنه.

فكتب إلى المابين والي الباب العالي يقلل من أهمية موضوع الشيخ مبارك مع أخويه ومما جاء في ذلك «أن الحادثة التي جرت بين الشيخ مبارك الصباح وبين أخويه من الحوادث المألوفة والتي ما زالت تقع بين الأعراب وانها من الأمور العامة ومن الجدير بالدولة العلية أن لا تعير هذه المسألة الاهمية والانتباه الزائد لان تدخلها في مثل هذه الأمور البسيطة قد يهدم أمانيها التي شيدتها لنشر نفوذها على الامارات العربية في الخليج. أو ربما يدعو بعض الدول الاجنبية للتدخل في الأمر فيحدث من جراء ذلك ما لم يكن في الحساب».

فاصغت دار الخلافة الى مقترحات المشير وأحلت رأيه محل القبول والاستحسان واصدرت أمرها إلى حمدي باشا (متسلم البصرة) بالكف عما عزم عليه وترك الأمور وشأنها في الوقت الحاضر.

اولاد الشيخين محمد وجراح ويوسف الابراهيم في بغداد

لم يخف على أولاد الشيخين محمد وجراح ويوسف الابراهيم تبادل المخابرات بين الشيخ مبارك ورجب باشا مشير بغداد ولكنهم لم يهتدوا

إلى مضمون تلك المخابرات بصورة مضبوطة فقرروا الذهاب إلى بغداد ليعرضوا قضيتهم بأنفسهم على المشير فحلوا ضيوفاً على الشيخ محمد العسافي وقابلوا المشير مرات عديدة وبحثوا معه قضيتهم فلم يخبرهم بسابق معرفته بهذا الأمر . صار يماطلهم بالمواعيد وبقوا على هذه الحالة زهاء ستة أشهر إلى أن شعروا أخيراً بتثاقل من قبل المشير في مقابلتهم فعادوا إلى البصرة بعد أن استيئسوا من حصول الغاية المتوخاة .

مطالبة اولاد الشيخين محمد وجراح

ويوسف الابراهيم باموالهم التي في الكويت

لما عاد أولاد الشيخين محمد وجراح ويوسف الابراهيم إلى البصرة من بغداد قدموا عريضة إلى حمدي باشا (متسلم البصرة) يطلبون فيها إعادة أموالهم التي استولى عليها الشيخ مبارك في الكويت وأبرزوا اليه مستندات كان بعضها يتضمن إعترافاً من الشيخ مبارك بتلك الأموال .

فكتب حمدي باشا إلى الشيخ مبارك يطلب منه إعادة الأموال المطالب بها اليهم طبقاً لتلك المستندات . فأجابه الشيخ مبارك بأن المستندات المقدمة اليه هي مستندات غير حقيقية وانها مزورة من قبل يوسف الابراهيم وانه بالرغم من ذلك فلا ينكر وجود أموال للمستدعين في الكويت ولكنها شيء قليل جداً لا يكاد يستحق الذكر وقدم بذلك قائمة إلى حمدى باشا واشترط في تسليم محتويات القائمة إستحصال صك من أولا أخويه باسقاط كل مالهم من الادعاء في الكويت .

فعرض حمدي باشا كتاب الشيخ مبارك على أولا أخويه فأبوا اعطائه ذلك الصك فكتب اليه يخبره بامتناعهم القطعي عن عدم قبولهم لتلك التسوية .

اولاد الشيخين محمد وجراح

والقنصل البريطاني في البصرة

عندئذ التجأ أولاد أخوي الشيخ مبارك (بتحريض من يوسف الابراهيم) إلى القنصل البريطاني في البصرة بتقديم عريضة مفصلة في قضيتهم مع عمهم وطلبوا منه إبداء المساعدة البريطانية(وانهم على استعداد لتنفيذ جميع المطالب التي تريدها بريطانيا من الكويت عندما تعود اليهم الأمارة وإبعاد الشيخ مبارك عنها) فوعدهم القنصل المذكور بالمساعدة وسعى في ذلك سعياً حثيثاً فكتب إلى السفير البريطاني في اسطنبول يطلب منه مراجعة الدولة العثمانية للنظر في قضية أولاد الشيخين محمد وجراح وانصافهم من عمهم الشيخ مبارك وبين له أيضاً (أن وجود الشيخ مبارك الصباح على كرسي الحكم في الكويت قد لا يضمن المصالح البريطانية في الخليج بالوقت الحاضر .)

الشيخ مبارك والمقيم السياسي

البريطاني في بوشهر

لما علم الشيخ مبارك بما قام به القنصل البريطاني في البصرة خشي أن تأخذ هذه القضية دوراً سياسياً دولياً مهماً قد لا يمكن تلافيه فيما بعد.

فذهب بنفسه إلى مقابلة المقيم السياسي البريطاني في بوشهر (الكولونيل مالكولم جودميد) وتفاوض معه حول هذه المسألة (ولم يكن رجال السياسة البريطانيين في الخليج العربي في ذلك الحين ينتظرون من أحد أن يتقدم اليهم بمثل هذه المطالب بل انهم كانوا على أهبة وإستعداد لقبول هذه المفاوضة ولو باشارة بسيطة) فتلقى المقيم السياسي البريطاني في الخليج من الشيخ مبارك هذا الطلب بكل سرور وقبل المفاوضة وأكد له بأن الحكومة البريطانية لا تعترف في أي وقت من الأوقات بالسيادة العثمانية التامة على الأمارات العربية في الخليج ووعده بالمساعدة الفعلية وأظهر له إستعداد حكومته

لاعلان حمايتها على الكويت عندما تقتضي الحاجة .

متجاهلاً تماماً كل ما كان من أمر زميله (القنصل البريطاني في البصرة) وكتب الى نائب الملك في الهند مبيناً له ضرورة مساعدة الحكومة البريطانية الى الكويت حفظاً للتوازن السياسي في الخليج فأبلغت حكومة الهند رجال الدولة العثمانية في اسطنبول استعدادها لمساعدة الشيخ مبارك والدفاع عنه.

محاولات لاعادة يوسف الابراهيم الى الكويت

لقد أمن الشيخ مبارك الصباح جانب الحكومة البريطانية وعلم انها بعد هذا سوف لا تعير يوسف الابراهيم أذناً صاغية . ولم يبق أمامه إلا ما كان يخشاه من تحريض يوسف الابراهيم لرجال الدولة العثمانية ضده فأراد أن يقوم باشغاله عن ذلك أيضاً ويوصد أمامه جميع الأبواب ويضطره لمصافاته والعودة إلى الكويت .

فقدم مضبطة إلى الحكومة العثمانية في البصرة ورفقها بشكاية يتهم بها يوسف الابراهيم بقتل الشيخين محمد وجراح وقد شهد بتلك المضبطة جميع الكويتيين ولم يتوقف عن الشهادة إلا القليل ، منهم الشيخ محمد الفارسي والسيد سلمان السيد علي وعبدالله الرشيد وجبر آل غانم .

وقد ظن الشيخ مبارك أن هذه المضبطة تكفي لتفسد الأمر على يوسف الأبراهيم وتدعوه للخلود والسكينة فيكف عن عدائه ومكائده ويطلب العودة إلى الكويت ثم أوعز إلى بعض أكابر الكويت أن يكتبوا إلى يوسف الابراهيم ليتجنب الكيد للكويت فكتبوا اليه بذلك فأجابهم يوسف الابراهيم (بأنه لم يكد للكويت ولم يرد بأهلها سوءً وانه حريص جداً على تجنب ما يقلق راحتهم .)

فتوسم الشيخ مبارك من تلك الرسائل أن يوسف الابراهيم قد ندم على ما صدر منه فأرسل وفداً برئاسة أخيه الشيخ حمود الصباح إلى الدورة حيث

كان يقيم يوسف الابراهيم ليطلبوا منه الصلح ويقنعوه بالعودة إلى الكويت .

فسار الوفد وإجتمع بيوسف الابراهيم وتداولوا معه الحديث وحسنوا له الصلح مع الشيخ مبارك ورغبوه بالعودة إلى الكويت فسايرهم يوسف الابراهيم في الكلام وقابلهم في باديء الأمر بالسكينة والهدوء وعندما ألحوا عليه بالعودة واصروا على ذلك أحضر اليهم صورة المضبطة التي اتهمه بها الشيخ مبارك بأنه القاتل للشيخين محمد وجراح ثم أخذ يعاتبهم بقوله (أتريدونني بعد هذا أن أصدق ما يقوله الشيخ مبارك وأعود معكم إلى الكويت وأنتم تشهدون عليّ زوراً وبهتاناً وتتهمونني بقتل الشيخ محمد وجراح وهل بعد كل هذا تطلبون إلى أن أثق بصاحبكم بعد أن ألصق بي تلك التهمة وكلكم تعلمون أني بريء منها) . فلم يجد الوفد بعد هذا ما يرد به على يوسف الابراهيم فسكتوا . ثم عادوا إلى الكويت وأخبروا الشيخ مبارك بما دار بينهم وبين يوسف الابراهيم من الحديث فيئس الشيخ مبارك من عودة يوسف الابراهيم إلى الكويت فكتب إلى عبدالعزيز الابراهيم في بومبي مع عبدالعزيز الصميط يرجوه فيه أن يكف يوسف الابراهيم عن عدائه ومناوءته في الحين الذي لا يضمر هو اليه غير الود والحب .

فأجابه عبدالعزيز الابراهيم بكتاب يظهر فيه أسفه الشديد لعدم إمكانه التدخل في شؤون يوسف الابراهيم الخاصة وليس له من القوة ما تمكنه من فرض الأمر عليه .

طلب الشيخ مبارك وساطة

الشيخ مزعل امير المحمرة

بعد أن أخفقت كل المحاولات التي بذلها الشيخ مبارك لاستمالة يوسف الابراهيم وترضيته إلتمس من الشيخ مزعل الحاج جابر المرداو أن يتوسط بينهم في حسم هذا النزاع وقد بذل الشيخ مزعل جهوداً كبيرة لتقارب

وجهات النظر ورفع الخلاف فأبدى كل من الخصمين شروطاً للصلح وكان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة عام ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م وقد تقرر أن يتم الإجتماع بين الشيخ مبارك ويوسف الابراهيم بحضور الشيخ مزعل في قصره الواقع في (الفيلية) بعد انقضاء العشرة الأولى من شهر المحرم عام ١٣١٥ هـ ١٩٨٧ م ولكن الاقدار أبت ذلك حيث عاجلة المنية الشيخ مزعل مأغتيل في الليلة الثانية من شهر المحرم من ذلك العام وبمقتله انقطع كل أمل في الصلح ولم يبق أي رجاء لحسم ذلك النزاع الطويل .

تهيء يوسف الابراهيم لغزو الكويت

لما يأس يوسف الابراهيم من الصلح سافر من الدورة إلى الهنديان وبندر معشور (في عربستان) بتاريخ ٣ محرم ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م ولبث هناك مدة يجند الرجال ويبذل في ذلك الأموال ولم يشأ أن تتوجه إليه الأنظار في عمله هذا الخطير فقام بابراق البرقيات التي تنبيء بأنه قد سافر إلى الهند وتتالت تلك البرقيات بأنه سيواصل سفره إلى بورسعيد ومنها إلى مرسيليا ثم جاءت الأنباء مؤكدة لما أشيع عن سفره فصدقها الناس .

وبتاريخ ١٢ محرم ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م أقلع من الهنديان بأربعة عشر سفينة شراعية ملأى بالرجال المدججين بالسلاح يبلغ عددهم سبعمائة شخص عدى ما سواهم من الرجال غير المسلحين وكان برفقته أيضاً أولاد الشيخين محمد وجراح قاصدين مهاجمة الكويت .

وقبـــل خروجهم إلى البحر أبصروا بسفينـــة كويتية قاصدة الكويت فألقوا القبض على من كان فيها واستولوا على أموالها وأطلقوا سراح ربانها المسمى (علي أبوكحيل) مع سفينته بعد أن أخذوا عليه العهود والمواثيق بأن لا يعود إلى الكويت ولا يفشي خبرهم إلى أحد . ولكن أبوكحيل قصد الكويت مسرعاً فوجدها غافلة عما أعد لها من الخطر فأوقف الشيخ مبارك على خبر تلك الحملة فجهز الشيخ مبارك سفناً عديدة وملأها بالرجال المسلحين

واتخذ أشد الأحتياطات وأراد أن يكون هو بنفسه القائد لذلك الجيش فصده الكويتيون عن ذلك خوفاً عليه من الخطر ولحسن حظ الكويت ان الهواء كان معاكساً لسير أسطول يوسف فاضطر إلى التأخير لمدة ثلاثة أيام.

وفي صبيحة يوم ١٥ محرم من العام المذكور ظهرت طلائع ذلك الأسطول على الكويت عندمـــا اقترب من المحل المسمى (بيدالكار) ظهر له إستعداد الكويتيين بتجهيزاتهم وصمودهم لمقابلته فتيقن لديهم ان أمرهم قد انكشف عندئذ تشاور يوسف الابراهيم مع أولاد الشيخين محمد وجراح فكان رأي الشيخ عذبي (أن يهجموا على الكويت مهما كلف الأمر لأن أغلبيةالكويتيين هواهم معهم) ولكن يوسف الابراهيم أبى ذلك الرأي بعد أن تحقق لديه ان اشتباكهم مع الكويتيين بالقتال سيكون نصيبه الفشل والاندحار فقال للشيخ عذبي (إني لا أطمئن لما تقوله من مناصرة الكويتيين لنا وإننا مع كل ذلك لم نقصد أهل الكويت بل مرادنا ثلاثة لا غيرهم) ويعني بالثلاثة الشيخ مبارك وولديه جابر وسالم ثم أوعز يوسف إلى ذلك الأسطول بالانسحاب وكان مع يوسف الابراهيم في تلك السفن كثير من أهالي الكويت منهم حسن بن عيسى القناعي والحاج أحمد الغانم والحاج خليفة مسلم.

وكان يراقب أسطول يوسف الابراهيم طراد بريطاني فتوقف في جزيرة عوهة شمالي فيلكا ينتظر فوز يوسف الابراهيم فلما عادت سفن يوسف الابراهيم فاشلة من مهمتها بقي ذلك الطراد لا يحرك ساكناً وصادف في ذلك اليوم أن قدمت إلى ميناء الكويت سفينة عثمانية من قطر فظنها ذلك الطراد انها آتية لأمر ذي بال فلحق بها إلى الميناء ليكشف سبب قدومها فتحقق لديه انها لم تقدم لمهمة رسمية معينة.

ولما أبصر ربان ذلك الطراد السفن الكويتية المتجمهرة في (بيدالكار) قدم إحتجاجاً إلى الشيخ مبارك عن سبب تجهيز تلك السفن بالرجال والسلاح فأجابه الشيخ مبارك بأن تلك السفن التي شاهدها إنما هي سفن تجارية تعود لأهل الكويت ولمصالحهم التجارية وليس له علاقة شخصية بها. وقد حاول

بعض بحارة ذلك الطراد النزول إلى مدينة الكويت فمنعهم ابراهيم (أفندي) مامور الحجر الصحي المعين من قبل الدولة العثمانية فلم ينزل منهم أحد وعاد ذلك الطراد من حيث أتى .

وساطة محسن باشا بين الشيخ مبارك
وبين اولاد اخويه

لما تولى محسن باشاشوّون ولاية البصرة أظهر رغبة شديدة في رفع الخلاف بين الشيخ مبارك وبين أولاد أخويه فكتب إلى الشيخ مبارك يرجوه بأن يعيد جميع أموالهم اليهم فلما وقف الشيخ مبارك على مضمون ذلك الكتاب كتب إلى محسن باشا يخبره باستعداده لاداء جميع ما يدعي به أولاد أخويه من الأموال في الكويت إكراماً لوساطته (وإن كان لا حق لهم بكثير مما يدعون) على شرط أن يستحصل منهم صكاً بإسقاط جميع حقوقهم فاستحسن محسن باشا هذا الاقتراح وأخبر به أولاد الشيخين محمد وجراح ورجا منهم قبول ما اقترحه عمهم فامتنعوا عن إعطاء مثل ذلك الصك . فكتب محسن باشا إلى الشيخ مبارك يعلمه برفض أولاد أخويه قبول ذالك العرض وعدم استعدادهم لمصافاته .

توسط المعتمد السياسي
البريطاني في الخليج

وبعد هذا قدم اولاد الشيخين محمد وجراح بالاشتراك مع يوسف الابراهيم عريضة الى المعتمد السياسي البريطاني في الخليج يطلبون منه التوسط لاسترجاع اموالهم التي استولى عليها الشيخ مبارك بالقوة وابرزوا اليه وثائق متعددة تؤيد ملكيتهم لتلك الأموال المدعى بها . فكتب المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الى الشيخ مبارك يرجو منه النظر في ادعاء القوم واسترجاع

اموالهم اليهم .

فأجابه الشيخ مبارك بكتاب يقول فيه ان (المستدعين ليس لهم اية املاك في الكويت وان ما قدم اليه من المستندات ما هي الا اوراق مزورة زورها لهم يوسف الابراهيم) وارسل اليه صوراً من كتب حمدي باشا ومحسن باشا ولاة البصرة المتضمنات رفض اولاد اخويه للصلح الذي عرضه عليهم ،كما ارسل اليه صورة من كتاب محمد انيس باشا متسلم البصرة المتضمن توجيه الاتهام ليوسف الابراهيم بالمشاغبة .

استنصار امير قطر

بعد ان فشلت جميع تلك المحاولات التي بذلها يوسف الابراهيم واولاد الشيخين محمد وجراح ذهب يوسف الابراهيم والشيخ خالد بن الشيخ محمد الصباح بتاريخ ٢٩ محرم ١٣١٥ ه ١٨٩٧ م الى قطر للاستنجاد بالشيخ قاسم بن ثاني امير قطر لعلمهما بما بينه وبين الشيخ مبارك من العداء لان الشيخ قاسم كان يعتقد بان الشيخ مبارك قد ساعد الدولة العثمانية عندما أرادت الهجوم على قطر كما انـــه ايضاً كـــان قد ارسل كتاباً الى الامير محمد الرشيد يبشره فيه بما وقع على الشيخ قاسم لما قامت الحكومة البريطانية بضرب مدينة الزبارة واحرقت سفن أهلها .

فلاقا قدومهما إلى قطر هوى في نفس الشيخ قاسم فخف لنصرتهما وأخذ يعد العدة للقيام بحملة بحرية قوية ليقضي بها على نفوذ الشيخ مبارك في الكويت .

فلما علم الشيخ مبارك بما بيته له الشيخ قاسم بن ثاني كتب إلى صديقه سعيد باشا متصرف الاحساء (وأرسل له بعض الهدايا تقوية لروابط الصداقة) وشرح له نوايا الشيخ قاسم بن ثاني من وراء الهجوم على الكويت .

فلما وقف سعيد باشا على كتاب الشيخ مبارك أرسل في الحال كتاباً رسمياً إلى متسلم البصرة (محسن باشا) يكشف له نوايا الشيخ قاسم بن ثاني من إثارة الفتنة وإحداث القلاقل والعبث بالأمن المستتب وانه يقصد الاعتداء

على الشيخ مبارك الخاضع المطيع للدولة .

وقد أصغى والي البصرة لما قاله سعيد باشا فسير قوة عسكرية في الباخرة (زحاف) وأرسل مع تلك القوة السيد رجب النقيب ومحمد علي مدير الأملاك السنية مع بعض الأشخاص الآخرين للذهاب إلى قطر لتسكين ثائرة الشيخ قاسم ونصحه بالعدول عما عزم عليه من الهجوم على الكويت . فذهب ذلك الوفد إلى قطر وفاوض الشيخ قاسم في تلك المهمة فنجحت وأخمدت الفتنة وعاد الوفد إلى البصرة بسلام .

كيد يوسف الابراهيم
لسعيد باشا

لما تحقق ليوسف الابراهيم بأن سعيد باشا هو المسبب لفشل تلك الحملة التي أعدها الشيخ قاسم بن ثاني عزم على الايقاع والتنكيل به انتقاماً منه لما قام به من مساعدة غريمه الشيخ مبارك . فأحضر اليه رجلاً من أهالي الجنوب يقال له (عبدالرحمن بن سلامة) وأعطاه أربعين بندقية وخمسين كيساً من الارز ومقداراً من النقود وطلب اليه أن يثير قبيلة العجمان وبني هاجر ضد متصرف الاحساء (سعيد باشا) فثارت القبيلتان على سعيد باشا .

عندئذ قام يوسف الابراهيم بتنظيم مضبطتين ووقعهما من قبل رؤساء جميع القبائل المحيطة بالاحساء يشكون فيهما جور المتصرف ويعزون أسباب تلك الثورة إلى تعسف متصرفهم وظلمه وأرسل أحدهما إلى مشير بغداد وأرسل الأخرى إلى متسلم البصرة (محمد أنيس باشا) غير أن الشيخ مبارك استطاع بيقظته أن يقبض على تلك المضبطتين قبل وصولهما إلى المحل المرسلتين اليه ووقف على سرهما وفي الحال كتب إلى سعيد باشا يكشف له عن مكائد يوسف الابراهيم وعدائه وأرسل اليه أصل المضبطتين المذكورتين . فأرسل سعيد باشا كتاباً ودياً إلى الشيخ مبارك يشكره فيه ويثني على همته ويقظته وكان ذلك في أواخر شهر صفر عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م .

كيد بكيد

وفي ٢٣ ربيع الأول عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م هجم سعيد السهدي مع جملة من قبيلة الظفير على قافلة كانت قادمة من الاحساء بقيادة عبدالرحمن بن دهش فنهبوا جميع ما كان فيها من الأموال وهي تسعة من الابل وجملة من العبي ومقداراً من النقود تقدر بنحو ١٢٠٠ ريال في موضع يبعد عن الكويت مسيرة ثلاثة أيام وكانت تلك الأموال تعود لبعض تجار البصرة وبغداد. فأظهر الشيخ مبارك إهتماماً زائداً لهذه الحادثة فكتب لمتسلم البصرة (محمدأنيس باشا) وأبرق برقية إلى مشير بغداد يخبرهما بوجود حركات سلب ونهب في البادية وفي طريق القوافل ويوعز أسباب ذلك إلى يوسف الابراهيم ويطلب منهما التعجيل بالضرب على يد هذا العابث ومنعه من القيام بأمثال هذه الأعمال المشينة. فاهتمت الدولة العثمانية لهذا الأمر اشد الاهتمام وأخذت تجري التحقيق فيه وكتب متسلم البصرة محمد أنيس باشا كتاباً إلى الشيخ مبارك يخبره فيه بأن الدولة العثمانية قد أصدرت أمرها بالقاء القبض على يوسف الابراهيم لاجراء التحقيق معه ولانزال العقوبة اللازمة بحقه ثم اصدرت حكماً غيابياً بحقه واعتبرته من المشاغبين.

وكان يوسف الابراهيم يومئذ قد ترك قطر وقدم إلى الدورة في البصرة ومنها سافر إلى أطراف السماوة لاثارة القبائل النجدية (القادمة الى تلك النواحي للاكتيال) ضد الكويت والحاق أذاهم بالشيخ مبارك فلما بلغه ما دبرته الدولة العثمانية من اصدار مذكرة القاء القبض عليه عاد من السماوة بزورق صغير (مشحوف) متخفياً. فكتب الشيخ مبارك إلى الشيخ خزعل في المحمرة يطلب منه مراقبة حركات يوسف الابراهيم وأرفق بكتابه الملحق الآتي:

«أخي متعنا الله بحياتك

اطلعنا على البوصلة الوكيل جانا منه خط معناه حقوق الشقي وحقوق أولاد محمد. ودينا لهجواب وبيناله حركات الشقي وأفعاله وارسلنا كتاب انيس باشا المحكوم به عليه ودعوى العيال وأرسلنا له صورة خط حمدي باشا

والقمندان محسن باشا مشترك ذاكرين لنا امتناعهم عن اتباع الحق. والشقي عجز عن الحركات بقى بالتزوير وبسلامتك هم يعجز إنشاء الله.

وثم بلغنا محب الجميع محسن باشا صارت ماموريته في كركوك لا بد عندكم معلوم في ذلك وبلغنا أن جماعة اهل البصرة صائر عندهم هذه الأيام مجاذب ومسلحين اوادمهم بالاسلحة الله يصلح الأحوال.

أخي

الشقي يوسف الابراهيم تحقق انه رجع من السماوة في مشحوف ووصل إلى الدورة وهذا الشقي ما يقعد راحة أرجوكم ان تجعلون النظر عليه»

سفر يوسف الأبراهيم

الى بومبى

لقد ضاقت بيوسف الابراهيم السبل بعد عودته من السماوة وخشي أن يلقى عليه القبض ويساق إلى المحاكم الجزائية فقرر السفر إلى بومبي ليأمن على نفسه ويكيد إلى الشيخ مبارك من هناك. وفي أثناء مكوثه في بومبي ورد كتاب من تحسين باشا (باشكاتب المابين) إلى الأمير محمد الرشيد في حائل يطلب منه التوسط لاجراء الصلح بين الشيخ مبارك وبين يوسف الابراهيم.

غير أن هذا الخبر تسرب إلى يوسف الابراهيم بعكس الحقيقة فقد ابلغ اليه ان الدولة العثمانية قد أمرت الأمير محمد الرشيد ان يستعد بجيوشه لموازته والبطش بالشيخ مبارك والقضاء عليه.

فلم يتورع عند سماعه هذا الخبر فطار فرحاً وأسرع بالرجوع من بومبي إلى البصرة بأول باخرة تجارية فوصلها متخفياً ثم ذهب تواً إلى الزبير ومنها سافر ليلاً الى حائل وهو متنكر بزي أحد البدو ولم يكن معه إلا أربعة

من خدمه وفي أثناء سيره كان يرعى الأبل لكي يخفي شخصيته تماماً لئلا يشعر به الشيخ مبارك ويتعرض له بسوء.

يوسف الابراهيم في حائل

لم يكن يوسف الابراهيم يجهل ما كان يدور في خلد الأمير محمد الرشيد من خشية توسع نفوذ الشيخ مبارك الصباح وبسط سيطرته على أكثر بقاع الجزيرة العربية. وعلى هذا فقد كتب اليه عندما كان في قطر يغريه بغزو الكويت من البر عندما يقوم الشيخ قاسم بغزوها من البحر.

فكتب اليه الأمير محمد بن رشيد يوعده بذلك ولما صدت الدولة العثمانية الشيخ قاسم بن ثاني عما عزم عليه من غزو الكويت توقف الأمير محمد الرشيد عن القيام بأية حركة عدائية ضد الكويت.

وعندما سافر يوسف الابراهيم إلى بومبي وورد اليه خبر إيعاز الدولة العثمانية إلى الأمير محمد الرشيد لمناصرته تحقق لديه ان الظروف التي كان ينتظرها قد حانت ولم يبق بعد ذلك الأمر ما يحول دون التنفيذ فأسرع بالسفر إلى حائل كما أوضحنا آنفاً.

ولما وصل إلى حائل وأوقفه الأمير محمد الرشيد على نص كتاب المابين وتحقق لديه أن الأمر على عكس ما كان يظن إمتنع عن قبول مصافاة الشيخ مبارك وعدم فتح باب التفاوض للصلح معه مهما كان السبب وبقي في حائل يترقب التطورات السياسية.

أما الشيخ مبارك لما علم بوجود يوسف الابراهيم في حائل أوجس خيفة من محمد الرشيد وفي أثناء ذلك صادف أن بعضاً من تجار حائل خرجوا من الكويت ومعهم أموال تجارية فقتلوا قريباً منها فاتهم الأمير محمد الرشيد الشيخ مبارك بأنه هو الموعز بقتلهم وعبثاً حاول الشيخ مبارك رد هذه التهمة عن نفسه وتقديم إعتذاره إلى الامير محمد الرشيد بعدم وجود علم له ولا

اطلاع فلم يطمئن الامير محمد الرشيد لذلك العذر ولم يصدقه وأخذ يوسف الابراهيم يحثه ويثيره على محاربة الشيخ مبارك ويحسن له انتزاع الكويت من يده .

ولو لم تعاجل المنية الأمير محمد الرشيد إذ توفي في شهر رجب عام ١٣١٥ ﻫ الموافق ١٨٩٧ م، لما سلم الشيخ مبارك من تلك الدسيسة ولا نجرت الكويت إلى مشكلة وخيمة وعسيرة جداً .

الشيخ مبارك والامير عبد العزيز

ابن متعب الرشيد

لما دنت المنية من الأمير محمد بن عبدالله الرشيد كان من ضمن وصيته إلى خلفه (إبن أخيه عبدالعزيز بن متعب الرشيد) أن ينظر بعين التيقظ والحذر إلى تصرفات الشيخ مبارك الصباح وان لا يتوقف عن مقاومته بكل ما أتيه من حيلة وقوة.

ولم يكن الامير عبدالعزيز الرشيد بحاجة إلى من يوصيه بمثل هذه الوصية لانه كان على علم تام بما تنطوي عليه سريرة الشيخ مبارك الصباح من المطامع والآمال العظام وبما هو عليه من الحزم والعزم ويعلم أيضاً انه لو ترك وشأنه لما توقف عن بسط نفوذه على معظم أقطار الجزيرة العربية.

فلما تولى شؤون الحكم في امارة حائل جعل هذا الامر نصب عينه واتخذه من أهم الأمور وصار يترقب الظروف المناسبة للقضاء على الشيخ مبارك.

أما الشيخ مبارك الصباح فلم يبد ارتياحاً لانتقال امارة حائل الى الامير عبدالعزيز الرشيد ولم يسره ذلك لعلمه بما كان يجول في خاطره من النوايا السيئة نحوه فصار يراقب حركاته وسكناته عن كثب ويتربص بهالفرص لقطع شأفته.

لقد حصر الشيخ مبارك الصباح في باديء الأمر اهتمامه برسم الخطط السياسية للتفريق بين الأمر عبدالعزيز الرشيد وبين يوسف الابراهيم لاعتقاده بأن يوسف الابراهيم عدو لدود ماهر قوي شديد الخطر لا يدع لخصمه وقتاً ليفرغ فيه لسواه فتبادلت الرسائل بينه وبين الأمير عبدالعزيز الرشيد يتضمن بعضها (النصح اليه بالابتعاد عن يوسف الابراهيم وعدم السماع لمشورته تلك المشورة التي لا طائل تحتها غير إثارة الضغائن وإحياء الفتن وتحكيم العداء بين القطرين) ولكن هذه المحاولات لم تجد نفعاً ولم تخفف قليلاً أو كثيراً مما كان يثيره يوسف الابراهيم في حث الأمير عبدالعزيز الرشيد لعداء الشيخ مبارك وتحفيزه لحربه وعلى هذا تأزم الوضع وتوترت العلاقات بين الطرفين وتيقن الشيخ مبارك الصباح ان الفصل في هذه الأمور سيؤول حتماً إلى تحكيم السيف دون سواه .

موقعة الرخيمة

ثم أخذت قبائل شمر تغير على أطراف الكويت وتحاول الاستيلاء على القوافل الخارجة منها والاعتداء على الاعراب القاطنة في تلك الأطراف

فضاق الشيخ مبارك ذرعاً من هذه الأعمال فسير بتاريخ ٢٧ جمادي الآخرة عام ١٣١٨ هـ ١٩٠١ م جيشاً من الكويت بقيادة أخيه الشيخ حمود الصباح وولده الشيخ سالم المبارك وأمرهم بالهجوم على احدى قبائل شمر التابعة للامير عبد العزيز الرشيد والتي كانت يومئذ في المحل المسمى (الرخيمة) .

فهجمت تلك الجيوش عليهم واستولوا على الكثير من أموالهم والألوف من ابلهم وأغنامهم .

فكتب الشيخ مبارك الصباح كتاباً إلى الشيخ خزعل يخبره بتفصيل هذه الحادثة بموجب الملحق الآتي :

ملحق

«أخي أدام الله وجودكم بالعز والاقبال الدائم .

لا يخفى مقامكم تبين لنا من ابن الرشيد التظاهرات والتجاسر من اتباعه ومن أمره . ونحن ما حببنا هذه المعاملات تجري منه وكل ذلك من غروره وجهله وزيادة ظلمه واعتسافه الذي هو على غير معنى حتى آل أمره إلى البيـــان .

ونحن بحمد الله وثقته الأزلية قطعياً لا له عندنا أهمية . وقد كتبنا له ــ بالارتداع والمعاملة الحسنى وأن يرجع عن هذه المعاملة التي عقباها وخيمة عليه فلم يهتدي إلى سبيل الرشاد .

فلهذا بتاريخ ٢٧ جمادي الآخر بالله استعنا وجهزنا الأخ حمود وولدكم سالم وصحبتهم من الجيش والخيل الكفاية ودبرهم الله وكانوا على عشيرة شمر الذين هم اليوم عبارة عن ثلثي قوته وركن من أركانه وأخذهم الله وأخذوهم أخذه لا تعد ولا تحصى والدائرة صارت عليهم .

ولا شك كل معتدي الله ينتقم منه وبحمد الله تعالى ان آخر أمره الى الدمار ولاجل بشارتكم وسروركم حررنا هذا والله يديمكم بالتوفيقات آمـــين

تاريخ ١٣١٨ هـ »

فأجابه الشيخ خزعل بكتاب يحذره فيه من الأمير عبدالعزيز الرشيد ويطلب منه اخذ الاستعدادات اللازمة لان خصمه لا شك سيأثر لقبيلة شمر كما أرسل اليه مدفعين من النوع الثقيل مع عدد كبير من البنادق والعتاد ليستعين بها على مقابلة الخصم .

عزم الامام عبد الرحمن السعود على استرجاع الرياض

كان الامام عبدالرحمن الفيصل السعود قبل موقعة الرخيمة قد شاور الشيخ مبارك الصباح بعزمه على الذهاب الى نجد لاسترجاع الرياض من

الأمير عبدالعزيز الرشيد فأشار عليه الشيخ مبارك بالتريث بالأمر ومراجعة والي البصرة لاستحصال كتاب منه إلى ابن الرشيد بعدم التعرض له في سفره الى الرياض فكتب الامام عبدالرحمن السعود إلى السيد رجب النقيب يرجوه فيه مراجعة والي البصرة بعزمه على السفر إلى الرياض واشعار إبن الرشيد بعدم التعرض له وهذا نص الكتاب : —

بسم الله الرحمن الرحيم

«من الامام عبدالرحمن بن فيصل السعود الى نقيب أشراف البصرة السيد رجب .

ما يخفى شريف علمكم قدم خدماتنا للدولة العلية أدامها رب البرية من وقت الآباء والأجداد وتعديات ابن الرشيد على بلداننا وعشائرنا وظلمه اياهم وليس له حق في ذلك وبمقتض تعدياته وظلمه أكثر علينا أهل نجد الالحاح أن نتوجه لأجل استنقاذهم من يده وتوجهاً لذلك .

فنرجو من تفضلاتكم تسترحمون لنا من حضرة والي البصرة أن يكتب لابن الرشيد أن لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً أن تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دمام المسلمين وهو السبب في ذلك .

ونحن خدام الدولة قديمين وعلى هذا عهد الله وميثاقه اننا لا نزال نؤدي الخدمات اللازمة لحضرة أمير المؤمنين أدام الله مجده وعزه ونحامي اتم المحامات على جميع أطراف الدولة العلية الاحساء والقطيف وعشائرها .

الكويت في ربيع الثاني ١٣١٨ هـ »

فتباطأ والي البصرة في الاجابة على مطالب الامام عبدالرحمن الفيصل السعود ولما اشتبكت جيوش الشيخ مبارك مع قبيلة شمر في معركة الرخيمة رجا الشيخ مبارك من الامام عبدالرحمن الفيصل العدول عن الذهاب إلى الرياض في الوقت الحاضر لانه عازم قريباً على المسير للقضاء على نفوذ ابن الرشيد في كافة نواحي نجد .

استنجاد سعدون باشا

بالشيخ مبارك

ثم أخذ الشيخ مبارك يحشد الجيوش في الجهرة استعداداً لمقاتلة الامير عبدالعزيز الرشيد وفي أثناء ذلك قدمت من نجد أحدى القوافل العائدة لقبيلة شمر في طريقها للاكتيال من السماوة فحاول الشيخ مبارك الصباح الاستيلاء عليها ولكنها فلتت من يده ولم يتمكن من اللحاق بها .

وكانت قد وردت في ذلك الحين أسلحة كثيرة إلى ابن الرشيد من الدولة العثمانية فاشتد بها عزمه فسار بجيش جرار للهجوم على قوات الشيخ مبارك .

وكان الجيش الذي أرسله الشيخ مبارك بقيادة الشيخين حمود وسالم لما يزل بعد مرابطاً على الحدود النجدية الكويتية فأبصر ليلاً نيران جيوش الأمير عبد العزيز الرشيد فعاجلوا مقدمته قبل أن يتم استعداداتها وأنزلوا بها خسائر فادحة وذلك بتاريخ ٢ رجب عام ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م .

فعدل الأمير عبدالعزيز الرشيد عن مهاجمة الكويت وسار بجيوشه نحو سعدون باشا ليأثر منه عما سبق له من الغارات على قبيلة شمر في موقعة تل اللحم وغيرها .

فهجم على قبائل المنتفك والظفير فأثخن فيهم واستولى على كثير من أموالهم .

فكتب سعدون باشا الى الشيخ مبارك يستنجده على الأمير عبدالعزيز الرشيد وكان الشيخ مبارك مقيماً يومئذ في الجهرة على رأس جيش كبير ينتظر عودة الأمير عبدالعزيز الرشيد من غزو المنتفق لينكل به ولما ورده كتاب سعدون باشا أوعز إلى الجيش الذي بقيادة الشيخ حمود والشيخ سالم بالمسير إلى السماوة على طريق جريشان وسار هو بجيش آخر على طريق الزبير وكان يصحبه في حملته هذه الامير عبدالعزيز السعود وذلك بتاريخ ١٠ رجب

١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م بعد أن ترك في الجهرة والصبيحية تسعة آلاف فارس ومقدار ثلاثين ألف راجـل ليراقبوا عودة الأمير عبدالعزيز الرشيد كيلا يفلت من يده .

ولما وصل الشيخ مبارك بجيشه إلى الحميسية قدم لمقابلته متصرف لواء الناصرية بتاريخ ١٨ رجب عام ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م وهو يحمل اليه برقيتين احداهما من مشير بغداد والاخرى من محسن باشا والي البصرة يطلبان منه الكف عن قتال الأمير عبدالعزيز الرشيد وبلّغة رغبة محسن باشا بمقابلته في الزبير .

فأجابهما الشيخ مبارك برقياً على قبول رجائها وعاد مع متصرف الناصرية إلى الزبير لمقابلة محسن باشا (والي البصرة) بعد أن أوعز الى الجيش الذي معه بالالتحاق بجيش الشيخين حمود وسالم ورجا من الأمير عبدالعزيز السعود مرافقتهم بعد أن أسر اليهم أن يقتفوا أثر الأمير عبدالعزيز الرشيد ويراقبوه فساروا بحسب وصيته فلما وصلوا السماوة وجدوا ابن الرشيد قد ارتحل عنها منذ يومين بعد أن ترك الكثير من أثقاله فيها فساروا في أثره فلحقوا به بعد مسيرة أربعة أيام في محل يدعى (عين ضمد) فاشتبكوا مع مؤخرته بمعركة صغيرة استولوا على قليل من أمواله فذهب هو إلى نجد وعادت الجيوش الكويتية إلى محلهـا .

الشيخ مبارك الصباح
ومحسن باشا والي البصره

وفي ٢٣ رجب عام ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م وصل الشيخ مبارك الصباح الى قرب الزبير ونزل في قصر النقيب بالرافضية فزاره محسن باشا هناك ورغب اليه في مرافقته إلى البصرة وفي ٢٤ رجب ١٣١٨ هـ قدم الشيخ مبارك إلى مدينة الزبير وكان في انتظاره السيد طالب باشا النقيب والحاج محمود العبد الواحد وأحمد أفندي وكثير غيرهم من أعيان البصرة فسلموا عليه ثم صعد العربية المهيئة لركوبه وكان معه الوالي محسن باشا والسيد طالب النقيب فوصل البصرة

بتاريخ ٢٤ رجب مساء السبت وحل ضيفاً على الحاج سالم البدر وفي صباح يوم الأحد الموافق ٢٥ رجب أبرق الوالي محسن باشا إلى الباب العالي ينبئهم باطاعة الشيخ مبارك لأوامرهم فأبرق الباب العالي الى الشيخ مبارك يشكره على ذلك وفي ليلة الاثنين ٢٦ رجب أقام الوالي محسن باشا مأدبة عشاء فاخرة في داره إلى الشيخ مبارك دعا اليها أشراف البلد وبعد تناول العشاء استأذن الشيخ مبارك الصباح من محسن باشا للانصراف فخرج لتوديعه إلى باب الدار وقبله في وجنتيه وشكره شكراً جزيلاً ووعده باستعداده لاجراء المساعدات التي يتطلبها .

وفي صباح يوم الاثنين الموافق ٢٦ رجب عاد الشيخ مبارك إلى الزبير ومنها سافر إلى الكويت وقد حاول في خلال مدة بقائه بالبصرة القيام بزيارة صديقه الشيخ خزعل ولكن الحجر الصحي حال دون ذلك فكتب اليه كتابين وأرفق بهما هذين الملحقين يشرح له فيهما تفصيل هذه الحادثة .

الملحق الاول

« أخي

انا شملت في جيشي ومعتمد ضرب ابن الرشيد في البادية أطراف السماوة وان كان انهزم نركب اثره على الخيل والجيش وعندما وصلنا قرب الخميسية بقينا حتى نزود الشعير للخيل وأرسلنا للخميسية كم نفر لاخذ الماء وجاءنا تيلغراف من عند مشير بغداد ويسأل من محسن باشا يسترجي رجوعي وان أواجه بأطراف الزبير وكذلك المشير أيضاً والتيولغرافات جابها لنا متصرف المنتفك ووافقنا وكتبنا جواب التيول بالسمع والطاعة والجيوش قدمنا فيها أخوك حمود وولدك سالم ومشوا على العزم السابق ونحن أظهرنا للمتصرف وغيره أن الجميع راجعين .

نحن والمتصرف راجعين على درب الزبير وحمود وسالم راجعين من فوق لأجل مراعات الأوباش وهم فاتوا قبلهم وعندما وصلوا السماوة

وإذا ابن الرشيد قبلهم من يومين منهزم ومخلي كثير من أثقاله وتبعوه في خيل كثيرة وبعد أربعة أيام لحقوه وأخذوا منه جملة من الحجلات (التي وياه) ومن أوباش عشايره وبعدها رجعوا يمشون على الهدف وحنا قد واجهنا محسن باشا بقصر النقيب بالرافضية بعده وصلنا معه البصرة ولله الحمد الأمور لنا ولك انشاء الله اليوم ودوم جميلة.

الواصل اليك مع خادمكم ناصر باز وثلاثة عبي كيلان إنشاء الله استعمال العافية والسرور وطول العمر الله تعال يديم انسنا بطولة عمرك وسرور خاطـــرك.

أخي ما دام أنت موجود حنا انشاء الله في راحة ولا عوزنا شيء الا وجودكم ودوماً خزعل ومبارك روح واحدة ويد واحدة ما دمتم ودمنا حمود وسالم عند عشائرهم بعد يومين ثلاثة نطلع لهم بس نشوف لنا انشاء الله مضرب مبارك اما في ابن الرشيد ام في عشائره.

تاريخ ١٣١٨ هـ »

الملحق الثاني

« أخي حفظك الله وأيدك لي

جنس الاثنين الذي أرسلتم عندنا منها لكن من سبب الثقل ما يصلحن أمرتم عن تعريف ميرزا حمزة لدولتكم هذا صار القرار بينا واياه ووجدناه محب لهذا البيت ومخلص.

وعندما واجهنا محسن باشا ركبنا معاه العربة للبصرة وحاضر معنا في العربة سيد طالب وصار بحث من طرف سعادتكم واني استرخصت من محسن باشا (إني ما دام قد وصلت إلى هذا المكان يلزمني أن أصل إلى أخي خزعل وأزور بيتي لأني لا أتمكن من بعده) وإستحسن ذلك لأنه شفيق على الجميع ثم فك البحث السيد طالب يقول (ان خزعل يريد أن يفزع لمبارك برجاله وماله) قتله أنا (هذا ما فيه شك حنا نفس واحدة وبيت

واحد ما هو من اليوم وكل وقت الذي ابيــه هو عندي) ومحسن باشا يسمع هذا الكلام ومستأنس وقلتله أنا (يا سيد طالب أنا في هلسفرة المباركة مقصدي انس محبنا محسن باشا وانس أخوى خزعل ان ابن الرشيد لا له شهرة عند الحكومة واسطنبول وغيرهم وحنا اجرينا الذي اجريناه على رفاقته بشهر ومن بعدها ظهرنا له بالميدان بجيوشنا بدون تكليف ومقصدنا نوصله بالسماوة ونوريه غروره ونوري الناس شهرته ورجعني محسن باشا وأنا مطيع لمحسن باشا بكل ما يأمر) وابن الرشيد معه كل استعداده وقد خلينا على الماء المسمى الجهرة والصبيحية من الخيل عدد تسعة الآف ومن النفوس قدر ثلاثين ألف هذا من عشائرنا وأهالي الكويت أهل أسفار ما ردنا أحد والموجودين بالبلد ما طلعنا منها ما راح منهم أحد لله الحمد رجالنا كثير والي ايضاً من يلحمون لنا فلهم منا الشكر .

وقع هذا ونحن ما قصرنا عن هلمغرور المجهول إبن رشيد بالملاطفة حافظين طوايفه ومكرمينهم لكن انه لئيم وجبرنا والا نحن ما نحب ذلك نحب السكون مع الناس وتأمين أبناء السبيل والا تدابير ابن الرشيد التي دبرها شافها في كل جهة قاموا عليه العشائر ويأخذون من اتباعه ولا بقي له عندهم هيبة وبعد وصلنا محسن باشا وكان ممنون من كلامنا هذا . وهذا ما لزم عرضه لأخــي .

تاريخ ١٣١٨ هـ »

معركة الصريف[1] واهم اسبابها

إن الظروف والأسباب التي أحاطت بالشيخ مبارك ودفعته إلى معركة الصريف كثيرة ومتنوعة ولعل من أهم تلك الأسباب ما يأتي :

١ ــ كان الشيخ مبارك يطمع بأن يكون هو سيد الموقف في نجد وتوابعها ويرى انه الشخص الوحيد الذي يتمكن من بث الهلع والرعب في نفوس آل الرشيد فاذا ما اشتبك معهم في معركة وتمكن من كسر شوكتهم قلل بذلك من هيبتهم وعندئذ يتوصل إلى مبتغاه .

٢ ــ ما فتيء الأمير عبدالعزيز السعود يبدى حماساً أمام الشيخ مبارك الصباح ويظهر استعداده لاستعادة أمارة نجد بعد أن اغتصبها آل الرشيد من آبائه ويطلب معاونته وكان يطلعه على الرسائل التي كانت ترده من أكابر نجد ووجهائها وعلى الأخص رسائل آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي كانوا يحثون بها الأمير عبدالعزيز على استرجاع مجد آبائه ويخبرونه بأن أهالي نجد كلهم بما فيهم أهالي القصيم تؤيد آل السعود وتتمنى اليوم الذي ينهضون فيه لاستعادة ملكهم وتخليصهم من الذل والهوان الذي لاقوه من آل الرشيد .

ولم يفت الشيخ مبارك بان امارة نجد اذا ما عادت الى أصحابها آل السعود وهم أصدقاؤه المخلصون فستحتمي الكويت وأطرافها وتنقطع عنها الغارات

(١) الصريف ماء بقرب التنومة في ناحية القصيم

التي يشنها عليها آل الرشيد .

٣ – وهناك هدف آخر إلى الشيخ مبارك لا يقل أهمية عن سالفيه وهو – احياء وإنعاش طرق تجارة الكويت وتنمية مواردها لأن الكثير منها يعتمد على بوادي نجد وكانت طريق التجارة غير متيسرة من جراء الغارات التي كانت تشنها قبائل شمر وغيرها التابعين لآل الرشيد على القوافل التي كانت تحمل أموال التجار الخارجة من الكويت .

٤ – كان الشيخ مبارك كثيراً ما يحرص على تأمين راحة الحجاج الذين يسافرون عن طريق الكويت ولم يكن طريق أولئك الحجاج خالياً من الخطر فقد كان دائماً عرضة للسلب وفي ذلك ما فيه من الدعاية السيئة والضرر على سمعته ولم يكن في وسعه يومئذ تأمين طرقهم لوجود آل الرشيد فلهذه الأسباب وغيرها اضطر الشيخ مبارك إلى القيام بتلك المعركة .

استعداد الشيخ مبارك لمعركة الصريف

لما رجع الشيخ مبـــارك من البصرة إلى الكويت إجتمع بجيوشه المرابطة في الجهرة وعزم على مهاجمة الأمير عبدالعزيز الرشيد في دياره قبل أن يأخذ العدة الكاملة والتهيوء للقتال فكتب إلى سعدون باشا السعدون يخبره بعزمه على قتال ابن الرشيد ويطلب منه الحضور اليه بمن معه بأسرع ما يمكن .

وكان الأمير عبدالعزيز الرشيد عند عودته إلى حائل أرسل أحد أقاربه المسمى (سالم بن حمود الرشيد) يطلب من سعدون باشا البقاء على الحياد إذا ما أعلن الشيخ مبارك عليه الحرب . ولكن سعدون باشا أبى ذلك الطلب وفضل القتال إلى جانب الشيخ مبارك والامام عبدالرحمن الفيصل السعود لاتفاق سابق بينهم وعهود معقودة . هذا بالاضافة إلى ما كان يكنه سعدون باشا من الحقد على الأمير عبدالعزير الرشيد بأسباب المعارك السابقة بينهم في الحميسية وتل جبارة وغيرها في عام ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ م .

فسار سعدون باشا مع أتباعه والتحق بجيوش الشيخ مبارك في الجهرة

ولما سمع الشيخ خزعل بما عزم عليه الشيخ مبارك في دخول الحرب مع إبن الرشيد أرسل اليه مدفعين رشاشين وكتب إليه كتاباً يحذره فيه من خصمه وينصحه بأخذ الاحتياطات اللازمة وأن يستعد لمقابلة العدو الاستعداد الكافي وأن يتوثق من إخلاص عشائره ويحمل معه الأسلحة الكافية والمدافع الخفيفة فأجابه الشيخ مبارك بكتاب وأردف به الملحق الآتي :

ملحق

« أدام الله وجودك

شرفت بالبوصلة فلا أخلاني الله من شفقتك الأكيدة واسأله وهو أكرم من يوسئل أن يديم لي وجود خزعل .

الاثنين المرسولات مع ما يتبعهم وصلن أوصلك الله إلى رضاه وكافة شرحكم صار معلوم لأخيك وما أشرتم اليه ذلك اصابة وهو اللازم .

واعلم يا أخي متعن الله في حياتك ان أخيك ليس غافل عن هذا الخصوص ان كان الذي أشر اليه سعادتكم الخمسة أم الستة ام كان عربانانا فأما الخمسة أم الستة نحن من مدة موصين عليهن ولكن صار تأخير لا يخفى سعادتكم ان عربانانا اليوم كما هو معلوماً أشد منا في كل ما يراد من مطاليبنا وأما يا أخي الرجل بسلامتك وبقوتك إنشاء الله معثور وبحمد الله تعالى وبكمال توفيقه لا له أهمية لله الحمد والشكر بل ان ما زال انشاء الله بالانهيار وله المشاق والعناء والردى .

ونحن بقوة الله الأزلية أمورنا على ما تحبون والأشقياء أينما يتوجهون مدمورين ومنكوبين إنشاء الله أيدكم الله تعالى بيمنه وكرمه آمين .

تاريخ ١٣١٨ هـ »

ثم أرسل الشيخ مبارك خواصه إلى القبائل الموالية له يستنهضها للاشتراك معه بالحرب فاجتمعت اليه القبائل الآتية :—

١ – قبائل المنتفق ورئيسهم سعدون باشا ومعه السعدونواولاده عجمي وثامر وحمد ومعهم خالهم ابن سبتوعبد الله بن منصور باشا السعدون وولده حمود وعطب الشريفي وهزاع بن عقاب وحيطان بن سيدان.

٢ – الامام عبدالرحمن الفيصل السعود ومعه ولده الأمير عبدالعزيز السعود أمراء نجد

٣ – آل سُلَيم ١ أمراء عنيزة

٤ – آل مهنا أمراء بريدة.

٥ – قبائل الظفير ورؤسائهم جعلان بن سويط، وهزاع بن سويط، وخالد غيلان بن شهيل ابن سويط، وحمدان بن ضويحي، ومناور بن هضبـــان.

٦ – مطير، ورئيسهم سلطان بن فيصل بن وطبان الدويش ونايف بن بصيص.

٧ – العجمان ورئيسهم أبوكلاب محمد بن حثلين.

٨ – بنو هاجر رئيسهم ابن شامي.

٩ – آل مرة رئيسهم ابن منيخر

١٠ – سبيع رئيسهم ظرمان بن ثني.

١١ – السهول رئيسهم جلعود.

١٢ – قحطان رئيسهم حشر بن وريك

١٣ – الجبلان رئيسهم جهود بن لامي

١٤ – العوازم رئيسهم مبارك بن دريع

١٥ – الرشايدة رئيسهم محمد بن قرينس

١٦ – عريبدار.

---

(١) سليم لقب يطلق على سليمان بن يحيى بن علي بن عبدالله أبن زامل فاولاد سليمان هـــم المعروفون بآل سليم رؤساء بلدة عنيزة.

١٧ ـ عتيبة رئيسهم الشيباني .
١٨ ـ الرولـــة
١٩ ـ ٧٠٠ مقاتل من نفس مدينة الكويت

مسير الشيخ مبارك لقتال الامير عبد العزيز الرشيد

فسار الشيخ مبارك يقود هذا الجيش اللهام إلى أن وصل العارض فحاصرها أيام ثم فتحها بدون قتال وأسند أدارة أمورها إلى الأمير عبد العزيز السعود واتجه قاصداً مدينة عنيزة فحاصرها ثلاثة أيام فصالحه أهلها فأمر باعتقال عامل الأمير عبدالعزيز الرشيد وأسند الأمر فيها إلى ابن زامل آل سُليم . ثم توجه إلى مدينة بريدة فضيق عليها الحصار لمدة سبعة أيام فسلمت اليه صلحاً فأسند الرئاسة فيها إلى الشيخ ناصر بن الشيخ حسن أبا الخيـــل بعد أن سجن عاملها المعين من قبل الأمير عبدالعزيز الرشيد .

فكتب محمد بن عبدالله البسام إلى الأمير عبدالعزيز الرشيد من بريدة يخبره بما جرى لان الأمير عبدالعزيز الرشيد كان قد ترك حائل ذاهباً إلى الصيد وقد جرت كل هذه الأمور دون أن يعلم بذلك ومما جاء بكتاب محمد البسام ما يأتي : ـ

« إن البلاد قد اخذت دون محاربة والذي استولى عليها الشيخ مبارك الصباح مع جيوشه الجرارة وتحصى بيارق الشيخ مبارك سبعون بيرق فانا قد أخبرناكم وأنذرناكم على ذلك فلا تلومون الا انفسكم أنقذوا بلادكم من هؤلاء القـــوم » .

أما الشيخ مبارك فترك مدينة بريدة واتجه يطلب الأمير عبدالعزيز الرشيد فوصل إلى محل قرب القرية المسماة الطرفية وهي تبعد عن بريدة بمسافة خمسة عشر ميلاً وكتب إلى ولده الشيخ جابر الذي كان قد استخلفه لادارة شؤون الكويت يبشره بالنصر الذي أحرزه ويطلب منه إمداده بالمعدات

والأسلحة وهذه صورة ما كتب .

« إلى ولدنا جابر سلمه الله تعالى

بعده قد فتحنا نجد دون قتال ورتبنا فيها من قبلنا على بلدة عنيزة عينا ابن زامل وعلى بلدة بريدة ناصر بن شيخ حسن أبا الخيل وبعد ذلك قصدنا التوجيه إلى بلدة حائل وجبل آل رشيد ولا فيها سوى حمود العبيد وهو رجل عاجز وقد أخذه الكبر وليس عنده قوة لمقاومتنا وبقوة الباري أن الله ينصرنا عليه . ونرميه في بيرعميه .

وهذا ما جرى وقد بينا لكم وارسلوا لنا أربعين بعير أسلحة مع جبخانة ولا تكونوا بادنا فكر حيث اننا انشاء الله المستقبل خير من الماضي .

تاريخ ٢٠ شعبان ١٣١٨ هـ مبارك الصباح »

ودفع الكتاب إلى أحد خدمه وأمره بايصاله الى ولده جابر في الكويت وأوصاه بالتحفظ والتكتم لكي لا ينكشف أمره لأحد وبعد مسير ذلك الرجل بيومين صادفه الشيخ سالم الجتياب ابن طوالة شيخ عشيرة السلالي من شمر في الطريق وكان الشيخ المذكور خارجاً في البادية يطلب الصيد فاشتبه في أمره فأمر بتفتيشه فعثر على كتاب شيخ مبارك فاندهش لذلك وأمر بارساله مع الكتاب حالاً إلى الأمير عبدالعزيز الرشيد الذي كان يومئذ في محل يدعى (الحسجي) .

فلما وقف الأمير عبدالعزيز الرشيد على هذا الخبر أمر في الحال بجمع الجيوش وتحشيد القبائل وضرب لهم موعداً للاجتماع في محل يدعى (عين إبن فهد) بعد ان أنب وزيره سبهان العلي وأغلظ له القول لعدم أخذه الحذر لان سبهاناً كان قبل هذا يأمر القبائل التي تأتي اليه بالرجوع إلى ربوعها ظناً منه ان الأمير عبدالعزيز الرشيد لا يريد الحرب مع أحد في ذلك العام .

فاجتمعت في (عين إبن فهد) قبائل شمر أفواجاً أفواجاً بين فرسان وركبان ورجالة وتحشدت اليه الاعراب من كل صوب وبعد ثلاثة أيام إقتاد الأمير عبدالعزيز الرشيد تلك الجيوش ونزل بها في محل يقع شرقي (الطرفية)

وفي أثناء ذلك ورد اليه كتاب محمد البسام فصمم على القتال فارتحل من ذلك الموقع ونزل بمحل يدعى (فيلة الأسياح) بحد «الصريف» بالقرب من معسكر الشيخ مبارك وكان يفصل بين المعسكرين تل من الرمل وذلك مساء يوم الاثنين الموافق ٢٩ شعبان ١٣١٨ هـ ٨ تشرين ثاني ١٩٠٠ ونصبت خيامه هناك وكان فهد بن شعلان ومعه أربعون فارساً من مشايخ الرولة ضيوفاً لدى الامير عبد العزيز الرشيد .

الملحمة

وفي الصباح المبكر هجمت بعض الفرسان من جيوش الأمير عبدالعزيز الرشيد على مقدمة جيوش الشيخ مبارك فغنمت منهم أربعين فرساً .

وبعد شروق الشمس أقبل مائة وخمسون فارساً من قبيلة شمر جربا والتحقت بجيش الأمير عبدالعزيز الرشيد وطلبوا الأذن لهم بالقتال فقال لهم بعض من رؤساء جيوشه اصبروا علينا حتى نشرب (القهوة)ونهجم جميعاً فاما لنا وأما علينا .

فلما سمع الأمير عبدالعزيز الرشيد هذا القول وعلم أن المسبب لتأخير القوم عن الهجوم هو شرب (القهوة) أمر أن تقلب أواني (القهوة» ويراق ما فيها على الأرض وقال لهم (من يريد ان يشرب «القهوة) فهذه «قهوة» عدوه قريبة منه) عندئذ هبت القبائل وعزمت على القتال فمنعهم الأمير عبدالعزيز الرشيد وأمرهم ألا يكون ذلك الا بعد تقديم «المسيوقة ١» فأحضرت المسيوقة هناك طلب الأمير عبدالعزيز الرشيد أن يتقدمها بعض الفرسان فتطوع سالم ومهنا ولدا حمود العبيد الرشيد وعبدالله السبهان العلي ورئيس عشيرة قحطان .

فأبى الأمير عبدالعزيز الرشيد أن يتقدم عليه أحد وقال (لا يتقدم الا أنا فاما أن أقتل أو انتصر فان قتلت فإني فداء للكنا) فاستل سيفه ووضعه

(١) المسيوقة جملة من الابل تربط وتساق في مقدمة المقاتلين لتقيهم وابل الرصاص .

على كتفه ثم لبس رداءً أحمراً واعتم بعمامة حمراء حتى يتميز في القتال ونشر ذوابتيه على كتفه ثم اتجه الى فهد الشعلان ومن معه من مشايخ الرولة وقال لهم (أرجوكم عدم خوض المعركة لأنكم ضيوف لدينا ونحن نكفيكم ذلك فان دارت الدائرة علينا فانكم أولى بمالنا وحلالنا).

فعند سماعهم هذا الكلام أخذتهم النخوة العربية فقام الشيخ فهد الشعلان وحث جماعته على الاشتراك في القتال مساعدة للامير عبدالعزيز الرشيد.

ثم أخذ الأمير عبدالعزيز الرشيد يحرض جيشه ويحيط به (علم العبيد) الذي يتكون من أربعمائة فارس (وهؤلاء العبيد يرافقونه في كل حين).

فاندفعت الفرسان والمشاة وتسلقت ذلك التل وظهروا على رأسه تتقدمهم المسيوقة ومن أمامها سالم وجماعته وحينما أبصرتهم جيوش الشيخ مبارك بادرتهم باطلاق الرصاص ثم أصدر الشيخ مبارك أمره بالهجوم مرة واحدة فهجموا فاشتبكت الحرب وثار القتال بين الطرفين فقتل سالم وجماعته وكانت بوادر النصر في باديء الأمر في جانب جيوش الشيخ مبارك ثم تلاحم الجيشان وتدانا بعضهم من بعض فاوقف إطلاق الرصاص واستعملت السيوف والخناجر وكان الأمير عبدالعزيز الرشيد يخوض المعركة في نفسه في ذلك اليوم فتراه تارة في الميمنة وطوراً بالميسرة وحيناً في القلب وقد قتل تحته سبعة أفراس ولكنه لم يصب بسوء وبقيت الحرب دائرة الرحا لمدة خمس ساعات وقد اشتركت الطبيعة فيها بزوابعها وأمطارها حتى انجلت عن هزيمة الشيباني رئيس عشيرة عتيبة وفي هزيمته نهبت أتباعه مخيم الشيخ مبارك فتابعه بقية القوم بالانهزام فحدثت البلبلة في جيش الشيخ مبارك فصار يقتل بعضهم بعضاً فأنقضت جيوش الأمير عبدالعزيز الرشيد وصارت تنهب أموالهم وأسلحتهم وخيامهم وذخيرتهم ثم تتبعتهم السرايا يقتلون ويأسرون إلى آخر النهار.

ثم نزل الأمير عبدالعزيز الرشيد إلى ميدان المعركة وصاروا يأتونه بالأسرى وهو يأمر بضرب أعناقهم ولم يعف لا عن جريح ولا عن مريض وقد أسر في ذلك اليوم سبع من بنات البدو اللواتي كنّ مرافقات إلى جيش الشيخ

مبارك وهنّ (العماريات) ۱ وقد أحصي من قتل في ذلك اليوم من جيوش الشيخ مبارك فكان يربو على ستة آلاف بين بدوي وحضري عـدى الجرحى والقتلى .

وبقي الأمير عبدالعزيز الرشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام يرسل سراياه إلى البادية وكل من ظفروا به من جيوش الشيخ مبارك قتلوه وبعد ذلك رحل عن الطرفية ونزل بلدة بريدة وأمر بهدمها وقطع نخيلها فتوجه اليه بعض من أهالي بريدة الذين كانوا بمعيته في أثناء الحرب وحضر لمساعدتهم العلماء الشيخ صالح بن عمر والشيخ جاسر والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام وكلهم من شيوخ عنزة وبصحبتهم أخوه فهد وإبن عمه ضمد ومن يلوذ بهم من المتقدمين عند الأمير عبدالعزيز الرشيد وأحضروا المصاحف ووضعوها بين يديه طالبين منه أن يكف عن قطع النخيل وهدم البلد فقبل منهم الرجاء وكف عما عزم عليه .

عودة الشيخ مبارك الى الكويت

كان الشيخ مبارك أثناء المعركة جالساً في خيمته ومعه سلطان الدويش وهو يراقب القتال ويصدر أوامره إلى الميدان فما شعر إلاّ وقد داهمته فرسان الأمير عبدالعزيز الرشيد فاضطر الى ترك مخيمه طالباً النجاة ومعه سلطان الدويش ثم لحق بهم سعدون باشا وبنوه وهزاع بن عقاب وكانت ليلة شديدة البرد قضوها بالفضاء وفي الصباح قصدوا بلدة الزلفى فلم يسمح لهم أهلها بدخول المدينة خشية من غضب الأمير عبدالعزيز الرشيد فاضطروا إلى قضاء يومهم ذلك وليلتهم في حوطة خارج المدينة وفي صباح اليوم الآخر قصدوا قبيلة مطير على الصمان ومن هناك توجه الشيخ مبارك الصباح إلى مدينة الكويت وتوجه

---

(۱) العمارية هي البنت التي ترافق الرجال حين المعركة لتحرضهم وتشجعهم على القتال .

سعدون باشا إلى مقره في الخميسية .

كيف تلقت الكويت بناء

معركة الصريف

كان نبأ فشل معركة الصريف قد سبق الشيخ مبارك إلى مدينة الكويت بواسطة احد عبيده المدعو قرينص فلما وصلهـــا عند عودته مبارك وجد الحزن والكآبة واليأس مخيمة على ربوع المدينة بأسرها وقد علت أصوات أهاليها بالبكاء والنحيب والعويل والصراخ من كل جانب ومكان إذ لم يسلم يومئذ أي بيت من بيوتها دون أن يصاب برز قتيـــل أو أسير أو فقيد أو جريح

فأخذ الشيخ مبارك يهون عليهم المصاب ويعزيهم ويواسيهم ويطيب لهم خواطرهم ويوعدهم بأخذ الثأر ويمنيهم بالفوز وحيازة النصر ويوعدهم الظفر وبهزيمة العدو في المستقبل القريب وبهذه الأقوال تمكن من تهدئة ثورة شجونهم وتخفيف شدة ثكلهم فاضمحلت موجة أحزانهم وخفت وطئتها بالتدريج وتناسوا ذلك المصاب .

اسماء قتلى الصريف (١)

حمود بن عبدالله بن منصور باشا السعدون	عثمان بن ابراهيم المضف
حمود الصباح	عطية الهندي (أحد خدم الشيخ مبارك)
خليفة العبدالله الصباح	عيسى بن محمد المتروك
خميس بن عزام	فهد السائر

---

(١) ان قتلى معركة الصريف كثيرون ومتعددون ولكنهم مجهولون وأكثرهم من البـــدو والقبائل الرحل وقد حرصت على تسجيل أسمائهم وقضيت زمناً طويلا في البحث والاستقصاء فلم يتيسر لي معرفة أسماء اكثر مما ذكرت .

درويش الوقيّان	محمد سالم الشامري (من قبيلة العجمان)
روضان بن حمود الروضان	محمد بن عيدي
سعد الربيعان	محمد بن عويّش
سعد بن حبيب	محمد بن نويصر (من العوازم)
سعيد بن مرهوص	محمود بن أحمد العبدالجليل الطباطبائي
صباح بن حمود الصباح	مضف ابراهيم المضف
صقر الرشود	يوسف النهام
عبداللهبنمنصورباشا السعدون	
عبدالوهاب العبدالرزاق	

موقف الأمير عبد العزيز السعود

أما الأمير عبدالعزيز السعود بعد ان فارقه الشيخ مبارك توجه مع والده الامام عبدالرحمن الفيصل طالبين الرياض فوصلوها وضربوا عليها الحصار ثم استولوا عليها ولم يستعص عليهم غير عامل الأمير عبدالعزيز الرشيد المدعو (عبد الرحمن بن ضبعان) حيث تحصن بالقصر وامتنع عن التسليم فعزم الأمير عبدالعزيز السعودعلى القام أطراف القصر بالبارود لنسفه على من تحصن فيه وفي أثناء ذلك وردت عليهم الأخبار باندحار الشيخ مبارك في معركة الصريف وتمزيق جيشه فاستعجلوا الخروج من الرياض خشية من مداهمة العدو.

وكذلك كان الأمر في بلدتي عنيزة وبريدة فقد تركهما أميراها المعينان من قبل الشيخ مبارك لنفس السبب.

موقف الامير عبدالعزيز الرشيد ويوسف الابراهيم بعد معركة الصريف

ترجح لدى الأمير عبدالعزيز الرشيد ويوسف الابراهيم أن خصمهما

الشيخ مبارك قد قتل في تلك المعركة فظنا أنه لم يبق أمامهما بعد هذا ما يحول دون الاستيلاء على الكويت ولكنهما تريثا قليلاً ريثما يكشفا الحقيقة فانتدبا أحد رجالهما الموثوقين وأمراه بالذهاب إلى الكويت ليوافيهما بالخبر اليقين . فذهب ذلك الرجل إلى الكويت متنكراً وبقي فيها متخفياً يترقب الأخبار إلى أن وصلها الشيخ مبارك فرآه بعينيه وهو راكب ذلوله والناس من حوله يسلمون عليه ويحيونه ويتحمدون له السلامة .

فعاد مسرعاً إلى حائل وأخبر الأمير عبدالعزيز الرشيد ويوسف الابراهيم بسلامة الشيخ مبارك ففت في عضدهما وعدلا عما عزما عليه من مهاجمة الكويت وتركا الأمر إلى وقت آخر يلائم ما هما بصدده .

موقف الحكومة البريطانية
من معركة الصريف

لم تكن الحكومة البريطانية مرتاحة لقيام الشيخ مبارك بحملته على ابن الرشيد ولما بلغها نبأ فشله في معركة الصريف كتب السفير البريطاني في اسطنبول إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج ليخبر الشيخ مبارك بالكف عن مهاجمة إبن الرشيد مرة ثانية خشية من دفع الدولة العثمانية إلى التدخل في شؤون الخليج العربي ، وقد أبرق نائب الملك في الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية يعلمها (أن جميع محاولاته السابقة لكف الشيخ مبارك عن مهاجمة ابن الرشيد قد باءت بالفشل وان الشيخ مبارك قام بذلك الهجوم بدون رضاه وقد أصيب باندحار عسكري ذريع ولا يظن أنه سيقوم بحملة أخرى) .

انذار الدولة العثمانية
للشيخ مبارك

بعد انخذال الشيخ مبارك في معركة الصريف توسمت الدولة العثمانية فيه الضعف وظنت انه سينقاد إلى أرادتها بسهولة فرأت أن تستفيد

من هذه الفرصة لتزيد في بسط نفوذها على الكويت .

وعلى هذا أبرق باشكاتب المابين برقية إلى مشير بغداد (أحمد فيضي باشا) في شهر ربيع الثاني ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م تتضمن ما يأتي : —

(بلغوا الشيخ مبارك بأن منطوق المعاهدة الدولية تنص «بأن المواقع التي يوجد فيها علم عثماني أو مركز عسكري أو مأمور حكومي فليس للدول الأخرى حق التدخل في شؤونه» فيلزم عليكم أبلاغه هذا الأمر بأية صورة كانت) .

أما المشير أحمد فيضي باشا فقد كان على دراية تامة بصلابة الشيخ مبارك وانه ليس من الأشخاص الذين يسهل انقيادهم إلى مجرد الأقوال التي يصدرها المابين أو يرتهب من التهديدات التي يتفوه بها رجال الباب العالي دون اقترانها بالعمل .

فرأى أن أنجح طريق وأسرعها ثمراً لتطبيق هذا الأمر هو استعمال القوة فجهز جيشاً يتكون من عشرة طوابير (أفواج) أسند قيادته الى محمد باشا الداغستاني وأمره بالمسير الى البصرة .

ثم سافر هو إلى البصرة ليجتمع بالوالي محسن باشا لاستشارته وأخذ رأيه في الخطة التي عزم على تنفيذها .

ولكن محسن باشا أشار عليه بخلاف ذلك وهون عليه الأمر واقترح عليه قبل المباشرة بأي عمل عدائي ارسال وفد الى الكويت ليفاوض الشيخ مبارك ويبلغه مضمون ذلك الأمر الهمايوني بطريق اللين واللطف .

محسن باشا في الكويت

فاستحسن المشير هذا الرأي واقترح على زميله محسن باشا أن يترئس ذلك الوفد فتوجه محسن باشاً إلى الكويت مع بعض اعيان البصرة واصطحب معه مائة وخمسين جندياً واجتمع بالشيخ مبارك وأبلغه مضمون ذلك الأمر

أشار عليه بالذهاب معه الى الفاو ليعلن طاعته الى اسطنبول برقياً ويعرض عليهم انقياده ويعلمهم بأن كل ما أشيع عنه لم يكن إلاّ دعاية باطلة كاذبة يقوم بها خصومه وأعداؤه لافساد الأمر بينه وبين دولته .

فتقبل الشيخ مبارك هذه النصيحة وعزم على الذهاب إلى الفاو و ان يصطحب معه قسماً من حرسه اتقاءً لما يأتي به القدر .

ومع ذلك فلم يترك الامر على علاته بل اتصل بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج سراً قبل أن يترك الكويت وأوقفه على عزمه بالسفر إلى الفاوه ورجا منه مراقبة الوضع وحمايته إذا ما اقتضت الحاجة فوعد المقيم السياسي بذلك .

اعلان الشيخ مبارك طاعته للدولة العثمانية

فذهب الشيخ مبارك برفقة الوفد العثماني إلى الفاو واتصل برقياً بولاة الأمور في الاستانة وأعلن لهم طاعته وانقياده ونفي ما قد أشيع عنه من التهم فقبلت طاعته فكف المشير أحمد فيضي باشا عن مهاجمة الكويت وأمر الجيش بالانسحاب. ثم أصدرت الدولة العثمانية أمراً اعتبرت به الشيخ مبارك قائمقاماً رسمياً على قضاء الكويت .

ولما عزم الشيخ مبارك العودة إلى الكويت أخبره والي البصرة محسن باشا بانمن ضمن الأسباب التي دعت الدولة العثمانية للقيام بهذه الاجراءات هي تقديم مضابط موقعة من بعض رجال الكويت بعد حادثة الصريف يشرحون فيها تخوفهم من هجوم الاعراب المحدقة بالكويت ويخشون وقوع السلب والنهب ويستعطفون الدولة لانقاذهم من ذلك الوضع بارسال جيش نظامي ليحفظ أمن الكويت .

فتحقق للشيخ مبارك أن تلك المضابط لم تقدم الا بتحريض من خصومه

في الكويت فاسرها في نفسه وعزم على اجراء التحقيق عن ذلك عند سنوح الفرصة .

محاصرة الامير عبد العزيز الرشيد الكويت

لما بلغ الأمير عبدالعزيز الرشيد عزم الدولة العثمانية على إرسال جيش إلى الكويت سبقها اليها بقسم كبير من جيشه وحاصرها من جهة البادية منتظراً بفارغ الصبر نتيجة الحملة العثمانية على الكويت ظناً منه أن الدولة العثمانية ستسند اليه ادارة أمور الكويت بعد التغلب على الشيخ مبارك .

ولما انتهت المفاوضات مع الشيخ مبارك بالسلم ورجع الجيش العثماني إلى بغداد لم يسرد ذلك وصمم على عدم رفع الحصار عن الكويت وبقي مرابطاً بقواته حولها يتحين الفرص للهجوم عليها .

أما الشيخ مبارك فحشد جيوشاً في الجهرة وكتب إلى سعدون باشا ايقدم بعشائره إلى الكويت فلبى سعدون باشا الدعوة .

وفي نفس الوقت كتب الشيخ مبارك كتاباً إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج يعلمه بنيات الأمير عبدالعزيز الرشيد السيئة حيال الكويت .

فأرسل المقيم السياسي البريطاني في الخليج ثلاث بوارج حربية بريطانية إلى الكويت فنزلت ثلة من بحارتها الى المدينة وأخذت تحفر خندقاً حولها ليقيها شر هجمات العدو من الخارج وقد اشترك قسم كبير من أهالي الكويت في حفر ذلك الخندق .

اما الامير عبدالعزيز الرشيد فأراد أن يبدأ أولى غاراته على الجهرة التي لا تبعد عن الكويت بأكثر من خمسة عشر ميلاً فلم يوفق لذلك بالنظر لوجود القوات الكوتية المحتشدة فيها فانحاز الى الصبيحية ولكنها كانت خالية من السكان فانثنى على اواره (وارة) فصادف فيها قافلة لقبيلة مطير كانت خارجة من الكويت فاشتبك معها بقتال طفيف فتغلب عليها

واستولى على ثمانمائة رأس من الغنم والفين وسبعمائة رأس من الابل تعود جميعها الى اهالي الكويت وقد قتل في هذه المعركة كاتب الامير عبدالعزيز الرشيد المدعو (جار الله اليوسف العتيق).

ثم دنى من الكويت فبلغه بواسطة احد عيونه ما في الكويت من القوة وبما حفر من الخنادق وما اتخذ من الاستعدادات الكافية لصيانتها وحمايتها فتحقق عنده ان مهاجمة الكويت وهي على هذه الحالة لا يعود عليه بالنفع فابتعد عنها ونزل في الحفر وبقي مرابطاً هناك لمدة ثلاثة أشهر.

شكاية الشيخ مبارك من تصرفات

الامير عبدالعزيز الرشيد

لم يساور الشيخ مبارك أدنى شك بان للدولة العثمانية اليد الكبرى بما يقوم به الامير عبدالعزيز الرشيد من الحركات ولكنه بالرغم من ذلك كتب الى والي البصرة (القمندار مصطفى نوري باشا) بتاريخ رجب ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م يكشف له سوء تصرفات خصمه الامير عبدالعزيز الرشيد تجاه الكويت ويشكو تعدياته وما يقوم به من المضايقة على عشائره ومما جاء في ذلك الكتاب (لا جرم ان الدولة العلية تكره ما يقوم به ابن الرشيد من الاعمال العدائية على رعاياها اهل الكويت الذين لم يحيدوا عن طاعتها ولم يخرجوا على سلطانها ولم يتمردوا على أوامرها) وأمره بأن يسلم الكتاب الى الوالي بيده.

غير ان الساعي لم يتمكن من مقابلة الوالي بالرغم من محاولاته العديدة وتردده اليومي على السراي وقد لاحظ الحاج عبدالعزيز السالم البدر هذه الظاهرة فسأله عن سبب تردده على السراي فأجابه بانه يحمل رسالة مهمة من الشيخ مبارك ويجب تسليمها بنفسه الى يد الوالي ولم يسمح له بذلك فادخله على الوالي وسلم رسالته اليه.

فلما وقف الوالي على مضمونها بادر حالاً بالاجابة عليها برسالة وبعث بها الى الشيخ مبارك في الكويت بيد احد رجاله ومما جاء فيها « ان الدولة العثمانية غير راضية عن اعمال عبدالعزيز الرشيد هذه وانها سوف لا تتوقف عن تأنيبه على قيامه بهذا العمل غير المرضي ولسوف تنزل به العقوبة الصارمة اذا لم يرعو وانها قد أوعزت باخراج اتباعه من البصرة حالاً) .

فعندما وقف الشيخ مبارك على كتاب الوالي علم ان هذا امر لا يراد به غير التمويه والخداع وان كل ما كتبه الوالي مخالف للحقيقة وعار عن الصحة فسكت ولم يبد من ذلك شيئاً الى رسول الوالي بل قابله بالترحيب واظهر شكره وامتنانه وسروره لسماع الدولة العثمانية شكواه وانصافه من غريمه ثم زود الرسول بالمنح والهدايا الثمينة ليقدمها الى الوالي . واتخذ هو الاهبة والاستعداد لخصمه .

انسحاب الامير عبدالعزيز الرشيد

عن حدود الكويت

طال مكث الامير عبدالعزيز الرشيد في تلك البقاع ولم يفز بما كان يتمناه لان الشيخ مبارك قد اقام له قوة كافية في قرية الجهرة لتراقب حركاته وتقف أمامه اذا ما أراد الاعتداء على القوافل الكويتية او المواشي الخارجة منها فوجد ان بقاءه في تلك المناطق لا طائل تحته فارتحل وعاد الى بلاده .

قرار الدولة العثمانية

لنفي الشيخ مبارك من الكويت

ان شكايات اولاد الشيخين محمد وجراح المتكررة الى ولاة الدولة العثمانية في البصرة وطلبهم من القنصل البريطاني التوسط في قضيتهم ومشاغبات

يوسف الابراهيم وحثه امراء العرب على عداء الشيخ مبارك . والتجاء الشيخ مبارك الى مشير بغداد (رجب باشا) وتدخل المقيم السياسي البريطاني في الخليج لحماية الشيخ مبارك . احدثت هذة الامور استياء كبيراً لدى الدولة العثمانية في اسطنبول وأثارت قلقها على الكويت فتنكرت الى الشيخ مبارك وخشيت منه الخطر .. فأصدرت امراً هما يونياً لنفيه من الكويت نفياً اختيارياً بأن يسافر الى اسطنبول ويعين عضواً في مجلس شورى الدولة (التدوين القانوني) او السكن في احد أقطار المملكة العثمانية وتصرف له الدولة راتباً شهرياً قدره مائة وخمسين ليرة عثمانية وان ابى احد هذين الامرين فيخرج من الكويت بالقوة مكرهاً .

تبليغ الامر [1] الى الشيخ مبارك

ابلغ والي البصرة (القمندار مصطفى نوري باشا) مضمون ذلك الأمر الهمايوني الشيخ مبارك بكتاب وطلب اليه ان يخبره عاجلاً باختياره لاحد الامرين .

اما الشيخ مبارك فلم يظهر لهذا الأمر اشمئزازاً أو غضباً أو تمرداً فتلقاه ببرودة وكتب كتاباً الى مصطفى نوري باشا شرح فيه الخدمات التي قام بها آباؤه واجداده في سبيل توطيد دعائم الدولة العثمانية في تلك الربوع وانه ايضاً سائر على سبيل اسلافه باطاعة الدولة وتنفيذ أوامرها ولم يقم حتى الآن بما وجب عليه النفي من بلاده .

غير أن جميع تلك الاقوال وكل تلك التوسلات لم تجد نفعاً ولم يكن في

---

(١) ظنت الدولة العثمانية ان بمجرد صدور ذلك الأمر سيدعو الشيخ مبارك للاسراع ويستعد لترك الكويت الى الجهات التي خيرته فيها ولا شك انه سيختار الذهاب الى اسطنبول لينال عضوية مجلس شورى الدولة ويتمتع بذلك المنصب الرفيع .
او سيكتفي بالراتب الشهري الذي تبرعت به الدولة ويرضى أن يعيش عيشة اسر ـــد والخمول بعيداً عن وطنه .

استطاعة الوالي يومئذ ان يعمل شيئاً ما دام الأمر قد صدر عن ولاة الأمور في اسطنبول ولم يكن الشيخ مبارك يجهل عدم تمكن والي البصرة من الحيلولة دون تنفيذ ذلك الأمر ولكنه أراد بذلك المراوغة والمماطلة ليستفيد من الوقت ليحكم علاقاته بالحكومة البريطانية فكتب الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج كتاباً أخبره فيه بما نوته الدولة العثمانية لنفيه من الكويت فكتب اليه المقيم السياسي يطمئنه باستعداد الحكومة البريطانية لمحافظته والحيلولة دون تنفيذ هذا الأمـــر .

العزم على اخراج الشيخ مبارك بالقوة

لم يفت والي البصرة (القمندار مصطفى نوري باشا) ان الشيخ مبارك ليس من الرجال الذين سيتركون الكويت بالسهولة المعتادة وانه كان يرمي من وراء تلك الرسائل أتخاذ الخطط لعدم ترك الكويت.

فلم يجد من الحكمة ان يفسح له المجال بأكثر من ذلك فأوعز الى اخيه الاميرالاي نجيب بك والى السيد رجب النقيب بالسفر الى الكويت باحدى البوارج الحربية العثمانية التي تدعى (زحاف)[1] وارسل معهم ثلة من الجيش العثماني ليحملوا الى الشيخ مبارك الصباح صورة البرقية الواردة من اسطنبول ويقفوا على رأيه النهائي وعند عدم خضوعه لذلك الامر فعليهم اخراجه من الكويت بالقوة وكان ذلك بتاريخ ١٣١٩ هـ كانون أول ١٩٠١ م.

فسار ذلك الوفد الى الكويت وبدأ يفاوض الشيخ مبارك بمهمته فحاول الشيخ مبارك اقناعهم بالعدول عن هذا الأمر وأخذ يسترضيهم ويستعطفهم لتركه وشأنه خشية من تطور الأمور الى عواقب وخيمة ولكنه لم يجد منهم

(١) زحاف سفينة حربية كانت تخفر الشواطىء العثمانية من الخليج وهي شواطىء قطر والاحساء والبصرة وهي سفينة كبيرة ذات مدافع ضخمة وعدد حربية .

غير الاصرار على اجباره بالتصريح برأيه النهائي . فضافت به السبل عندئذ كتب كتاباً الى المعتمد السياسي البريطاني في الخليج ودفعه الى علي بن عبدان ليوصله الى (بوشهر) فذهب أبن عبدان بسفينة شراعية صغيرة (شوعي) ودفع ذلك الكتاب الى المعتمد المذكور .

وعندما قرأ المعتمد ذلك الكتاب وجد ان الشيخ مبارك قد طلب منه ارسال بارجة بريطانية لحمايته من الوفد التركي الذي جاء لينفيه من الكويت . فبادر المعتمد حالاً بارسال احدى بوارجهم الحربية القديمة (امجروخ) الى الكويت لحماية الشيخ مبارك .

وعند وصول تلك البارجة نزل ربانها وقابل الشيخ مبارك واتفق معه على عدم اعطاء جواباً حاسماً الى ذلك الوفد .

فأجاب الشيخ مبارك رجال الوفد بأن الحكومة البريطانية قد منعته عن التصريح لهم برأيه وفي اثناء تلك الجلسة دخل عليهم ربان البارجة البريطانية وخاطبهم قائلاً : —

(ان الحكومة البريطانية لا تسمح للشيخ مبارك بمفاوضتكم واني اطلب اليكم الآن ان تغادروا الكويت حالاً والا فسأضطر الى اطلاق النار على بارجتكم واغرقها في البحر بمن فيها) ثم اسمعهم كلمات نابية أخرى تتضمن السخرية والاستهزاء .

فعاد الوفد إلى البصرة على الفور وابلغ مشير بغداد بما حدث من تدخل الحكومة البريطانية في الامر وبتهديدها له فأمر المشير بصرف الجند لان الدولة العثمانية كانت يومئذ تتحاشى ان تصطدم مع الحكومة البريطانية .

فكتب الشيخ مبارك كتاباً الى الشيخ خزعل ورفقه بالملحق الآتي المتضمن الاشارة لهذه القضية :

ملحق

«أخي متعنا الله بحياتك ودام انسنا بسرور خاطرك وطولة عمرك عن مجيء الجماعة معهم صورة تلغراف يقولون جاي من استانبول ومآله (انت يا مبارك عيناك اعضاء في مجلس الشورى في الاستانة ام تسكن في الممالك المجاورة بالمعاش الكافي التام مع الراحة) واهل البيض[1] منعونا عن الجواب واجتمعوا الاثنين[2] الذين جو في محلكم يكون نعطيهم الجواب وحضر أهل البيض وقالهم (مبارك ما يعطي الجواب وانا مانعه عن الجواب وعن الاتفاق بكم ورحوا لا تقعدون) وقام يحكي عليهم حكي واجد يتهزأ بهم ومع هذا نحن قدكتبنا لبوشهر نريد توثيق جواب وجانا خطين فيهما كفاية واطمئنان خاطر وانا بحضور راعي البيض لما جيء الاثنين الى محلك انا قلت لهم هذا ما نعني عن رد الجواب لكم والاتفاق معكم ومن بعد كل كلامي لهم توجه لهم بالكلام)

تقليص الدولة العثمانية

حدود قضاء الكويت

وبعد هذا رأت الدولة العثمانية ان تضايق على الشيخ مبارك وتقلص حدود قضاء الكويت وفي أواخر شهر ذي الحجة عام ١٣١٩ هـ ١٩٠٢ م اقامت نقطاً عسكرية في جزيرة بوبيان وفي امقصر وعلى بئر صفوان معتبرة اذ تلك المواقع غير داخلة في حدود قضاء الكويت.

فقدم الشيخ مبارك الى الدولة العثمانية احتجاجاً بتاريخ ٢٥ محرم عام ١٣٢٠هـ١٩٠٢ م مدعياً أن تلك المواقع هي من ضمن حدود قضاء الكويت

(١) البيض المقصود بهم البريطانيون.

(٢) اي السيد رجب النقيب ونجيب بك عضوى الوفد العثماني.

وان امقصر سميت بهذا الاسم لاشادة احد الكويتيين المدعو أبن رزق قصراً له فيها وان جزيرة بوبيان اول من قطنها الكويتيون لصيد الاسماك وكذلك الحال في بئرصفوان فانها محطة لقوافل اهل الكويت وتحت تصرفهم منذ أمد بعيــد .

ولكن الدولة العثمانية لم تعر احتجاجات الشيخ مبارك المتوالية اهتمامها الزائد بل أمرت الجنود العثمانيين المقيمين في تلك النقاط بالتشدد على الكويتيين لا سيما في جزيرة بوبيــان .

فاضطر الشيخ مبارك لعرض الأمر على الحكومة البريطانية بواسطة معتمدهــا في الخليج فأرادت الحكومة البريطانية ان تطيب خاطر حليفها فاظهرت له اهتمامها بطلبه وارسلت الى الكويت احدى بواخرها المسماة (سفنك) وطلبت من الشيخ مبارك ان يرسل معها دليلاً ليهديها الى جزيرة بوبيان والى امقصر لأنها تجهل موقعهما وكان عرض الحكومة البريطانية من ذلك التموية على الشيخ مبارك ولكن الشيخ مبارك شعر بأن الحكومة البريطانية قد انتقلت من نوبتها الحادة في شأن الكويت بعد ان قيدته بالمعاهدة الى نوبة باردة وذلك على أثر التغير السياسي الذي جرى بالاجتماع المنعقد بين الملك ادوارد وبين غليوم الثاني امبراطور المانيا وكان امبراطور المانيا مهتماً جداً للاطلاع على شؤون الكويت فاعلمه الملك ادوارد بان الحكومة البريطانية قد عقدت معاهدة مع شيخ الكويت تخولها السيطرة على الكويت فطلب الامبراطور بالحاح ان يطلع على تلك المعاهدة فأجيب الى طلبه فتحقق لديه ان الحكومة البريطانية قد سبقتهم الى ما كانوا يؤملونه من السيطرة على الكويت .

ولهذا السبب لم تجد الحكومة البريطانية بعد هذا ما يدعو للضغط على الدولة العثمانية بالاحتجاج الذي قدمه الشيخ مبارك بل تركت الأمور وشأنها ففتت الخليفة لأول مرة بعضد حليفها وتركت النقاط المتنــازع عليهــا دون البت فيها .

سجن عبد العزيز السالم البدر

كان عبد العزيز السالم البدر معتمداً للشيخ مبارك الصباح ووكيلاً له على أملاكــه في العراق وفي ١٨ صفر عــام ١٣٢٠ ١٩٠٢ م امره الشيخ مبارك الصباح بدفع بدل الاشتراك الى جريدة (الخلافة) وكانت الدولة العثمانية تعتبر هذه الجريدة من الجرائد المخالفة لسياستها وقد منعت دخولها الى اقطارها.

فصدع عبد العزيز السالم البدر مما أمره الشيخ مبارك ودفع بدل الاشتراك الى معتمد تلك الجريدة فابلغ بعض المعادين الى الشيخ مبارك من اهالي البصرة (بتحريض من يوسف الابراهيم) هذا الخبر الى والي البصرة القمندار مصطفى نوري باشا فأصدر الوالي المذكور أمره في الحال بتحري دار عبد العزيز السالم البدر وبالرغم من عدم العثور على أي مستند يستحق الحساب عليه فقد زج في السجن وضيق عليه اشد التضييق وعومل معاملة قاسية جداً واسندوا اليه تهماً أقل عقابها الاعدام وبالرغم من محاولاته العديدة بتقديم العرائض المتكررة لاثبات براءته لم يتمكن من نيل عطف رجال الحكم وقد عملوا معه كل ذلك نكاية بالشيخ مبارك الصباح.

وفي تلك الظروف الحرجة عرض عليه يوسف الابراهيم استعداده لخلاصه من العذاب واطلاق سراحه من السجن على ان يتخلى عن موالاة الشيخ مبارك وترك صداقته فلم يجبه على ذلك وبقي في حبسه الى أن آلت ولاية البصرة الى الوالي مخلص باشا فأمر باطلاق سراحه من السجن وذلك في عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م.

معاودة يوسف الابراهيم

لغزو الكويت

استبان ليوسف الابراهيم وأولاد الشيخين محمد وجراح جلياً وبوضوح تام ان أوضاع الدولة العثمانية بعد تلك الحوادث لا تمكنها من القيام بحملات عسكرية أخرى ضد الشيخ مبارك في الكويت وكان من الضروري لها يومئذ ان تلزم جانب الحياد التام فلم يرق لهم هذا – الموقف الحيادي الذي اتخذته الدولة العثمانية وصعب عليهم ان يترك الشيخ مبارك وشأنه في الكويت فقرروا ان يهئوا بأنفسهم حملة بحرية لتشن الغارة على الكويت بعد ان استوثقوا من والي البصرة (القمندار مصطفى نوري باشا) بعدم معارضته لذلك.

وفي ٣ جماد الثاني عام ١٣٢٠ هـ ١ يلول ١٩٠٢ م اقلعت من الدورة عدة سفن شراعية مشحونة بالرجال والسلاح والذخيرة وآلات التخريب متوجهةً نحو الكويت ولما مرت تلك السفن بالفاو انكشف امرها الى الشيخ جابر المبـــارك الذي كان يومئـــذ قد قدم الى الفـــاو لادارة شؤون أملاكهم فأبرق حالاً الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج يعلمه بمسير تلك السفن بقصد مهاجمة الكويت كما أرسل رسولاً الى والده في الكويت ليأخذ جانب الحذر والاحتياط والاستعداد الكافي لملاقاة تلك الحملة. وصادف ان البارجة الحربية البريطانية المسماة (لابونج) كانت في قرب مياه الكويت وقد أبصرت تلك السفن فأسرع ربانها واخبر الشيخ مبارك أيضاً بذلك.

فهب الشيخ مبارك مسرعاً الى تحصين الكويت وبث عيونه وجواسيسه ليكشفوا له مدى قوة الأعداء.

وفي الوقت المناسب ابرق المعتمد السياسي في الخليج الى ربان البارجة (لابونج) للاشتراك في حماية الكويت من تلك الحملة.

وفي مساء ٨ جماد الثاني ١٣٢٠ هـ ٤ أيلول ١٩٠٢ م قربت تلك السفن من شواطيء الكويت فأبصرت عن بعد أنوار تلك البارجة فعلمت ان امرها

قد انكشف وتحقق لديها ان الكويت بأسرها قد اخذت الاستعداد لمقابلتها ففت في عضدها وخشيت الفشل فكرت راجعة مستترة بظلام الليل ولكنها لم تتمكن من الابتعاد عن شواطيء الكويت قبل أن يداهمها ضوء الصبح فأبصرت بها البارجة البريطانية فتبعتها في ٩ جماد الثاني ١٥ ايلول وكادت تقبض عليها فالتجأت تلك السفن الى شاطيء العقبة فنزلت ثلة من بحارة تلك البارجة بزوارق بخارية صغيرة وتمكنت من مطاردت سفينتين من تلك السفن وكان فيها مائتين وخمسين مقاتلاً معظمهم من الشريفات فجرت مقابلة نارية بين الطرفين قتل من جرائها ضابط بريطاني واحد وجرح كثير من البحارة البريطانيين بجراح خفيفة وتمكن ركاب تلك السفينتين من الفرار واستولت البحارة البريطانية على تلك السفينتين وهما خاليتان من الركاب وساقتهما الى البصرة لاجراء التحقيق .

وقد بذل الشيخ مبارك اهتماماً زائداً لكشف سر هذه الحملة ومعرفة المحركين والمسببين لاثارتها وبعد السعي الحثيث ترجح لديه انها كانت بتحريض من خصمه يوسف الابراهيم بالاشتراك مع اولاد اخويه الشيخين محمد وجراح فعرض الامر على المقيم السياسي البريطاني في الخليج واكد له بان لديه شهوداً يشهدون بصحة ذلك فكتب اليه المعتمد السياسي ان يرسل ما لديه من الشهود الى البصرة ليدلوا بشهادتهم هناك .

وفي تاريخ ٥ رجب ١٣٢٠ هـ ٣ تشرين اول ١٩٠٢ م ارسل الشيخ مبارك اولئك الشهود الى البصرة فادلوا بما لديهم من الشهادات امام المراجع ذات الاختصاص ولكن بالرغم من ذلك لم يظهر ما يؤيد الصاق التهمة بيوسف الابراهيم ولا باولاد الشيخين محمد وجراح او ثبوت اشتراكهم في تلك الحملة .

فاكتفت الحكومة البريطانية بحرق تلك السفينتين وكانت هذه الحملة هي آخر المساعي التي بذلها يوسف الابراهيم واولاد الشيخين محمد وجراح بمعرفة الدولة العثمانية وكل ما جرى بعد ذلك من الأمور على الكويت

لم تكن من الاهمية بمكان ولم تستفد الدولة العثمانية من ورائها غير الحط من كرامتها وتقليل هيبتها وسنذكر في الابحاث القادمة نماذج من تلك الاعمال .

التآمر على اغتيال الشيخ مبارك

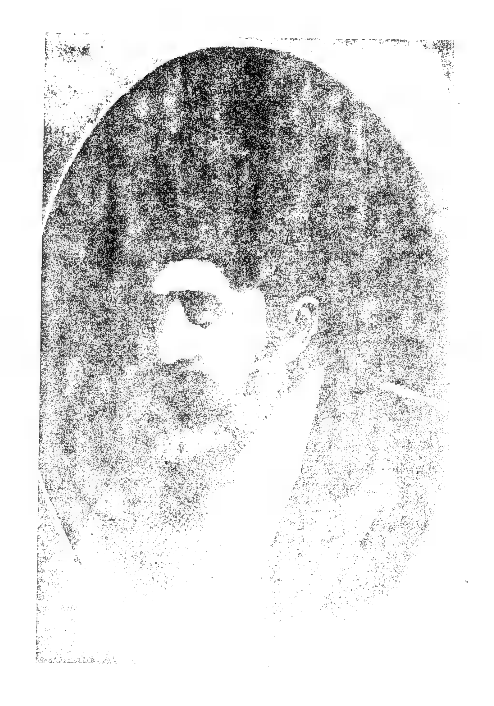
بعد ان باءت بالفشل كافة المحاولات التي بذلت للقضاء على الشيخ مبارك ففي عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٣ م تفاوض الشيخ سعود بن الشيخ محمد الصباح ويوسف الابراهيم مع اولاد حميدي وهم عبدالله وعذبي وعبد الرضا وصالح ومويلح (وقد اشتهر هؤلاء الرجال يومئذ بالباس والقوة والبطش وتعاطي القرصنة في مدخل شط العرب) فاستمالوهم الى جانبهما واغدقا عليهم الأموال الطائلة واتفقا معهم على تدبير مؤامرة لاغتيال الشيخ مبارك وولديه جابر وسالم فرسم لهم يوسف الابراهيم الخطة الآتية :

وهي (ان تشحن احدى السفن[1] العائدة الى احداقاربه المسمى عبد اللطيف الابراهيم بالتمر والمواد الاخرى ويركبها اولاد حميدي سراً ويذهبوا بها وبتلك الأموال الى الكويت ويخبروا الشيخ مبارك بانهم قد استولوا عليها بالقوة بعد ان قتلوا اصحابها الذين هم من اتباع يوسف الا ابراهيم وانهم قد عملوا ذلك العمل خدمة للشيخ مبارك ويطلبون الالتجاء الى الكويت) . فعملوا بما رسم .

فانطلت هذه الحيلة على الشيخ مبارك ولم يساوره ادنى شك في صدق مقال اولاد حميد واطمأن لهم وقربهم اليه والحقهم بحرسه الخاص فمكثوا في الكويت مدة وهم يتحينون الفرص لاغتيال الشيخ مبارك وولديه فاختصوا بصداقة غلامين اخوين كانا في ضمن حرس الشيخ مبارك الخاص فكاشفوهما بسرهم وطلبوا اليهما الاشتراك معهم فاظهرا لهم الغلامان استحسان ذلك الرأي وجاملوهم واوعدوهم بالمساعدة (خشية من بطشهم) ثم ان الغلامين

---

(١) هذه السفينة كانت يومئذ معروفة من الجميع بعائديتها الى آل الابراهيم .



(٢)　　السلطان عبدالحميد الثاني (راجع صفحة ٦٩)



(٣) السلطان محمد رشاد الخامس (راجع صفحة ١٤٤)



(٤) تحسين باشا (باشكاتب المابين) (راجع صفحة ٢٨)



(٥)   ناظم باشا (والي العراق) (راجع صفحة ٢٤٠)



(٨) عبدالرحمن حسن بك آل سامي
(والي البصرة) (راجع صفحة ٧٩)



٩)سليمان نظيف بك الديار بكري (والي البصرة) (راجع صفحة ٨٠)

اخبرا اباهما بسر تلك المؤامرة فاضطرب الاب أشد الاضطراب وأسرع الى اخبار الشيخ مبارك بذلك فأرسل الشيخ مبارك بالحال من ألقى القبض على أولاد حميدي وزجهم بالسجن وبقوا في غياهبه الى ان نقبوا جدار السجن وهربوا الى الخليج العربي وصاروا يزاولون القرصنة الى ان فشي أمرهم فتعقبتهم الحكومة البريطانية والقت عليهم القبض وبعد التحقيق ظهر لها انهم من قبيلة (البوفرحان) وهي من قبائل كعب المعروفة فساقتهم الى المحمرة وطلبت من الشيخ خزعل معاقبتهم فأمر الشيخ خزعل بسجنهم وبقوا في غياهبه (حتّى توفي بعضهم في السجن) ثم تشفع الشيخ عبدالحميد الشيخ خزعل لدى السير برسي كاكس (المندوب السامي في العراق) لاطلاق سراحهم فقبلت شفاعته فأخرجوا من السجن في عام ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م والحقهم بحرسه الخاص .

ذيول دسائس يوسف

الابراهيم

طرقت مسامع يوسف الابراهيم ان بعضاً من اعراب الكويت قد اجتمعت قرب بئر صفوان فأراد ان يؤذيهم (نكاية بالشيخ مبارك) فجهز بعض الرجال من الزبير بالاسلحة واتفق ايضاً مع كردى بن طوالة احد زعماء قبيلة شمر فغاروا عليهم في ١٣ صفر ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م ونهبوا أموالهم واستولوا على ثمنمائة رأس من مواشيهم واضطروهم الى ترك تلك المنطقة فطاردهم كردى بن طوالة حتّى أوصلهم الى (الصبيحية) فاصطدم معهم في معركة بتاريخ ٩ ربيع ثاني من هذا العام أسفرت عن مقتل كردى وفرار اتباعه .

ولما علم الشيخ مبارك بذلك ارسل حملة على قبائل شمر فأغارت عليهم ونهبت الكثير من أموالهم وقتل عدد كبير من رجال شمر المشهورين .

آخر محاولات يوسف
الابراهيم

اهتدى يوسف الابراهيم لايجاد طريقة جديدة لاثارة حقد الدولة العثمانية على خصمه الشيخ مبارك فسار الى الحجاز من حائل ليستعين بشريف مكة (عون الرفيق بن محمد بن عون) ليحث الدولة العثمانية لمساعدته ولكنه لم يوفق في مكة لما أراد بل كان بمساعيه السياسية عوناً لسياسة الحكومة البريطانية في الكويت أو بالاحرى كانت سياسة بريطانيا عوناً له لتحكيم علاقاتها مع الشيخ مبارك فأسقط في يده وعاد من مكة الى حائل وأخذ يحث الصحف والجرائد لمهاجمة الشيخ مبارك.

مقتل الامير عبدالعزيز الرشيد
ووفاة يوسف الابراهيم

وافت الشيخ مبارك الأخبار بمقتل عدوه الامير عبد العزيز الرشيد في معركة البكرية في روضة مهنا بتاريخ ١٨ صفر ١٣٢٤ هـ الموافق ١٤ نيسان ١٩٠٦ م. فسر بذلك وفرح به كثيراً.

عزم يوسف الابراهيم بعد مقتل الامير عبدالعزيز الرشيد ان يترك حامل ويتخذ المدينة المنورة داراً لسكناه فرحل منها فوافته المنية في الطريق بين حامل والمدينة بتاريخ الرابع من شهر ذي الحجة ١٣٢٤ هـ ٢٥ كانون ثاني ١٩٠٧ م فتنفس الشيخ مبارك الصعداء وقال كلمته الآتية :—

(الحمد لله هذا الذي أقلق راحتي واراد ان يزعزعني عن الحكم ولكن حظي تغلب على حظه).

الشيخ مبارك ودعاية الصحف

هاجمت بعض الصحف العربية كل من الشيخ مبارك والشيخ خزعل والسيد طالب النقيب ونعتتهم بأنهم يعملون في السر على اضعاف نفوذ الدولة العثمانية في العراق وان الشيخ مبارك يقوم بتهريب الاسلحة من الكويت الى العشائر العراقية لاعلان الثورة عليها .

فكتب الشيخ مبارك كتاباً الى السيد طالب النقيب ليرجو من والي بغداد محمد زكي باشا ان يكف السنة تلك الجرائد عن مهاجمته فأبرق السيد طالب النقيب برقية الى والي بغداد يذكر فيها بخدماتهم للدولة العثمانية ويطلب منه الضرب على السنة ارباب تلك الجرائد الذين لا يقصدون من وراء ما يكتبون غير اتساع شقة الخلاف بين الدولة وبين رعاياها المخلصين ويشرح الخدمات الجليلة التي قاموا بها .

فأجابه والي بغداد محمد زكي باشا بالبرقية الآتية

« بغداد نمرة ١٢٩٤ رسمي

ناظر الاعانة الحربية في البصرة طالب بك افندي

ج — لا نرى لزوماً ان نبين لكم ان فكرة الفرد الواحد الوارد باحدى الجرائد الحائزة الحرية بموجب قانون المطبوعات لا يكون لها حكم ولا تأثير على عطوفتكم وللشيخ مبارك والشيخ خزعل خان مما ذكرتموه من الخدم الدينية والوطنية فعلاً .

في ١١ مارت ٣٢٩ رومي »

والي بغداد

محمد زكي

فرأى الشيخ مبارك بعد هذا ان يدافع عن نفسه بنفسه وبنفس السلاح الذي يهاجم به ويرد على منتقديه ويعرض على الملاء العام قضيته ويطلب الانصاف لعلمه بما للصحافة من الأثر المهم في كشف الحقائق والتغلب على الآراء وكان الشيخ مبارك في ذلك الحين بأمس الحاجة ليبرهن للدولة العثمانية ان كل ما بلغها عنه من المروق والخروج على الخليفة هو من أقوال ودسائس الأعداء وانه عثماني متفاني في حب امير المؤمنين ومن المخلصين اليه والساعي دائماً للحصول على مرضاته وندرج فيما يلي نماذجاً من المقالات الكثيرة التي نشرتها بعض الصحف المؤيدة للشيخ مبارك : —

نص ما نشرته مجلة المنار في مجلدها ١٩ صفحة ٣٩٨

« مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العلية والانكليز .

كنا نسمع المنافقين من رجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويصفونه بطلب حماية الانكليز فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجب نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه فيها فكان جوابه موافقاً لجواب الشيخ مبارك ثم ذكرت ما قاله للشيخ فهد بك الهذال شيخ قبائل عنزة في العراق اذ كنت في ضيافته على نهر الفرات فصدق ما قاله الشيخ مبارك .

انه في أواخر مدة عبدالحميد ساقت الدولة بعض العسكر مع عربان ابن رشيد الى قرب الكويت وارسل المشير فيضي باشا السيد رجب النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي (لعله اخوه) الى الكويت فبلغاه ان قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الاستانة او الى حيث يشاء من ولايات الدولة والحكومة تعين له راتباً شهرياً يعيش به فان لم يخرج طائعاً دخل الجند مع عرب ابن الرشيد وأخرجوه بالقوة . فسألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته وذكر نقيب البصرة بما يعرف من اخلاصه للدولة واعانته لها بالمال عند كل حادثة وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل

المنتفك المالكين للبصرة واخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الاحساء وغيرها وطلب منه ان يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الاستانة . فقال له ان ما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره . قال فخرجت من عندهما بقصد مشاورة اهلي وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك بمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فارسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد فلما عدت رأيت اميرالاياً انكليزياً قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فأخبرته فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على ان تبقى الكويت على حالها لا يتعرضون ولا نتعرض لها واذا غدروا او خالفوا فقد صار لنا حق في أمرها ولا يمكن ان نسمح لجندي عثماني ان يدخلها واذا دخلوا بأرضكم دمرناها على رؤوسكم . ثم بلغ الأميرالاي ذلك لنقيب البصرة رسول الحكومة فقفل راجعاً وابلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان .

(قال) فما كان من تدخل الانكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه وقد عرضوا على ان اختار لنفسي راية ارفعها علماً لبلدي واعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة على رأسي وقد تعجبوا من قولي لهم انني اختار ان اكون عثمانياً قيل اتقول هذا بعد ان رأيت منهم ما رأيت قلت ان الوالد اذا قسا في تربية ولده احياناً لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه اطاعته

رشيد رضا

صاحب مجلة المنار »

نص ما نشرته مجلة العمران في عددها رقم ٢٥٤ سنة ٩

« الى الخليفة الاعظم مولانا أميرالمؤمنين

ينظر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها الى اريكة الخلافة المحمدية

العظمى وكلهم يرجون فيها لهذه الامة المجد والفخار والتقدم والارتقاء وما لهم في تحقيق آمالهم الا الخليفة الاعظم امير المؤمنين .

على ان الخلافة الاسلامية لا تدعم دعائمها وتقوي أركانها وتستعيد سابق فخارها الا اذا التف من حولها الصادقون الناصحون المخلصون الذين يتفانون في خدمة القرآن ويسهرون على مصلحة الاسلام واذا نأى عنهم الخونة المرتكبون المارقون عن حقائق الدين والوطنية الصادقة ممن يبيعون الآخرة بالدنيا والدولة بالقليل من المال وهم مع ذلك يحسنون التظاهر بالنفاق ويتشدقون بالاخلاص للعرش الحميدي الانور وما هم الا اعدائه الالداء مهما تظاهروا بمظاهر الاصدقاء .

والكل يعلم ان مولانا الخليفة الاعظم السلطان عبدالحميد خان ايد الله سلطانه هو أكرم السلاطين نزعة واشرفهم طوية وأعظمهم غيرة على مصلحة الاسلام وأكثرهم سهراً على تأيد مجد الخلافة المحمدية وله ايده الله من المساعي المبرورة والاعمال المشكورة في خير ممالكه المحروسة ما هو ظاهر ومعروف ومأثور ومشكور .

ولو توفق الناس الى ايصال امانيهم وشكاويهم لمسامع مولانا الخليفة الاعظم لشمل بالخير البلاد والعباد وتأيدت العدالة وساد الأمان والتف سلاطين الاسلام وامراؤهم من حول الخلافة التفاف الهالة بالقمر واتحدوا بقوة لا تقوى على قهرها الدول الاجنبية والممالك الاوروبية الا ان من حول العرش السلطاني رجال يمنعون ايصال شكاوى القوم وأمانيهم لمسامع مولانا الخليفة ويموهون الحقائق على جلالته تمويهاً يضر بمصلحة الخلافة والمسلمين .

ومن البديهي ان الخلافة الاسلامية لا تكون نافذة الكلمة قوية الساعد الا بملوك الاسلام وامرائهم ولا يعظم جاهها الا بالتفاف جميع المؤمنين حول أميرهم الاسمى الذي نسميه بحق أمير المؤمنين وكيف يتم هذا وفي الدولة رجال خونة يرون بهذا التكاثف والاتحاد حرمان منافعهم الذاتية وفوائدهم الخصوصية وكيف يرضون ان يفصحوا لمولانا الخليفة عن

اخلاص الشعوب الاسلامية للعرش الحميدي الانور ومصلحتهم في رميها بالمروق وميلها الى الخروج عن الطاعة الواجبة دينياً لأمير المؤمنين .

ومعلوم ان البلاد العربية هي دعامة الخلافة الكبرى وامراؤها هم حماتها بالفعل وعلى اكتاف امراء العرب تقوم قائمة الدين الحنيف كما ان العرب هم مصدر الاسلام وفيهم كانت النبوة وبلغتهم نزل القرآن وعندهم مهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهم قومه ومجاوره ونصراءه .

على ان اكبر الامارات العربية واعظمها وجاهة ومكانة وأقدرها على خدمة الخلافة وصيانة مجدها هي امارة الكويت لمركزها الجغرافي وبسالة عشائرها وحسن تدين القوم وتمسكهم بمبادىء الشريعة السمحاء وتعلقهم باهداب اميرهم المحبوب الذي اجتمعت القلوب على حبه واحترامه .

وسمو أمير الكويت المعظم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح من أعظم الامراء جاهاً واكرمهم معشراً واسمحهم نفساً واعدلهم حكماً واغزرهم عقلاً وذكاءً واكبرهم قدراً واقداماً وله أعزه الله المجد العالي والفضل المتوالي والشجاعة النادرة المثال والنفوذ الذي لا يرام ولا ينال ولقد خدم سمو الدولة العلية العثمانية خدمات صادقة نصوحة في نفسه وفي ماله وفي رجاله كما هو معروف ومنشور في سجلات الدولة العلية العثمانية وبه ليس بسواه تأيدت سلطة الخلافة العثمانية على تلك الأرجاء المتنائية ومع ذلك لم يسلم هذا الأمير الكبير من وشايات الوشاة الخونة الذين كفروا بنعمه وتركوا جلائل اعماله ونسبوا جميله الى الاجانب كذباً وعدواناً حتى أوغروا صدور أولياء الامور في الاستانة العلية عليه وحتى صدر له الأمر بأن يغادر امارته التي ورثها بحق عن أبيه واجداده وان يعيش شريداً طريداً ويسافر الى الاستانة العلية ليكون في جملة المأمورين الذين توظفهم الحكومة بوظائف اسمية لا أهمية لها ولا شأن ولعمر الحق ان هذا الا الغبن الفاحش والظلم الفادح .

على ان الامير اذ رأى ان أعماله الجليلة في سبيل الدولة وخدماته النافعة امامها ذاهبة سدى وانه اذا لم يستنصر باحدى الدول الاجنبية ضاعت امارته

فقعل ما فيه مصلحته ومصلحة الاسلام . نعم فعل ما فيه مصلحته اذ حفظ لنفسه الامارة التي طالما دافع عن كيانها بنفسه ودافع عن مصلحة الاسلام لانه اعزه الله بوجوده في دست امارته يقدر ان ينفع الاسلام بجاهه وماله وان يؤيد الخلافة بسلطته ونفوذ كلمته ومع هذا الحق الصريح الذي حافظ عليه قام اعداؤه واعداء الدولة ينسبون اليه المروق عن الدين والعدول عن الحق والعداء للدولة الى آخر ما قالوا وشنعوا ومع ان مثل هذا الهذيان لا يعبأ به عاقل ولا يعتبر به الا الجاهل وقد انكره كل من عرف الشيخ مبارك أو وقف على شيء من حقيقة حاله سواء بتمسكه بالدين الاسلامي الحنيف او بتفانيه في تأيد الخلافة العثمانية مع ذلك كله رأى أحد الكتاب الأماجد[1] ان يعرض على الرأي العام الاسلامي حقيقة المسألة ويظهر خوافيها برسالته التي ملأت صفحتين من جريدتنا العمران المعروفة بصدق خدمتها للدولة العلية العثمانية والمنتشرة في الاقطار الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ورأينا أن نصدر هذه المقالة بهذا الكتاب المفتوح الذي نرفعه لأعتاب صاحب الخلافة والشوكة والهيبة سيدنا ومولانا امير المؤمنين وحامي حمى الدولة بالدين على انا رجاء جلالته ببين عنايته حقيقة ما يقصده المنافقون من الشر للدين والدولة ضرب على ايديهم وجعلهم عبرة لمن اعتبر .

العثماني المخلص

عبدالمسيح انطاكي »

(١) ان الكاتب للمقالة المشار اليها اعلاه هو سليمان العساني احد ادباء الكويت

موقف الشيخ مبارك

من الدولة العثمانية بعد اعلان الحماية البريطانية

كان الشيخ مبارك على علم تام بمدى التفسخ والانحطاط والضعف المتفشي في جسم الدولة العثمانية وبالرغم من اعتقاده بأن العرب هم أهل الخلافة الاسلامية وهم أحق بها من بقية الأمم وعلاوة على اعلان الحكومة البريطانية حمايتها رسمياً على الكويت مع هذا كله لم يكن ميالاً للعصيان والانشقاق على الدولة العثمانية بل كان حريصاً دائماً على بقاء علاقاته حسنة معها وكثيراً ما كان يصرح بموالاته اليها واعلانه الخضوع لطاعتها وهذه بعض تصريحاته التي كان دائماً يكررها .

(ان الوالد اذا قسا في تربية ولده احياناً لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي يجب عليه الطاعة لـــه) .

وبالرغم من اعتقاده بأن العرب هم الأحق بتولية الخلافة الاسلامية غير انه لم يجد بأساً من بقائها في يد الاتراك الى ان يحين الوقت المناسب وعلى هذا كان يقول : —

(اننا جميعاً نعرف ان لكل زمان دولة ورجال وإن دولة ورجال هذا الزمن هم الاتراك فبقاء الخلافة في ايديهم في الوقت الحاضر يعز راية الاسلام ويؤيد كلمة المسلمين) .

وكان يرى من الواجب ان تتحد كلمة العرب والترك وكان يصرح في قولـــه : ـ

(اذا ما تولى ادارة شؤون الدولة رجال مخلصون فاننا نمد يد الولاء لمصافحتهم على السراء والضراء وحينئذ يرون من أمراء العرب سياجاً لا يخترق وقوساً لاتلين وان كان بعضهم الآن خارجاً عليها فلسوء سياسة عمالهـــا).

وكان ينتظر من الدولة العثمانية ان تجعل ثقتها فيه وقد صرح بذلك قائلاً :

(لو صفت لي الدولة لصفيت لها واغنيتها عن الفيلق السادس المقيم في بغداد بجملتــه).

وكان يعلم أيضاً بمدى الضيق المالي الذي كانت تعانية الدولة العثمانية وبما كانت تقاسيه من الصعوبات في جباية الرسوم والانفاق على عسكرها وما الى ذلك من الازمات الاخرى.

فكان كثيراً ما يمد لها يد المساعدة في الظروف المناسبة فعندما كانت تمر عساكرها بالكويت ذاهبة أو عائدة من الاحساء يقوم باكسائهم وتزويدهم بالمؤونة والاطعمة وغير ذلك.

وكان يدفع جميع الرسومات الاميرية المستحقه عليه مقدماً دون انتظار حلول موسمها وكان مقدار الرسوم التي يدفعها سنوياً تبلغ اربعة آلاف ليرة عثمانية وكان المعمول والمتبع في دفع مثل تلك الرسوم من الآخرين ان تكون بعد ميعاد استحقاقها وتدفع في اقساط ولكن الشيخ مبارك لم يأخر دفع تلك الرسوم مساعدة للدولـــة.

كما انه لم يتوقف عن القيام بالمهام التي تعهدها اليه الدولة العثمانية مادية اومعنوية فكثيراً ما كان يقوم بدور الوسيط بينها وبين بعض أمراء العرب المختلفين مع سياستها أو الخارجين عليها.

وعلى ذلك فسنذكر علاقاته مع بعض ولاة البصرة وما جرى له معهم منذ سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٣ م الى تاريخ احتلال البصرة من قبل القواة البريطانية عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م.

مخلص باشا

تولى البصرة من ١٣٢٢ هـ ١٩٠٣ م الى ١٣٢٤ هـ ١٩١٥ م

لما احيلت ولاية البصرة الى مخلص باشا زودته الدولة العثمانية صلاحيات واسعة النطاق وأمرته أن يصفي المشاكل القائمة بينها وبين بعض أمراء العرب فتوسط الشيخ مبارك بينه وبين آل السعود امراء نجد وبين الشيخ قاسم ابن ثاني امير قطر واتفق معهم ان يبرقوا برقيات الى اسطنبول يعلنون بها طاعتهم للسلطان غير ان مخلص باشا لم يقتنع بتلك الحلول فطلب الى الشيخ مبارك ان يجتمعوا فيه للتفاهم معه شخصياً وكتب اليه الكتاب الآتي جواباً لكتابه المؤرخ ٢٥ رمضان سنة ٣٢٢

« الى جناب الأكرم صاحب السعادة قائمقام الكويت الشيخ مبارك باشا الصباح المحترم سعادتلو افندم

بعد اهداء السلام الاتم وابداء الثناء الأعم فقد أخذنا كتابكم الكريم المؤرخ ٢٥ رمضان سنة ٣٢٢ واطلعنا على مندرجات تحرير قائمقام قطر جاسم الثاني وتلغرافه وكذلك بلغنا خبر التلغرافات التي اعطيت من مركز تلغرافخانة الفاو بامضاء جاسم الثاني وعبدالرحمن الفيصل لاجل ان تقدم للاعتاب الملوكية لكن من الظاهر المعلوم والبارز المفهوم ان مثل هكذا مراجعات اذا لم تكن بواسطة أحد مأموري الحكومة المخصوصين الصادقين المعتمدين يشك باعلام حقائقها والاعتماد على صحتها وصدقها فعبدالرحمن الفيصل اذا كان ما ادعاه من صدق الاخلاص والعبودية لجلالة سيدنا حامي الخلافة المعظم مولانا أميرالمؤمنين وحامي بيضة الدين وهو يريد جداً اثبات اطاعته وبيان صداقته فيلزم عليه ان يراجعني بذاته فانني من اخص عبيد مولانا الخليفة الأعظم وأصدق مأموريه وخدامه وقد شملني باحسانه والتفاته الملوكي وخصني بعنايته السنية وتعييني لولاية البصرة لاجل النظر في أمورها

واعلان العدالة السلطانية في انحائها فاذا راجعني المومى اليه عبدالرحمن الفيصل واجتمع معي في أحد المواقع المناسبة في جوار البصرة أو الزبير وبين لي ما في ضميره وأوضح لي مقاصده تماماً فانني حسب العبودية والصداقة للدولة العلية اعرض اطاعته وصداقته مـــع مطالبه ومقاصده على الاعتاب السنية الملوكية واستحصل له العفو واجلب له الالطاف السنية الملوكية وأوفي الدلالة على شمول الالطاف العالية واحل المشكلة النجدية بدون ابقاء حاجة للسوقياة العسكرية فينبغي ان تفهموه بذلك حيث اذا لم يثبت وجوده ويتلاقى مع أحد مأموري الحكومة السنية ويتذاكر فمراجعاته بالواسطة وتحرير التلغرافات بالصورة المجهولة بامضاء جاسم الثاني او غيره لا تكفي لتأمين المقصد فاعلموه بالحقيقة وعرفونا نتيجة فكره ولا شك ان سعادتكم تنالون وتشاهدون من الالطاف والعنايات السنية ثمرة مساعيكم التي نراها في هذا الباب ونحن منتظرون الجواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه .

والي ولاية البصرة وقوماندانها

٢٨ رمضان سنة ١٣٢٢ هـ ٢٤ تشرين ثاني سنة ١٣٢٠

الفريق

مخلص »

ولما شرع الوالي مخلص باشا ببناء دار لقيادة القوة البحرية بالبصرة في عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٤ م تبرع الشيخ مبارك بمقدار من المال للمساهمة في هذه البنايـــة .

ولما اشيدت الثكنة العسكرية في العشار في هذا العام أيضاً اسرع الشيخ مبارك بالتبرع بمبلغ ٤٢٥ ليرة عثمانية كما انه ايضاً تبرع بمبلغ مائتي ليرة عثمانية لتأثيث تلك الثكنة فأطرئت عليه جريدة (البصرة) الرسمية بعددها المرقم ٣٥٧ والمؤرخ ١٧ شوال بكلمتها الآتية تحت هذا العنوان

(وحيث ان قائمقام الكويت الشهم الهمام والسري المقدام صاحب السعادة والفضل والاجادة حضرة السيد مبارك الصباح الذي نال النجاح والفوز والفلاح باطاعته لجلالة السلطان وخالص تابعيته وعبوديته لمفخر آل عثمان قد بذل من الاعانة في هذا الأمر الخيري ما جعلنا نقيد دفتر بقيد اسمه ونحليه بذكر صداقته وحميته فارسل لسعادته من جانب ملاذ الدولة العالي قطعة الفطوغراف المذكور فلما وصلت اليه وأخذها سارع في الحال بارسال رسالة مخصوصة سرد فيها مقالات بديعة تفصح عن ما لسعادته من قوى التمسك بالعرش الحميدي الأنور معلنا بخالص عبوديته وصادق تابعيته لمتبوعه الافخم ولي النعم امام المسلمين وحامي بيضة الدين الاب الاشفق لجميع العثمانيين مردفاً ذلك بطيب الثناء والتقريظ والاطراء على همم ومساعي جناب حامي الولاية العالي وقد أهدى وأرسل بهذه المرة أيضاً مائتي ليرة عثمانية راجياً ضمها على الأربعمائة وخمسة وعشرين ليرة التي كان قد أهداها أولاً متلمساً قبولها بعبارات لطيفة وكلمات طيبة طالباً قيدها في باب مصارف المفروشات اللائقة بمثل هذه الدائرة المحتشمة العسكرية.

ولعمري ان ما أبداه الباشا المشار اليه من هذه المكرمة والحمية لهو الدليل الواضح والبرهان الساطع على ما جبلت عليه ذاته الكريمة من سجايا الصدق رغم الاخلاص لولي النعم سيدنا الملك الأقدس والاب الأشفق الأرحم مولانا (عبد الحميد خان الثاني) أيده الله بالسبع المثاني. فلا ريب ان هذه الخدمات الصادقة المخصوصة تكون كافلة لسعادته لتحصيل الرضا العالي من جلالة الملك الأعظم وبذلك جرى البلاغ لسعادته والاشعار بمقام الشكر ومعرض الممنونية فنحن نثني الثناء الجميل ونكرر المدح العريض الطويل على سعادة مبارك باشا الصباح حيث عرض بهذه الصورة ما انطوى عليه من الصداقه واعلن جدى المتابعة لولي النعم جلالة ظل الله).

عبدالرحمن حسن بك

تولى البصرة من ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م الى ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م

كان هذا الوالي منحرفاً بسياسته عن الشيخ مبارك وكان يميل ويسعى لمعاكسته واظهار العداء اليه وحدث ان اشترى الشيخ مبارك قسماً من النخيل من بعض عائلة الزهير بالبصرة كما اشترى نخيلاً أخرى من سعدون باشا بمبلغ ثمانية آلاف ليرة عثمانية ولما اراد تسجيلها باسمه في دائرة تسجيل الاملاك (الطابو) عارض في ذلك والي البصرة عبدالرحمن حسن بك محتجاً بأن الشيخ مبارك لا يحمل جنسية عثمانية [١] وقد جرت مخابرات طويلة عريضة مع اسطنبول في هذا الشأن ولكن جميعها لم تجد نفعاً .

كانت الدولة العثمانية في عهد ولاية قمندان البحرية المير لواء علي رضا باشا على البصرة في عام ١٣٠٢ هـ ١٨٨٢ م اقامت ثكنة عسكرية بناحية الفاو في وسط أملاك الشيخ مبارك واسكنت بها بعضاً من جنودها وفي شهر شعبان من عام ١٣٢٥ هـ ١٩٠٥ م قام الجنود العثمانيون المرابطون في تلك الثكنة بكسر سدود الفاو عناداً للشيخ مبارك ولالحاق الضرر بأملاكه فقدم الشيخ مبارك احتجاجاً الى والي البصرة عبدالرحمن حسن بك يطلب فيه أن تكف ايدي الجنود عن القيام بمثل تلك الأعمال التي لا طائل تحتها غير إثارة الفتن واحداث الشقاق ويقول له في ذلك الاحتجاج (اني غير مسؤول في المستقبل عما سيحدث من أثر ذلك من الاضطرابات أو الثورات في الفاو اذا ما تمادى الجنود في عبثهم واستمروا على القيام بمثل هذه الاعمال التى لا تجدي نفعاً) .

وظل الجفاء بين الشيخ مبارك وبين هذا الوالي الى ان ترك الاخير ولاية البصرة هارباً الى الهنـــد .

---

(١) بالرغم من علم الوالي التام بأن كافة القبائل العثمانية لم تكن يومئذ لديهم جنسيات عثمانية .

محرّم بك

تولى البصرة من ١٣٢٦ هـ ١٩٠٦ م الى ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م

لعل الوالي محرم بك كان من أشد الولاة وطئة واقساهم عناداً وعداءً الى الشيخ مبارك وما كاد يتولى شؤون ولاية البصرة حتى استأنف المخابرات التي جرت في عهد سلفه حول أملاك الشيخ مبارك وقد ضرب هذا الوالي على وتر حساس مدعياً بأن النخيل التي اشتراها الشيخ مبارك انها لا تعود له بل انه يشتريها الى الحكومةالانكليزية وان الشيخ مبارك يمتنع عن استحصال الجنسية العثمانية ليبتعد عن تابعية الدولة العثمانية .

ففكر الشيخ مبارك بطريقة لازالة هذه التهم عنه فأراد ان يستحصل على جنسية عثمانية ولما طلب مشورة السر برسي كاكس (المعتمد السياسي البريطاني في الخليج) في استحصال الجنسية العثمانية نهاه الأخير عن ذلك وتوسط السر برسي كاكس لدى ولاية البصرة بعدم مضايقة الشيخ مبارك في املاكه فقبلت الوساطة بعض الشيء وعزم الشيخ مبارك على تسجيل تلك املاك بأسماء زوجاته وأولاده وجرت اقدامات تمهيدية في هذا الشأن ولكنها لم تنجز .

سليمان نظيف الديار بكري

تولى البصرة من ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م الى ١٣٢٨ هـ ١٩٠٩ م

كان سليمان نظيف من أحزم وأعلم ولاة البصرة ومن أجرئهم واصلبهم وأشدهم مراساً ولما تولى شؤون ولاية البصرة مد اليه الشيخ مبارك والشيخ خزعل يد الطاعة والمصافحة وصافياه في بادىء الأمر وانتسبا الى

جمعية الاتحاد والترقي مسايرة ومما يلة اليه ولما أراد الوالي المذكور فتح شارع يصل مدينة البصرة بالعشار على ساحل النهر (الجادة الرشادية ولعل هذا الشارع من أهم أعمال ذلك الوالي وأفيدها) بادر الشيخ مبارك بدفع المساعدة المالية لهذا المشروع

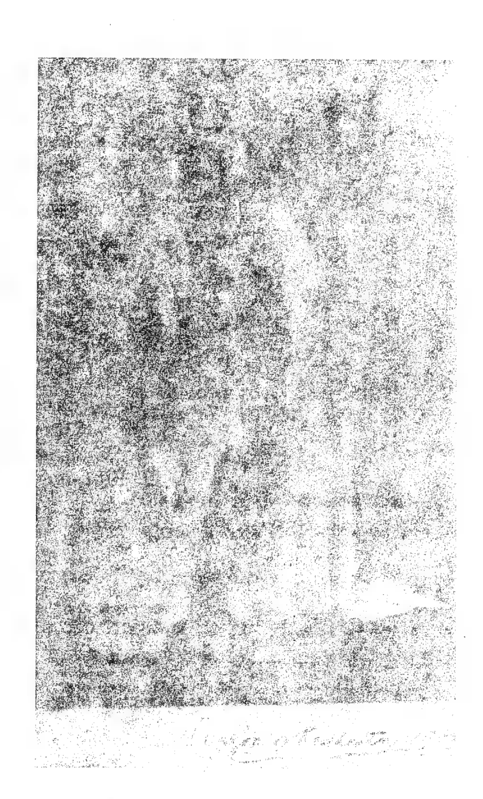
وعندما اكمل وبوشر للاحتفال بفتحه كتب الوالي كتاباً الى الشيخ مبارك يخبره بذلك ويطلب ارسال احـد معتمديه لينظر العمل المستمر ويقف عـلى أهمية ذلك الشارع فأرسـل الشيخ مبارك الحاج عبدالعزيز السالم البدر لهذا الغرض وكتب إلى الوالي الكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب العطوفة والي ولاية البصرة الجليلة سليمان نظيف بك المحترم دام موفقاً .

بعد تقديم واجب الاحترامات الفائقة هو أن يد المودة تناولت أمركم المؤرخ ٢٦ صفر سنة ٣٢٨ فكررة قرائته ووقفة على جميع مندرجاته فصرة للغاية مسرور من حيث أكملت الجادة الرشادية بهمت مساعيكم المبرورة الموجهة لتكميل وسائط الراحة للمارين حسب ارادة مولانا أمير المؤمنين والذي زادني سروراً لنا اشركتوني معكم في هذا العمل الخيري الذي لم اقدم عليه أهم عمل لي وانكان لا استغني عن وجود ذو العزة معتمدي عبدالعزيز افندي السالم لانه عندي بمقام ولداً واعتمد عليه في جميع الاشغال ولكن رئيت هذا العمل المقدس الذي فيه خدمت دولتي ووطني اهم واقدم حسب أمركم العالي في امتثال امرت عبدالعزيز السالم ان يتوجه ويتمثل أمركم وانشاء الله في هذا (الميل) الذي يسافر بكره نهار الجمعة يتفق مع ذو العزة مهندس النافعة عبدالعزيز أفندي وأنشاء الله — بأسرع وقت ينجح عملكم المبرور هذا ولبيان الكيفية بادرنا بتقديم ذريعت الوداديـة مؤملين حسن توجهاتكم وعلى كل حال الأمر والأراده لعطوفتكم افندم .

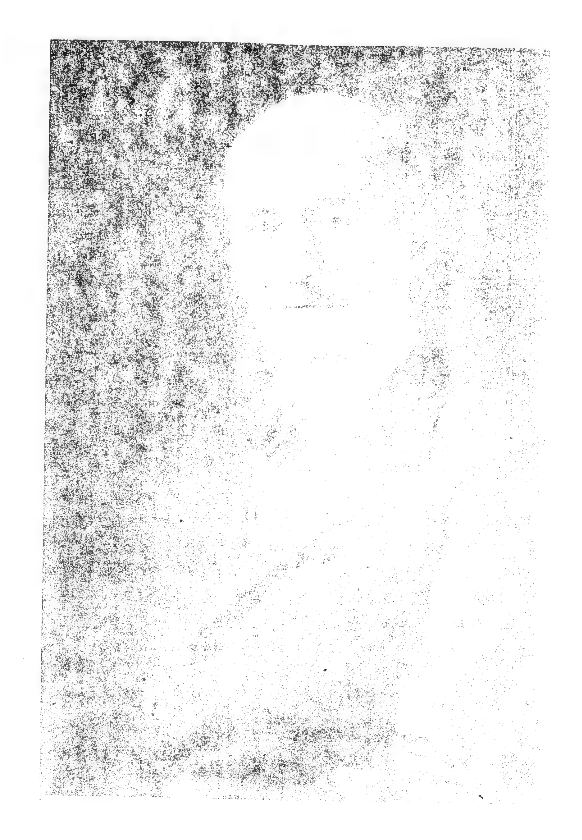
حاكم الكويت ورئيس قبائلها
مبارك الصباح »

٢٨ صفر سنة ١٣٢٨

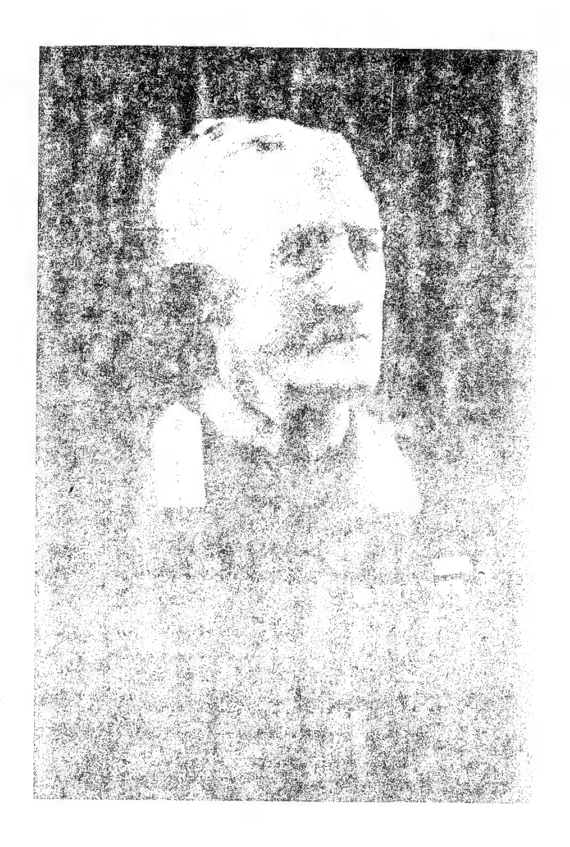


(١٣) اللورد كرزن (نائب ملك بريطانيا في الهند)

(راجع صفحة ١٦٤)



(١٤) اللورد هردنك (نائب ملك بريطانيا في الهند) (راجع صفحة ١٦٤)



(١٥) السير برسي كاكس (المعتمد السياسي البريطاني في الخليج)
(راجع صفحة ٦٩)

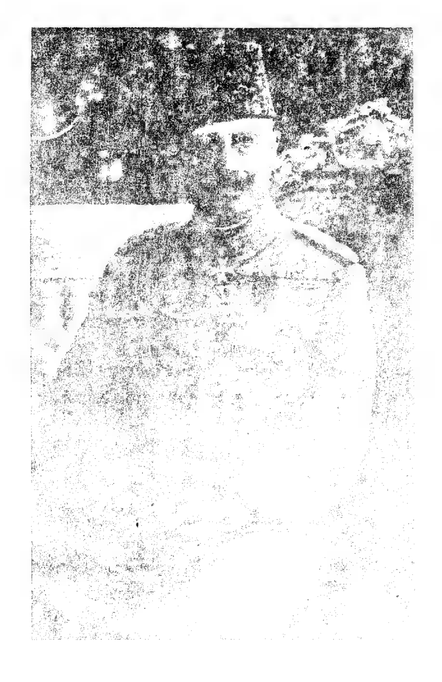


(١٦) ميجر ناكس مع زوجته (اول معتمد سياسي بريطاني في الكويت) (راجع صفحة ١٣٨)



(١٧) الكبتن شكسبير (ثاني معتمد سياسي بريطاني في الكويت)

(راجع صفحة ١٤٠)



(١٣) غليوم الثاني (امبراطور ألمانيا) (راجع صفحة ٦١)

ولكن علاقة سليمان نظيف لم تدم حسنة حتى الاخير مع الشيخين فانه قلب لهما ظهر المجن واظهر لهما العداء السافر وصار يسعى السعي الحثيث لالحاق الاذى بهما فاضطرا الى – الابتعاد عنه ولاخذ الحذر والحيطة من سياسته فناصرهما في ذلك السيد طالب النقيب فقدموا شكاياتهم الى اسطنبول برقياً عن تصرفات ذلك الوالي الهوجاء معهم فسمعت لهم وصدر الأمر من الباب العالي بنقله عن ولاية البصرة في عام ١٣٢٧ ﻫ ١٩١٠ م

حسين جلال بك

تولى البصرة من ١٣٢٨ ﻫ ١٩١٠ م الى ١٣٢٩ ﻫ ١٩١١ م

كان حسين جلال بك من ولاة البصرة الهادئين ومن المحبين للسلام ولم يحدث في فترة ولايته ما يكدر الصفو ويقلق البال وكانت علاقته مع الشيخ مبارك حسنة جداً .

وقد حدث حريق هائل في اسطنبول ترك الألوف من سكانها بلا مأوى فأخذ هذا الوالي يستحث هم اهالي البصرة لجمع التبرعات لأولئك المتضررين من ذلك الحريق فكتب كتاباً إلى الشيخ مبارك يدعوه للاشتراك في هذا العمل الخيري فأجابه الشيخ مبارك وأرسل اليه حوالة مالية بمبلغ خمسة آلاف ليرة عثمانية بواسطة سعود الخالد الخضير التاجر المعروف بالبصرة .

حسن رضا باشا البغدادي

تولى البصرة من ١٣٢٩ ﻫ ١٩١١ م الى ١٣٣٠ ﻫ ١٩١٢ م

تولى حسن رضا باشا البصرة وكانت تحيط الدولة العثمانية ظروف سيئة وقد نشبت في أطرافها الثورات وفتحت الدول الاوروبية افواهها من

كل جانب لتبتلعها وهي مسجاة على فراش الموت وقد بذل هذا الوالي اقصى جهده لتهدئة الوضع في ولاية البصرة وانتشال تلك المنطقة من القلاقل والفتن وطلب من أمراء العرب الذين في الاقطار المجاورة مساعدة الدولة العثمانية كل بحسب استطاعتــه .

شكاية سكان الجبيل

كانت الوكرة آهلة بالسكان وكان جل اعتماد سكانها على الغوص وكانت الرئاسة فيها لعشيرة آل (ابوعينين) اصهار بني خالد وأميرهم يومئذ علي بن راشد ثم تولاها ولده عبدالله وفي عام ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م حدث بينهم نزاع فقصدوا الشيخ قاسم بن محمد الثاني امير قطر ليحل ذلك النزاع فلم يجد الشيخ قاسم المذكور أحسن حلاً لذلك النزاع من اسناد أمرة الوكرة الى ولده عبدالرحمن وكان عبدالرحمن صارماً في حكمه فاشتد النزاع بينهم وبينه حتى اضطروا الى هجرة وطنهم وذلك في عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م فالتجوا الى الكويت وطلبوا من الشيخ مبارك حمايتهم وان يفسح لهم للسكنى في محل خارج مدينة الكويت فعين لهم الشيخ مبارك محلاً في امارته لسكناهم .

وبعد ان استقاموا مدة قصيرة في الكويت لم يطلب لهم البقاء فيها فهجروها وذهبوا الى محل يدعى (الجبيل) وهي من المناطق التابعة الى الاحساء التي كانت يومئذ تحت نفوذ الدولة العثمانية المباشر فخشي الشيخ مبارك ان تتكون من (الجبيل) بلدة تزاحم الكويت في المستقبل فأشار من طرف خفي الى بني خالد الذين كانوا يقطنون في قرب تلك المناطق ليضيقوا على آل (أبوعينين) ويقلقوا راحتهم ثم وجه سرية وأسند قيادتها الى الشيخ علي الخليفة ليحث بني خالد على الاستمرار بمواصلة الأذى اليهم .

فرفع سكان الجبيل شكاية الى والي البصرة (حسن رضا باشا) تتضمن (بأن الشيخ مبارك قد حرض بني خالد على اقلاق راحتهم) فكتب الوالي المذكور كتاباً الى الشيخ مبارك في سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م يطلب منه كف يده عن التدخل في شؤون اهالي الجبيل وعدم التعرض لهم ويقول له فيه (بأن الحالة الحاضرة التي عليها الدولة العثمانية لا تتطلب من المخلصين اليها القيام بمثل هذه الأمور الصغيرة التي لا موقع لها الآن وانما المتطلب منهم – مصافاتها والقيام بخدمتها وانقاذها من تلك الهوة السحيقة.)

فأجابه الشيخ مبارك بكتاب ينكر فيه تعرضه لاهالي الجبيل وتحريضه لبني خالد عليهم وان ما قدمه اهالي الجبيل من الشكاية لم يكن الا من باب الوهم والخطأ وعدم التروي ويظهر فيه استعداده التام للقيام بمناصرة الدولة العثمانية بكلما اوتى من قوة وامكان وانه قدكتب ايضاً الى الأمير عبدالعزيز السعود ان ينضم اليه لمناصرة الدولة فاضطر والي البصرة لقبول تلك المعذرة واعتصم بالصمت بعد أن شكر الشيخ مبارك على قولـه.

مساعدة الشيخ مبارك الدولة العثمانية
في حرب طرابلس

لما اشتبكت الدولة العثمانية بحرب طرابلس الغرب كتب الشيخ مبارك كتاباً الى والي البصرة (حسين رضا باشا) يظهر له استعداده واستعداد الامير عبدالعزيز السعود لارسال المجاهدين من عشائرهم التي لا يقل عددها عن الستين الفاً وقدم مع ذلك الكتاب اعانة مالية قدرها ثلاثة آلاف ليرة عثمانيـة.

فأجابه الوالي المذكور بكتاب مؤرخ ٢٦ صفر ١٣٣٠ هـ ١٩١١ م يشكره فيه على حميته وغيرته على الدولة ويعلمه بعدم الاحتياج الى المجاهدين واما الاعانة المالية فقد قبلت مع الشكر الجزيل وقد دفع نصفها الى المقاتلين في طرابلس وأما النصف الآخر فقد خصص الى الاسطول البحري.

اجراءات الامير عبد العزيز السعود

اما الامير عبدالعزيز السعود فلما بلغه كتاب الشيخ مبارك الصباح الذي يستحثه فيه لمناصرة الدولة العثمانية أبرق البرقيات الآتية : —

« لاعتاب الخلافة

عبوديتي وخدماتي لمقام الخلافة الاسلامية معلومة وثابتة عند اولياء الامور وان سكان جزيرة نجد عموماً قلباً وقالباً قد تحركت النخوة العربية في عروقها حين ما بلغهم اعتداء الطغاة الطليان جعل الله كيدهم في نحورهم واصان الدولة الاسلامية من تجاوزاتهم وجميعنا على استعداد للدفاع عن الدولة بسيوفنا واموالنا وارواحنا ومنتظرين الاشارة من مقام الخلافة والامر لكم .

خادم الدولة امير نجد ورئيس عشائرها

عبد العزيزالسعود »

وقد ابرق البرقية الآتية معنونة الى الصدر الاعظم سعيد حلمي عند توليه الصدارة

(اليوم نفتخر نحن مع سكان نجد بتوجيه الصدارة لعهدتكم واننا آمنين في تسوية المشاكل الحاضرة بهمتكم المشهورة واننا على استعداد لمعاونـة الدولة بأرواحنا ومنتظرين امركم السامي .

خادم الدولة

امير نجد ورئيس عشائرها

عبدالعزيز السعود »

كما انه ابرق الى نظارة الداخلية ونظارة الحربية برقيتين بالمعنى المذكور

وقد وردت اليه الاجوبة الآتية بوسطة والي البصرة
(الى حضرة صاحب السعادة عبدالعزيز باشا آل سعود المحترم
بعد السلام عليكم

قد اخذنا اليوم تلغرافاً من نظارة الداخلية يفيد ما اظهرتموه من ضميركم السليم وفكركم المستقيم من الحياة الوطنية ومحض الغيرة العربية والحمية الاسلامية الى ملجأ الخلافة العظمى وملاذ السلطنة الكبرى قد استلزم خالص الممنونية فنتقدم لحضرتكم على هذا التوجيه الملوكي واللطف السلطاني خالص التهنئة والتبريك سائلين المولى حسن التوفيق ولا زلتم سالمين

والي ولاية البصرة
حسن رضا)

(حضرة صاحب السعادة أمير نجد المحترم
تكررت الادعية بمظهريتنا للمظفريات المتمادية وقد صار التبريك موجباً للممنونيـــة

الصدر الاعظم
سعيد)

(الى ولاية والبصرة
ان التلغراف الذي سحب من البصرة بامضاء عبدالعزيز آل سعود الى القبة السلطانية قد قرأوها . انا ابلغكم بموجب الامر السامي ان تبلغوه ممنونية الدولة من حسياته الوطنية)

ناظر الداخلية
فؤاد »

(الى السيد امير نجد عبدالعزيز سعود باشا
نشكر حميتكم صرنا محظوظين جداً من مربوطيتكم بمقام الخلافة كونوا مستريحين نشعركم حين الاقتضاء

ناظر الحربيــة
محمود شوكت »

علي رضا باشا الركابي

تولى البصرة من ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م الى ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م

لما آلت ولاية البصرة بالوكالة الى عهدة علي رضا باشا الركابي تحسنت الحالة بينه وبين الشيخ مبارك كثيراً

منح الشيخ مبارك الوسام المجيدي

حينما شرعت الدولة العثمانية بمد الخط الحديد الحجازي تبرع الشيخ مبارك بمبلغ ألف ليرة عثمانية لذلك المشروع فرأت الدولة العثمانية ان تكافئه على هذه الخدمات فأصدرت امرها بمنحه الوسام المجيدي من الدرجة الاولى لتشجيعه على حفظ الولاء ولتنسيه ما كان قد صدر منها عليه من الاساءات الماضية .

فكتب اليه والي البصرة (على رضا باشا) كتاباً بتاريخ ١١ صفر عام ١٣٣٠ هـ ١٩١١ م يبشره بمنح الدولة اياه ذلك الوسام .

وفي ١٥ صفر سافر وفد من البصرة برئاسة الشيخ عبدالملك الشواف قاصداً الكويت لكي يقلد الشيخ مبارك ذلك الوسام فوجد الكويت قد اخذت الاهبة والاستعدادات اللازمة لاستقباله واقام لهم الشيخ مبارك مأدبة فاخرة حضرها اعيان ووجوه البلد فقلدوه ذلك الوسام ثم رجع الوفد الى البصرة وهو يحمل معه الى واليها تشكرات الشيخ مبارك وجزيل امتنانــه .

مساعدات الشيخ مبارك الصباح

في لجنة الاعانة الحربية

عندما اشتبكت الدولة العثمانية في حربها بالبلغار تشكلت لجان في انحاء المملكة العثمانية لجمع التبرعات للدولة وقد انتخب السيد طالب النقيب ليكون ناظراً للجنة الاعانة الحربية في البصرة وقد جمعت على يده مبالغ جسيمة

من امراء العرب ولا سيما منهم امارات الخليج العربي .

اما الشيخ مبارك فلم يكن بحاجة لمن يدعوه للاشتراك بالتبرع لمساعدة الدولة فعندما تشكلت تلك اللجنة تبرع بمبلغ قدره احدى عشر الف ليرة عثمانية وكتب الى السيد طالب النقيب الكتاب الآتي : —

« لحضرة ولدنا العزيز حميد الشيم المحترم نقيب زادة صاحب العطوفة طالب بك المفخم

بعد مزيد السلام والاستفسار عن خاطركم ولله الحمد والثنا بأننا في الخير والسرور ونسأله ان يهبكم نصيباً من ذلك .

قبلاً تقدم لعطوفتكم مكتوب بتاريخ ٢٩ محرم وارمل انه وصل وانتم بكمال الخير والسرور وارسلنا حوالة بواسطة محسوبكم ولدنا صاحب العزة عبدالعزيز السالم بمبلغ أربعة آلاف ليرة ليصير تسليمها تحت نظركم وتنسيبكم وايضاً بواسطة محسوبكم ولدنا عبدالعزيز السالم بعد يومين في مركب مشرف سنرسل بقية اعانتنا وهي سبعة آلاف ليرة وتسلم بنظركم ورأيكم وبذلك يبلغ مقدار اعانتنا جميعها احدى عشر الف ليرة .

وعو ذا يا ولدنا قد اجرينا ما هو لازم علينا نحو دولتنا المتبوعة وننتظر من انصافكم ما يليق بحق شرفنا لان الخدمات المالية والبدنية المتصلة نؤمل على كل حال ان يصير تقديرها .

ونؤمل دوام محبتكم وتبليغ سلامنا الى اخينا صاحب العطوفة حضرة علي رضا باشا ومن هنا اخوانكم اولادنا جابر واخوته يسلمون عليكم ولا تقطعوا عنا بشائر صحتكم مهما يلزم ودمتم والسلامة .

خاتم

تاريخ ١ صفر الخير ١٣٣٠ هـ مبارك الصباح »

وكانت جميع تلك التبرعات التي تجمع في البصرة ترسل الى اسطنبول بواسطة السيد طالب النقيب وعلى هذا فقد ارسل اليه ناظر المالية عبد الرحمن باشا البرقية الآتية

(من مكرى كرى نومره ٢١٩١ رسمى

ناظر الاعانة الحربية في البصرة طالب بك

ج ٥ كانون الثاني ٣٢٨ . انه لدليل جلي على فطرة حميتكم وخدماتكم الوطنية ما ابرزتموه في هذا الاوان من سد احتياجات الحربية المبرمة بالمبالغ التي يعسر تداركها من الخارج وواجب التقدير جداً ومتمنا ان تبلغوا اخص شكرنا لاهالي البحرين المسلمين ولحضرة مبارك باشا الصباح الذين بوطنيتكم وتشويقكم سارعوا سابقين امثالهم في أمر الاعانة

٦ كانون الثاني سنة ٣٢٨ رومى

ناظر المالية

عبدالرحمن »

وفي ٢٤ ربيع الاول ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م كتب وكيل والي البصرة على رضا باشا الركابي المذكور كتاباً الى الشيخ مبارك يعلمـــه بورود وصية من الباب العالي تتضمن السماح لـــه بتسجيل املاكـــه في دائرة الطابو هذا نصه :

« رقم ١٤

الى جناب الأجل الاكرم قائمقام الكويت صاحب السعادة حضرة الشيخ مبارك باشا الصباح المحترم دام علاه

سعادتلو افندم حضرتلرى

بعد اهداء السلام التام وابداء التحية والاحترام ابدى بأنه بناء على ما سبق منا من الاشعارات والتأكيدات فقد ورد الأمر باجراء المعاملة الفراغية لجنابكم واعطائكم الاوراق الخاقانية على الاصول كأمثالكم من العشائر العثمانية الغير محررة وعليه قد أجرينا هنا التبليغات اللازمة لمن يقتضي من الدوائر هذا وللبيان بادرنا بتبشير جنابكم ولا زلتم سالمين والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته

٢٤ ربيع الاول سنة ٣٣١ موافق ١٧ شباط سنة ٣٢٨

وكيل والي ولاية البصرة

وقائد فيلق بغداد»

فشكره الشيخ مبارك وباشر بتقديم الأوراق الرسمية لغرض تسجيل أملاكه التي كانت أمر تسجيلها في دائرة تسجيل الاملاك موقوفاً حتى ذلك الحين .

عزت باشا الكركوكلي

تولى البصرة من ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م الى ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م

تولى عزت باشا الكركوكلى ولاية البصرة بالوكالة فكانت علاقته حسنة مع الشيخ مبارك الصباح وفي مدة وكالته القصيرة لولاية البصرة كانت الثكنة العسكرية في الفاو قد تداعت واصبحت عديمة الفائدة فرفع الشيخ مبارك امرها الى الوالي المذكور وطلب اجراء الكشف عليها واصدار الامر بقلعها فذهب عزت باشا وذهب معه السيد طالب النقيب فأجريا الكشف عليها فاتضح لهما صدق الشيخ مبارك في عدم فائدتها فرفعا تقريراً الى اسطنبول فكتب الوالي المذكور كتاباً ودياً الى الشيخ مبارك يخبره بذلك فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب العطوفة وكيل ولايت البصرة الجليلة وقمندانها مير لواء الأخ عزة باشا المحترم دام الله توفيقه .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم السامي. هو أن يد الطاعة والاخلاص اخذة امركم العالي المؤرخ ١٥ صفر سنة ٣٣٢ وما أمرتم صار معلوم يا أخي تأخير الجواب ليس نسيان ودائماً أذكر عطوفتكم فقط ان لي عزم التوجه لطرفكم واحبة الجواب شفاهاً اذا حضرنا بخدمتكم وصار موانع خيرية اشتغال المركب فانشاء الله قريباً نحظر بخدمتكم هذا والمأمول دوام توجهاتكم

مع قبول احترامـاتي والامر لعطوفتكم افندم

٤ ربيع اول سنة ١٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها
مبارك الصباح

سليمان شفيق كمالي

من ١٣٣٢ ﻫ ١٩١٣ الى ١٣٣٢ ﻫ ١٩١٣ م

لم يتول ولاية البصرة منـذ تنحية سليمان نظيف عنها من الولاة من هو اقوى شكيمة وأشد بأساً من الوالي سليمان شفيق فلما تعين هذا الوالي لولاية البصرة زود بصلاحيات واسعة وكان الهدف الأكبر من ارساله لولايـة البصرة الاقلال من سلطة السيد طالب النقيب او بعبـارة اخرى القضاء على السيد طالب النقيب والتقليل من نفوذ الشيخ مبارك والشيخ خزعل ولكنه لما وصل البصرة وجابه الحقائق وجهاً لوجه وشاهد الواقع بعينه انصرف عما اوفد من اجله ورأى ان السياسة والمصلحة يومئذ تقضيان بمسايرة ومصافاة اولئك الأمراء والتمشي معهم جنباً الى جنب دون ان يحرك ساكناً فيحدث ما لا تحمد عقباه وباتباع هـذه السياسة تمكن من تحسين علاقة الدولة العثمانية بالامير عبدالعزيز السعود بواسطة جهود السيد طالب واستمال الشيخ مبارك الى جانبه وصافاه واستحصل له على الوسام العثماني الاول وامضى ايام ولايته على البصرة التي لم تدم طويلاً بسلام واطمئنان .

لقد طلب الشيخ مبارك الى الوالي المذكور استئناف النظر في تقرير سلفه عزت باشا لرفع اطلال الثكنة العسكرية في الفاو لعدم فائدتها بالكتاب الآتي : —

(حضرة صاحب العطوفة والي ولايت البصرة وقمندانها مير لواء سليمان باشا المحترم ادام الله توفيقه .

بعد تقديم الاحتراماة الفائقة لمقامكم السامي . اني المخلص اعرض

لحضرتكم العالية ان في ملكي الفاو صار محل اسم استحكام ولا منه افادة ولا لزوم الى الحكومة والا الشيء الذي فيه لزوم الى حكومتنا نحن نساعد فيه بل صار سبب اضرار ملكي واني استدعيت مراراً إجراء الكشف عليه من اسلافكم الفخام وراوا ماله لزوم للحكومة ولا هو محل استحكام ومع هذا انه تلف ولا بقى من اثاره الا مضرة بملكي وآخر الكشف من وكيل الولاية عزة باشا وعطوفة السيد طالب بك وراء ما منه لزوم وكيل الولاية عرف فانومل انشاء الله بوجود عطوفتكم وحسن مولاتكم لامور الدولة وراحة الرعية ان يزيل هذا المحل الذي هو مضراً لملكي وكدر خاطري لان ما نراء منه لزوم الى الحكومة والا الامر الذي منه لزوم للحكومة نحن نساعد فيه بأموالنا واحوالنا فانني التمس من حسن عدالتكم ان يحصل لنا الراحة والسرور . هذا وارجو توجهاتكم وعلى كل حال الامر والارادة لعطوفتكم افندم

٢٩ ربيع آخر سنة ٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها

مبارك الصباح »

منح الشيخ مبارك الوسام العثماني الاول

اراد الوالي سليمان شفيق ان تكافيء الدولة العثمانية الشيخ مبارك على خدماته المتواصلة فاقترح عليها ان تمنحه الوسام العثماني الاول فوافقت الدولة على اقتراحه فكتب الى الشيخ مبارك يبشره بموافقة الدولة العثمانية على منحه ذلك الوسام تقديراً لخدماته فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب العطوفة والي ولاية البصرة الجليلة وقمندانها مير لواء سليمان باشا المحترم دام توفيقه آمين .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم السامي . هو ان يد الطاعة والخلوص تناولة امركم العالي المؤرخ ٣ ج سنة ٣٣٢ وبه امرتم بناء على ثبات صداقتنا

ومحبتنا لدولتنا العلية العثمانية المؤيدة انشاء الله قد عرضتم لنظارة الداخلية الجليلة بما يلزم وقد ورد الأمر الجوابي لعطوفتكم تلغرافياً متضمناً توجيه الوسام العثماني من الدرجة الاولى .

فاني يا مخلصكم اقابل هذا اللطف والعناية الجليلة بمزيد الشكر والثناء والدعاء بدوام مولانا الخليفة المعظم ايده الله بنصره المبين فهذه التعطفاة السامية من حسن نواياكم ومأثر سجاياكم الصالحة للجامعة الأسلامية ربنا يؤيدكم ويوفقكم لكل ما فيه خير وصلاح للدولة والملة ويقرن مساعيكم بالتوفيق والنجاح ويوفقنا لكسب رضاكم .

هذا ولبيان ممنونيتي من عطوفتكم بادرنا بتقديم نميقة الخلوص راجياً دوام توجهاتكم القلبية وعلى كل حال الامر والارادة لعطوفتكم افندم

١١ ج ١ سنة ٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها

مبارك الصباح »

تقليد الشيخ مبارك ذلك الوسام

بتاريخ ١٢ جمادي الثاني سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م سافر وفد من البصرة الى الكويت يتكون من سامي بك ومدير معارف البصرة ومدعي عموم الاستئناف وجمال بك مرافق الوالي سليمان شفيق وقلدوا الشيخ مبارك ذلك الوسام باحتفال كبير ثم عاد الوفد الى البصرة وهم يحملون من الشيخ مبارك الى الوالي المذكور الكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب العطوفة والي ولاية البصرة الجليلة وقمندانها مير لواء سليمان باشا المحترم دام توفيقه .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم السامي هو أن يد الطاعة والخلوص تناولت أمركم العالي المؤرخ ١٢ جماد الاخر ١٣٣٢ وبه امرتم بناءً على باثبات خدمات مخلصكم السابقة واللاحقة في سبيل تأيد الخلافة الاسلامية

والدولت العلية العثمانية وجهة لعهدة المخلص الوسام العالي العثماني الذي سبق لنا التعريف عنه مع الهيئة المحترمة فقد شرفونا الذوات سامي بك ومدير المعارف ومدعى عموم الاستيناف وياور عطوفتكم الخصيص جمال بك. وجرى مراسم التعليق بكمال الاحترام وحصل لمخلصكم غاية السرور من هذه التعطفات الجليلة شاكراً الطافكم وحسن سجاياكم داعياً الى الله ان يؤيد مولانا الخليفة المعظم بالعز والنصر ويوفقكم لصلاح الدولة والملة. هذا ولبيان الممنونية بادرنا بتقديم نميقة الخلوص راجياً دوام توجهاتكم وعلى كل حال الامر والارادة لعطوفتكم افندم

٤ جماد الثاني سنة ١٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها

مبارك الصباح »

صبحي بك

تولى البصرة من ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ الى ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م

تولى صبحي بك ولاية البصرة بالوكالة بعد سفر واليها سليمان شفيق في عام ١٣٣٢ هـ وكانت ايام وكالته لولاية البصرة ايام اضطراب وقلاقل بالنظر لقيام الحرب العالمية الاولى واشتراك الدولة العثمانية فيها.

أما علاقته مع الشيخ مبارك فكانت ودية لا بأس بها ولكن الامور في ذلك الحين كانت قد تطورت وانفلت الأمر من يد الدولة العثمانية ولم يبق لولاتها تلك الروعة والهيبة المخيفة وكان صبحي بك قد صرف معظم جهوده لتحشيد الجيوش لصد هجمات الانكليز المنتظرة وقد الهاه هذا الأمر عن النظر في سواه من الامور الاخرى.

وكان الامير عبدالعزيز السعود قد كتب كتاباً الى صبحي بك يطلب منه السماح الى قبيلة مطير للالتحاق به ولكن تلك القبيلة كانت تخشى الذهاب للالتحاق خوفاً من تعرض قبائل الكويت اليها بسوء فكتب صبحي بك

كتاباً الى الشيخ مبارك يطلب منه السماح لتلك القبيلة بالمرور في بادية الكويت دون ان تتعرض اليها قبائله بسوء فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب السعادة وكيل والي ولاية البصرة وقمندانها ميرالاي صبحي بك المحترم دام علاه

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم العالي . هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت أمركم السامي الجوابي المؤرخ ١٢ رمضان ١٣٣٢ وبه امرتم ان عشيرة مطير ارسل عليهم ولدنا عبدالعزيز باشا السعود وبناءً يرحلون من محلهم الذين هم الآن فيه وانهم اجابو دعوته فقط انهم محاذرين من تعرضات عشائرنا بالطريق فيكونون من ذلك آمنين والدرب لهم مفتوح بدون مانع ولا محذور. وحامل هذه النميقة (صطام) ادمى ولدنا عبدالعزيز باشا السعود عنده يقين ان ما عليهم محذور من طوارفنا ولا بد يعرض ذلك لسعادتكم هذا والمأمول دوام توجهاتكم وعلى كل حال الامر والارادة لسعادتكم افندم

في ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها

مبارك الصباح »

حجز املاك الشيخ مبارك

اشيع في البصرة ان الشيخ مبارك الصباح سيناصر الحكومة البريطانية عندما تهاجم قواتها البصرة فأصدرت ولاية البصرة امرها بحجز املاك الشيخ مبارك التي بالفاو مدعية بأنه لم يدفع عنها الرسوم الاميرية المستحقة فكتب اليه قائممقام الفاو خالد بك كتاباً يخبره باجراء الحجز فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« حضرة الأجل الافخم صاحب العزة قائممقام الفاو خالد بك المحترم

دام محروساً .

غب السلام والسؤال عن خاطركم الانور وعنا بحمد الله في خير وسرور جعلكم الله كذلك .

بعده في ابرك ساعة اخذة يد الوداد كتابكم المؤرخ ٢٤ ذي القعدة ١٣٣٢ وما ابديتم فيه صار معلوم منجهة الحجز بلغني ذلك فأقول هذا حق الحكومة تطلب الميريات فالذي يتوقف او يبقى عليه بواقي فهو يستحق الحجز والتكدير وأنا بلغني منع ثمورات املاكي وكثير تعجبة من ذلك وتأسفة ان رجال دولتي انكان ملكية ام عسكرية ان يقبلون يجعلون اسم الحجز على املاكي لأن اسم الحجز يحس الشرف ويوجب على المستحق فانا يا محب ما اقاس الى غيري بالاعانات وتسلوم الميريات على الاشارة من الحكومة في اي تاريخ جاني امر من الحكومة ولا اجبت في تسلوم الميري وكيلي ذو العزة عبدالعزيز السالم الذي هو يأخذ ويعطي منطرف الميريات عندكم بالولاية فاطلبوا منه ميري وثم انا من ثلاث اشهر سئلت منه وقال ما طلبوا مني وما دام ما طلبوا مني مالي حق - اخاطبهم عن ذلك انتظر امرهم فالان املاكي ما هو بس نفس الفاو أملاكي واسعة الفداغية والمطوعة والعجيراوية وفي كردلان وتسلوم ميرياتها عند وكيلي المومى اليه والفلوس حاظرة عنده بالبصرة من فضل الله اطلبوا منه ذلك وأما هالحجز ما كان نستحقه من حكومتنا ولا منك ولا من محبنا اليوزباشي على موجب معرفتنا له يوم كان في ام الغروب كان يحصل منه مساعدة ومع هذا نحن هالحجز ما يظر اسمنا لكن يصير قصور في الامر رايضاً نحن هم نقبل كلما يجي منكم . هذا ما لزم ودمتم محروسين .

١٥ ذي القعدة ١٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلها

مبارك الصباح»

ومع هذا لما يشاء الشيخ مبارك ان يجعل مجالاً سبباً للشك أو الريب في

نواياه ضد الدولة العثمانية فلم يعاتب صبحي بك ولم يجافيه جفاءً ظاهراً . فلما قارب عيد الاضحى ارسل اليه كتاباً يهنئه بذلك العيد هذا نصه : —

« حضرة صاحب السعادة وكيل والي ولاية البصرة الجليلة وقمندانها ميرالاي الاخ صبحي بك المحترم دام موفقاً

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم العالي هو ان بمناسبة حلول عيد الاضحى السعيد بادرنا بتقديم واجبات التهنئة والتبريك لمقامكم السامي داعين لذاتكم الجليلة بمزيد العمر بالعز والاقبال وبلوغ الأماني والامال ولا زلتم انشاء الله تودعون عيداً وتستقبلون اعياداً متسربلين حلل الهنا والمسرات ولاجل تأدية مراسم التبريك بادرنا بتقديم تميقة الخلوص واتخذتها اجمل الوسيلة لتوثيق روابط المحبة راجياً شمول انظاركم مع قبول اجل احتراماتي والامر لسعادتكم افندم — حاكم الكويت ورئيس قبائلها

٩ ذا الحجة ١٣٣٢ — مبارك الصباح »

تبرع الشيخ مبارك بكمية من التمر

طلبت الدولة العثمانية عند اشتباكها بالحرب مع الحكومة البريطانية ان يتبرع اهالي البصرة بمقدار من التمور لتموين جيوشها فتبرع كل منهم بمقدار من التمور وقد كتب صبحي بك الى الشيخ مبارك يرجوه ان يتبرع بمقدار ثلاثة آلاف منا من التمر فتبرع الشيخ مبارك بذلك المقدار من التمر وكتب اليه الكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب السعادة وكيل والي ولاية البصرة وقائدها ورئيس قمسيون تكاليف الحربية ، اخينا صبحي بك المحترم دام علاه .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم العالي هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت أمركم السامي المؤرخ ١٠ ذي الحجة ١٣٣٢ وبه امرتم انه قد تقرر لدى الحكومة السنية اخذ مقدار من التمور من الاهالي الكرام لمأكول اخواني العساكر المنصورة انشاء الله بعناية الله وتأمر انني اقدم لجهة اخواني العساكر

المظفرة ثلاثة آلاف من تمر ساير حسب أمركم العالي حالاً عرفنا خادمكم ولدنا ذي العزة عبدالعزيز السالم في هذا الخصوص ويعرض لسعادتكم الكيفية وعلى كل حال الامر لكم افندم . حاكم الكويت ورئيس قبائلها

في ١٥ ذي الحجة ١٣٣٢ مبارك الصباح »

فتح القوات البريطانية للبصرة

وقطع صلات الشيخ مبارك بالدولة العثمانية

كان جاويد باشا (والي بغداد وقائد جميع القوات العثمانية بالعراق) قد أوفد رسله الى رؤساء وشيوخ القبائل العربية يستحث هممهم للدفاع عن العراق وصد القوات البريطانية التي ستهاجمه قريباً وكان من ضمن أولئك الرسل جارالله الدخيل فقد ارسله الى الامير عبدالعزيز السعود في نجد يطلب منه الزحف بعشائره النجدية الى العراق لمساعدة الدولة العثمانية ضد اعدائها وحين مرور جاءالله المذكور بالكويت وردت رسالة من صبحي بك الى الشيخ مبارك يطلب منه اجراء التسهيلات لرجال العشائر الموالين الى الدولة العثمانية ومساعدتهم فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« حضرة صاحب السعادة وكيل والي ولاية البصرة الجليلة وقائدها ميرالاي اخينا صبحي بك المحترم دام توفيقه

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم العالي هو أن يد الطاعة والخلوص تناولة — امركم السامي الجوابي المؤرخ ١٣ ذي الحجة ٣٣٢ وبه أمرتم اننا نجري ما يلزم من التسهيلات والمعاونات لرجالكم الذين يتوجهون لطرفنا فعلى كل حال انشاء الله نعمل حسبما امر سعادتكم مع الممنونية والتشرف بكلما يقتضي . انما سعادتكم ما وضحتم لمخلصكم عن تشخيص رجالكم المذكورين من أي عشيرة فبحسب تعريف خادمكم ولدنا ذو العزة عبد

العزيز السالم انهما من عشيرة الظفير فالحال شيوخ عشيرة الظفير محمد ابن جعيلان وسيف ابن ضويحي وحمدان بن ضويحي وصلوا لطرفنا وافدين وسئلناهم عن منزلهم الذين هما فيه بحضور جارالله الدخيل المبعوث من حضرة عطوفة والي بغداد الى امير نجد ابن السعود واجابوا ان منزلهم الآن على الصقلاوية وباقين فيه يتجولون باطرافه وامرتم اننا نعرض لسعادتكم مسموعاتنا فالذي يبلغنا بالصحة التامة نعرضه بواسطة خادمكم عبد العزيز هذا والمأمول دوام توجهاتكم القلبية والامر لكم افندم حاكم الكويت ورئيس قبائلها

في ١٦ ذي الحجة ١٣٣٢ مبارك الصباح »

ثم تم للقوات البريطانية احتلال البصرة وباحتلالها انقطعت جميع الصلات بين الشيخ مبارك وبين الدولة العثمانية انقطاعاً باتاً .

علم الكويت

لم تكن لحكام الكويت السابقين سارية يرفع عليها العلم بصورة رسمية ولما تولى الشيخ مبارك الحكم في الكويت وضع سارية عالية قرب البحر واخرى صغيرة على الدار التي كان يسكنها ورفع في اعلاهما العلم العثماني حتى نشوب الحرب العظمى الاولى واحتلال القوات البريطانية مدينة البصرة من يد العثمانيين .

فحدث ان كانت احدى السفن التجارية الكويتية العائدة الى الحاج حمد الصقر التاجر الكويتي الشهير وهي في طريقها من البصرة الى الكويت كانت رافعة على ساريتها علماً عثمانياً كما هي عادة جميع السفن الكويتية فتعرضت اليها القوات البريطانية بالقرب من الفاو واطلقت عليها بعض العيارات النارية فاخبرهم ربانها بان السفينة كويتية ولا علاقة لها مطلقاً بالدولة العثمانية .

وعلى اثر هذه الحادثة دارت مخابرات بين الشيخ مبارك وبين السر

بيرسي كوكس فاقترح الاخير انزال العلم العثماني عن ربوع الكويت وعن سفنها واتخاذ شعار آخر لكيلا تكن هدفاً لقصف مدفعية الاساطيل البريطانية عن خطأ أو نحوه.

وفي عام ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م عزم الشيخ مبارك على زيارة الشيخ خزعل بالمحمرة بيخته الخاص (مشرف) فأمر بانزال العلم العثماني عن ساريته ورفع محله علماً ذا لون أحمر مكتوب في وسطه بحروف بيضاء كلمة (كويت) ثم اتخذ بعد ذلك هذا العلم رمزاً رسمياً لامارة الكويت.

مطامع الدول الاوروبية في الخليج

لقد ظهرت اهمية الخليج للدول الاوروبية عام ١١٨٨ هـ ١٧٧٣ م في اعقاب الحرب التي نشبت بين بريطانيا وفرنسا على الهند والمعروفة بحرب السنوات السبع المبتدئة في عام ١١٧٢ هـ ١٧٥٦ والمنتهية في عام ١١٧٨ هـ ١٧٦٢ م والتي حققت انتصارات كبرى بالنسبة لبريطانيا وخسائر فادحة للنفوذ الفرنسي الذي آل بعدها الى الزوال .

وما ان انتهت حرب السنوات السبع حتى بدأت بريطانيا تعد الخطة والمشاريع لبسط نفوذها على الخليج العربي وتأمين الطريق البحري بين البصرة وبومبي حيث كانت البضائع تصل الى البصرة ثم تنقل براً الى حلب ؛

وكانت البصرة في ذلك الحين من اهم المراكز التجارية لاسيما لبريطانيا لان طريق البحر الاحمر كان خاضعاً للدولة العثمانية ولم تكن تسمح للدول الاوروبية باجتيازه بحجة المحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة فاستعاضوا عنه بطريق الخليج العربي واول خطوة اتخذتها حكومة الهند البريطانية هي انشاء قنصلية لها في البصرة وذلك عام ١١٨٠ هـ ١٧٦٤ م

وبعد ان تم للحكومة البريطانية ذلك اصبح من الضروري لها ان تمد سيطرتها على الخليج العربي بالنسبة لمصالحها فاخذت تعنى بشؤون الامارات العربية الواقعة على سواحله .

وكان هدفها الاول التقرب اليهم واستدراجهم بالحسنى للمحافظة على

طريق الهند وكان هدفها الثاني توثيق علاقاتها السياسية الودية مع الدولة العثمانية غير ان هجوم نابليون بونابرت في عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م على مصر وتصريحاته عن نواياه بشأن الهند قد حفز الحكومة البريطانية للجنوح قليلاً في سياستها الودية في الخليج العربي الى القوة فاحتلت جزيرة بريم وقوتها استعداداً للصمود في وجه نابليون اذا ما عزم على التوجه الى الهند .

وقد كانت جزيرة بريم رديئة المناخ متغيرة الهواء قليلة الماء العذب فانسحبت عنها الجيوش البريطانية نحو عدن وبقيت مرابطة هناك حتى زوال خطر نابليون عن الهند .

وظل الساسة البريطانيون منهمكين في جعل علاقاتهم حسنة وودية بالباب العالي الى ان حدث الخلاف بين الدولة العثمانية وبين محمد علي باشا الكبير والي مصر وهددت جيوشه باحتلال اسطنبول واخذت فرنسا في مساندته

فجلبت الحكومة البريطانية قطعات كثيرة من اسطولها الحربي ورابطت في مدخل البسفور فاعتبر السلطان العثماني هذا الموقف من بريطانيا موقفاً عدائياً بالنسبة اليه وتهديداً لحكومته فسمح للحكومة الروسية بانزال جيوشها على البسفور لحماية اسطنبول وعلى أثر ذلك عقدت الدولة العثمانية مع الحكومة الروسية معاهدة في عام ١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م سميت بمعاهدة (انكلير سكليس) خولت روسيا بموجبها حق التدخل بالشؤون العثمانية وقد تضمنت هذه المعاهدة مادة سرية تقضي (بأنه في حالة نشوب حرب بين روسيا ودولة اخرى فعلى تركيا ان تغلق أبواب الدردنيل عندما تقضي الضرورة بذلك او عندما تطلب اليها روسيا غلقها) .

ومن الطبيعي ان هذا الأمر لم يكن يرضي الدول الطامعة في الدولة العثمانية وعلى الأخص منها الحكومة البريطانية فقد سعت سعيا حثيثاً لابطال مفعول هذه المعاهدة فتوصلت لعقد معاهدة بينها وبين روسيا بالاشتراك مع — النمسا وبروسيا عرفت بمعاهدة لندن التي بموجبها ابطل مفعول معاهدة (انكلير سكليس)

غير ان مطامع الحكومة الروسية في الدولة العثمانية لم تنقطع فقد غزت الأراضي العثمانية بعد انهاء مفعول معاهدة (انكلير سكليس) فاضطرت الدولة العثمانية ان تعلن عليها الحرب وعرفت هذه الحرب (بحرب القرم) فسارعت بريطانيا وفرنسا الى مساعدة الدولة العثمانية الى ان اندحرت روسيا فتحسنت الحالة في الدولة العثمانية على اثر انعقاد (معاهدة باريس) في عام ١٢٧٩ هـ ١٨٥٦ م التي اعتبر بموجبها البحر الاسود منطقة حياد كما اتفقت الدول الاوروبية فيما بينهـــا على التخلي عن مصالحها التي كانت تتوسل بها للتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية مقابل اعلان السلطان العثماني حسن نواياه تجاه المسيحيين وقد كانت هذه المعاهدة احدى الاسباب التي ادت الى انهيار الدولة العثمانية فيما بعد .

وفي ظلال الحرب التي قامت بين فرنسا وبروسيا تمكنت الحكومـــة الروسية من استعادة مقامها في الدولة العثمانية على اثر انعقاد معاهدة (لندن الثانية) بتاريخ ١٢٨٩ هـ ١٨٧١ م التي بموجبها تحررت روسيا من (معاهدة باريس) واثبتت لها حقاً في ابقاء اسطولها في البحر الاسود .

ثم تنكرت الحكومة الروسية للدولة العثمانية وصممت على مناهضتها ولهذا اعلنت الحرب عليها في عام ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م وعرفت هذه الحرب (بحرب البلغار) فاضطرت الدولة العثمانية بعد بضعة اشهر من اعلان هذه الحرب الى قبول معاهدة (سان استيفانوس) بتاريخ ١٢٩٤ هـ ١٩ شباط ١٨٧٧ م التي قضت بخلق دولة بلغارية واسعة الحدود تمتد من بحر ايجه الى البحر الاسود .

وقد أثارت معاهدة (سان استيفانون) تخوف بريطانيا من مد سيطرة روسيا على شرقي أوروبا ومجاري دجلة والفرات الى الخليج العربي فأرسلت قطعاً من اسطولها الى البسفور مهددة روسيا واستمرت بتهديدها الى ان توصلت معها الى عقد مؤتمر في برلين كان الهدف منه اعادة النظر في معاهدة (سان استيفانوس) فعقدت معاهدة بتاريخ ١٢٩٥ هـ ١٣ تموز ١٨٧٨ م

عرفت (بمعاهدة برلين) وقد كانت تلك المعاهدة ملائمة للمصالح العثمانية وقد ادعى (دزرائيلي) ممثل الحكومة البريطانية في تلك المعاهدة انه اعاد الى الدولة العثمانية سلاماً مقروناً بالشرف .

وقد كان ادعائه عارياً عن الصحة وبعيداً عن الحقيقة لانه سرعان مـا انكشفت نوايا بريطانيا اذ انها عقدت اتفاقاً سرياً مع الدولة العثمانية بتاريخ ١٢٩٥ هـ ٢١ تموز ١٨٧٨ م في الاستانة خولت به بريطانيا احتلال جزيرة قبرص وعليها مقابل ذلك ان تحافظ على ممتلكات السلطان العثماني في آسيا من اي اعتداء دولي على ان يتعهد السلطان باصلاحات دينية في بلاده فاذا ما تحققت تلك الاصلاحات وعادت روسيا الى الدولة العثمانية كلاً من باطوم وقارس (قرص) واردهان عند ذلك ستعيد بريطانيا جزيرة قبرص الى الدولة العثمانيـة .

وقد ادى استيلاء بريطانيا على جزيرة قبرص الى اثارة مطامع الدول الاخرى فقد طالبت فرنسا باطلاق يدها في تونس كما ابدت ايطاليا مطامعها في كل من البانيا وطرابلس الغرب (ليبيـا) .

ولم يبق من الدول من حافظت على صداقتها مع الدولة العثمانية بعد (معاهدة برلين) الا الحكومة الالمانية لانها لم تطالب بشيء من ممتلكات الدولة العثمانيـة .

الحالة في الخليج العربي

اما الحالة السياسية في الخليج فهي بعد ان تمت الانتصارات للجيوش المصرية في الجزيرة العربية وتوسع نفوذها باندحار الوهابيين على يد ابراهيم باشا في عام ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م واتجهت انظار تلك الجيوش تلقاء اليمن اسرعت الحكومة البريطانية لمفاوضة سلطان لحج ليبيعها ميناء عدن بالثمن الذي يشاء غير ان السلطان المذكور رفض قبول هذا العرض وهدد مفاوضيه بالاعتقال والتنكيل بهم ان عادوا لمفاوضته بمثل ذلك .

الاستيلاء على عدن

قلق الانكليز لموقف سلطان لحج وخشوا مغبة التوسع المصري المتجه حول مدخل البحر الاحمر فعملوا على ان يسبقوا مصر الى احتلال اهم قاعدة في تلك المنطقة وهي عدن التي هي بمثابة المفتاح لمدخل البحر الاحمر وتصلح محطة لتزويد سفنهم التجارية في المحيط الهندي والبحار الشرقية بحاجتها من الفحم الحجري .

فرفعوا احتجاجاً الى سلطان لحج ادعوا فيه ان سفينة هندية كان يعلوها العلم البريطاني وفي اثناء مرورها على عدن تصدى لها السكان واستولوا على ما فيها وطالبوه بتعويضات مالية كبيرة تدفع اليهم او يحتلون عدن بالقوة وتحت هذا الضغط قبل السلطان ان يمنحهم قاعدة في عدن مقابل مقدار من المال يؤدونه في كل عام ولكن الاهالي وعلى رأسهم ابن السلطان عارضوا هذا الاتفاق فساق الانجليز عليهم قوة من اسطولهم فلم تصمد الاهالي امام تلك القوة وتم للانجليز احتلال عدن في عام ١٢٥٧ هـ ١٨٣٩ م — وعلى أثر البحث في مشروع قنال السويس احتلت الحكومة البريطانية جزيرة بريم (مرة ثانية) في عام ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م واشادت فيها منارة بحرية ومحطة للتلغراف .

ومن ثم أخذ النفوذ البريطاني يمتد نحو امارات الخليج العربية الاخرى فاعلنت حمايتها على مقلة (المكلا) وشحر .

وقد سبق لبريطانيا ان احتلت جزيرة سقطرى ثم هجرتها — ولكنها صارت موضع اهتمامها فيما بعد عندما بدأ الالمان في الظهور في الخليج العربي وبموجب معاهدة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م سمح لبريطانيا بالاستفادة من تلك الجزيرة وفي عام ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م ضمت الى محمياتها .

العلاقات البريطانية مع مسقط

في عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م ساند السيد سعيد بن سلطان (امام مسقط

وزنجبار الحكومة البريطانية في نضالها ضد الفرنسيين والهولنديين مدة الحرب بين هذه الدول من أجل السيطرة على الخليج وفي عام ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م تم عقد اول اتفاق خطي بين الحكومة البريطانية وبينه خول بريطانيا بموجبه بتأسيس مركز لممثلها – السياسي للاقامة في مسقط وكان اول ممثل لبريطانيا في مسقط (الطبيب الجراح) بوجل.

وفي عام ١٢٢٧ هـ ١٨١٢ م عقدت الحكومة البريطانية معاهدة أخرى معه تتعلق بمكافحة تجارة الرقيق وقد عدلت هذه المعاهدة في عام ١٢٣٨ هـ ١٨٢٢ م ثم احكمت العلاقات بينه وبينها عندما اهدى اليها جزيرة (كوريا وموريا) في عام ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م وبقي الأمر كذلك الى ان توفي السيد سعيد في عام ١٢٧٣ هـ حزيران ١٨٥٦ م فثار الخلاف بين ولديه مجيد وثويني على تولي الملك فتوسطت الحكومة البريطانية بينهما فاختصت زنجبار بالسيد مجيد وصارت سلطنة مسقط الى ثويني فعقد ثويني في عام ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م معاهدة مع الحكومة البريطانية لمد خط التلغراف في مسقط وفي عام ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م قتل ثويني فتولى الامر من بعده سلطانان من آل بوسعيد لمدة قصيرة ثم صار الأمر في مسقط الى الامام تركي بن سعيد فعقد في عام ١٢٩٨ هـ ١٨٧١ م معاهدة مع الحكومة البريطانية لمكافحة الرقيق وفي عام ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م تعهدت الحكومة البريطانية للامام تركي بالدفاع عن سلطنته من الاعتداءات الاجنبية.

وفي عام ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م توفي الامام تركي وتولى الامر من بعده ولده الثاني الامام فيصل وفي عام ١٣٠٩ هـ ١٨٩١ م عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية تعهد لها بموجبها باسمه وباسم من سيخلفه بانه لا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا يهب قسماً من أراضيه الى دولة اجنبية الا بمعرفة الحكومة البريطانية.

وان التعاون الوثيق بين سلاطين مسقط وبين الحكومة البريطانية من اجل مكافحة تجارة الرقيق والبحث عن مزاولي تجارته في مخابي الخليج مكن الحكومة البريطانية من مسح شواطيء الخليج جميعها.

العلاقات البريطانية مع امراء ُعمان

رأت الحكومة البريطانية من أجل القضاء على القرصنة ومكافحة تجارة الرقيق في الخليج العربي ان تعقد معاهدات سلام بينها وبين مجموعة من الامارات العربية الصغيرة وكانت اغلب الامارات واقعة فيما يسمى بعمان المهادنة او بالساحل المهادن وفي سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م عقدت اتفاقية مع شيخ (ابوظبي) كالآتي : ـ

«بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم الجميع ان الشيخ شخبوط ابن دياب التلاحق . حضر امام الجنرال السير وليام غرانت كير . وتم الاتفاق بينهما على الشروط الآتيـة :

المادة الاولى ـ اذا وجد في (ابوظبي) او اي مكان آخر يخص الشيخ شخبوط سفن تخص القوات العاصية التي هوجمت او يمكن ان تهاجم من قبل الجنرال في الحرب الحاضرة ضد القرصان فانه يسلم هذه السفن الى الجنرال .

المادة الثانية ـ سيقبل الشيخ شخبوط ضمن شروط المعاهدة العمومية مع العرب الاصدقاء .

كتب في رأس الخيمة في ٢٥ ربيع الاول عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١١ يناير عام ١٨٢٠ .

شخبوط و . غرانت كير »

ثم تلتها بمعاهدة مع الشيخ حسن بن علي (شيخ امالقيوين) الآتي نصهـا : ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم الجميع ان حسن بن علي حضر أمام الجنرال السير وليام غرانت

كير وتم الاتفاق بينهما على الشروط الآتية : —

المادة الاولى — ان وجدت سفن من سفن حسن بن علي في (شرغاه)[1] او امالقيوين او امام (ابوظبي) او في مكان آخر يذهب الجنرال اليه مع القوة فان هذه السفن ستسلم الى الجنرال . والجنرال سيسمح فقط بالذهاب لتلك التي تخص صيد اللؤلؤ او سفن صيد السمك .

المادة الثانية — سيسلم حسن بن علي جميع الاسرى الهنود ان كان احد منهم في قبضة يده .

المادة الثالثة — بعد ذلك يقبل حسن بن علي لشرط المعاهدة العمومية المعقودة مع أمراء العرب الذين اخضعوا .

كتب في رأس الخيمة قبل ظهر يوم السبت في ٢٩ ربيع الاول عام ١٢٣٥ م الموافق ١٥ يناير عام ١٨٢٠ م .

و . غرانت كير   حسن بن علي

وفي ذات العام عقدت اتفاقية سلام وقع عليها خمسة من شيوخ عمان ثم وقع عليها شيخ البحرين وهي كالآتي : —

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمر بالسلام رحمة بخلقه . لقد تأسس سلم دائم بين الحكومة البريطانية وبين القبائل العربية التي هي فريق في هذه المقاولة بالشروط الآتية : —

المادة الأولى — تقف أعمال السلب والقرصنة في البر والبحر ابدياً من قبل العرب الذين هم فريق في هذه المعاهدة .

المادة الثانية — اذا قام فرد من العرب المتعاقدين بمهاجمة ما يمر في البر والبحر ويخص أية امة كانت وذلك بطريق السلب والقرصنة وليس بطريق الحرب المعترف بها فانه يحسب عدواً للبشرية جمعاء ويحسب انه تبراء من ماله وحياته . والحرب المعترف بها هي الحرب التي تعلن وتدار ويؤمر بها

---

(١) الشارجه (الشارقة) .

من قبل حكومة ضد حكومة . واما قتل الناس واخذ اموالهم بدون اعلان وتصدير أوامر الحكومة فانه يحسب نهباً وقرصنة .

المادة الثالثة ــ العرب الخاضعون سوف يحملون في البر والبحر علماً احمر مكتوباً عليه او غير مكتوب حسب اختيارهم وهذا يكون في محيط ابيض وعرض الابيض المحيط مساوياً الى عرض الاحمر (كما هو ممثل في الهامش) وكل ذلك يعرف في البحرية البريطانية باسم الابيض الذي يخترقه احمر وهذا يكون علم العرب الأصدقاء وسوف يستعملونه دون سواه .

المادة الرابعة ــ ان القبائل التي اخضعت ستداوم على علاقاتها السابقة وستظل في حالة سلم مع الحكومة البريطانية ولن تحارب بعضها بعضاً والعلم سيكون دليلاً على ذلك وليس اكثر .

المادة الخامسة ــ سيكون في كل سفن العرب الاصدقاء ورقة (سجل) موقعة بتوقيع الزعيم ويذكر فيها اسم السفينة وطولها وعرضها ومقدار الكراع التي تحملها وسيكون ايضاً في حيازتها كتاب آخر (رخصة المرفأ) موقعة بتوقيع الزعيم ويذكر فيها اسم المالك والناخوذا [١] وعدد الرجال الذين فيها وعدد الاسلحة ومن أين سافرت ووقت سفرها والى أي مكان متجهة واذا التقت بها السفن البريطانية فانها ستبرز لها السجل ورخصة المرفأ .

المادة السادسة ــ اذا اراد العرب الاصدقاء ارسال رسول الى المقيم البريطاني في الخليج الفارسي مع الملحقين اللازمين فلهم ذلك وهذا سيبقى هنالك لاجل اتمام اعمالهم مع الوكالة . وان ارادت الحكومة البريطانية ارسال مندوب اليهم بالمقابلة فلها ذلك وهذا الرسول سيضع امضاءه مع امضاء الزعيم في ورقة السجل العائدة للسفن والتي تحوي طول السفينة وعرضها وحمولتها . وتوقيع هذا الرسول يجدد كل سنة . وكل هؤلاء الرسل يكونون على حساب فريقهم .

المادة السابعة ــ اذا لم تمتنع احدى القبائل او خلافها عن السلب والقرصنة

---

(١) النوخذا (ربان السفينة) .

فالعرب الاصدقاء يعملون ضدها بحسب مقدرتهم وحسب الظروف وسيعمل ترتيب لاجل تلك الغاية مع العرب الاصدقاء والحكومة البريطانية في الوقت الذي يقع فيه السلب أو القرصنة .

المادة الثامنة — قتل الرجال بعد تسليم السلاح يحسب عملاً من أعمال القرصنة . وليس من الحرب المعترف بها . واذا قتلت احدى القبائل اي شخص سواء كان مسلماً او خلاف ذلك بعد القائه السلاح فتحسب هذه القبيلة مخلة بالسلام . والعرب الاصدقاء سيعملوها ضدها بالمعاونة مع الحكومة البريطانية . وان شاء الله لن تقف الحرب الى ان يخضع اولئك الذين قاموا بالعمل والذين أمروا به .

المادة التاسعة — ان نقل العبيد والنساء والرجال والاطفال من شواطىء افريقيا أو خلافها في السفن هو عمل سلب وقرصنة والعرب الاصدقاء لن يعملوا عملاً بهذه الصفة .

المادة العاشرة — ان سفن العرب الاصدقاء التي تحمل العلم الموضح اعلاه يمكنها الدخول الى المرافىء البريطانية ومرافىء حلفاء البريطانيين بقدر ما يمكنهم تطبيقها . ويمكنهم البيع والعطاء هناك وان تعرض لهم احد فالحكومة البريطانية تلاحظ ذلك .

المادة الحادية عشرة — ان الشروط المذكورة اعلاه هي عمومية لجميع القبائل والاشخاص الذين يقبلونها فيما بعد بنفس الطريقة التي يقبلها الذين يوقعون عليها الآن (انتهى)

عملت في رأس الخيمة من ثلاث نسخ ظهر يوم السبت ٢٢ ربيع الاول عام ١٢٣٥ هـ الموافق ٨ يناير ١٨٢٠ م ووقع عليها من قبل المتعاقدين في الاوقات والأماكن الموضحة ادناه :

وقع عليها في رأس الخيمة حال صدورها

غرانت كير   حسن بن ابراهيم (شيخ خط وفلنه) في السابق (رأس الخيمة) رجب بن احمد (شيخ خورة القمر) .

« شخبوط (شيخ ابوظبي) ٢٥ ربيع أول عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١١ يناير عام ١٨٢٠ م صدق عليها الحاكم العام في مجلسه في ٢ ابريل عام ١٨٢٠ »

« سعيد بن سيف عم محمد بن هزاع بن زعل (شيخ دبى)
(سلطان بن صقر (شيخ شرغاه)

(سيد عبدالجليل بن سيد اياس. وكيل سليمان بن احمد والشيخ عبدالله بن أحمد خليفة (شيخا البحرين)

(سليمان بن أحمد بن خليفة (البحرين) في ٩ جمادي الأول عام ١٢٣٥ هـ عبدالله بن احمد بن خليفة في ٩ جمادي الأول عام ١٢٣٥ هـ)

(راشد بن حامد (شيخ العجمان) في ٢٩ جمادي الأول عام ١٢٣٥ هـ ٢٩ مارت)

وفي عام ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م عقدت معاهدات متفرقة مع كل شيخ من شيوخ عمان منفردة تتضمن وجوب عدم دخولهم بأي اتفاق مع أية دولة أجنبية وأن لا يسمحوا بأقامة ممثل لدولة أجنبية في بلادهم الا بموافقة بريطانيا.

العلاقات البريطانية مع البحرين

كانت الاوضاع السياسية في الخليج العربي في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر تقضي على الحكومة البريطانية القيام بايجاد عهد سلم وأمان في تلك المنطقة.

وكانت أولى مفاوضات الحكومة البريطانية مع أمراء البحرين في عام ١٢٢٩ هـ ١٨١٤م لما قام المستر (بروس) بزيارة الى البحرين فوصلها في ١٩ تموز ١٨١٤ م فاستقبله امير البحرين يومئذ الشيخ عبدالله بن احمد

الخليفة استقبالاً ودياً فتفاوض معه فأوقفه الشيخ عبدالله على استعداده لقبول الدخول مع بريطانيا بمعاهدة صداقة وانه دائماً يقابل السفن البريطانية مقابلة حسنة ويعاملها معاملة ودية عندما ترسو في ثغور امارته وينتظر مقابل ذلك ان تعامل الحكومة البريطانية سفنه بنفس المعاملة الطيبة فوعده بأنه سيسعى لعقد اتفاق بينه وبين الحكومة البريطانية يكون على غرار الاتفاق المعقود مع سلطان مسقط .

وفي ٩ جمادي الاول عام ١٢٣٥ هـ ٤ مارت ١٨٢٠ م اشترك امير البحرين (الشيخ عبدالله بن أحمد) بالتوقيع على المعاهدة العمومية المعقودة بين الحكومة البريطانية وبين شيوخ عمان .

وفي عام ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م توفي الشيخ عبدالله امير البحرين فتولى الأمر من بعده الشيخ محمد فعقد هذا معاهدة مع بريطانيا منفردة شبيهة بالمعاهدات المعقودة مع أمراء عمان بشأن مكافحة تجارة الرقيق ثم طلب من الحكومة البريطانية أن تتعهد له بحماية امارته من الاعتداءات الاجنبية فرفع البريطانيون السياسيون في الخليج تقريراً مسهباً الى حكومتهم لقبول حمايتها على البحرين ولكن هذا الطلب لم تستصوبه المراكز العليا البريطانية وبقيت البحرين تحت النظارة البريطانية فقط دون اعلان الحماية عليها .

ولما حل عام ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م واثيرت الدعاوي السياسية بين الدولتين العثمانية والايرانية بشأن تابعية البحرين خشي الشيخ محمد آل خليفة مغبة الأمر وتلافياً لما سيحدث من الأخطار قرر أن يعقد اتفاقية ثانية مع الحكومة البريطانية يتعهد بموجبها أن يقوم بجميع ما تطلبه اليه الحكومة البريطانية ويعترف باحقية القوانين البريطانية على الرعايا البريطانيين في امارة البحرين لقاء محافظة بريطانيا لامارته من الاعتداءات الاجنبية .

ولما تولى مدحت باشا شؤون العراق في عام ١٨ محرم ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م أخذ يسعى في توسيع نفوذ الدولة العثمانية في الخليج العربي فبدأ مساعيه أولاً في توطيد العلاقات مع أمراء الكويت فخضعوا لما أراد ثم أنزل قوة

عثمانية على سواحل الاحساء واحتلها فخضعت للحكم العثماني المطلق ثم عزم الاستيلاء على الامارات العربية الاخرى ومن ضمنها البحرين .

فلما علمت الحكومة البريطانية باستعداد الاسطول العثماني للمسير الى البحرين أوعزت الى معتمدها السياسي في الخليج (الكولونيل السر لويس بلي) اعلان حمايتها عليهـا فسار مسرعاً اليها فوصلها في عام ١٢٨٩ هـ شهر مايس ١٨٧١ م وعقد معاهدة مع الشيخ محمد امير البحرين تتضمن تعهد الحكومة البريطانية بحفظ مشيخة البحرين ما دام شيخها متمسكاً بمعاهدة عام ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م وعلى أثر ذلك وصلت الى البحرين بوارج بريطانية ورست في مينائها فاضطرت الدولة العثمانية الى العدول عن مطامعها في البحرين .

ولما تولى الشيخ عيسى الخليفة امارة البحرين عام ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية في عام ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م تعهد بموجبها بأن لا يسمح بقبول أي ممثل سياسي لدولة أجنبية في البحرين ما عدا ممثل الحكومة البريطانيـــة .

وفي عام ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ م عقد معاهدة اخرى مع الحكومة البريطانية تعهد بموجبها بان لا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا يهب قطعة من أراضي البحرين الى أية دولة اجنبية الا بمعرفة بريطانيـــا .

وقد اقتضت تلك المعاهدات على بريطانيا ان تقيم لها حرساً بحرياً في الخليج العربي لان تلك المعاهدات تستهدف القضاء على تجارة الرقيق التي اعتبرها القانون البريطاني لعام ١٨١١ م من الجرائم العظمى .

وفي الحقيقة ان شيوخ وأمراء الخليج العربي وان اضطروا الى ترك تجارة الرقيق ونبذ القرصنة فانهم بلا ريب استفادوا من السلام لان الحكومة البريطانية اخذت تراقب تصرفاتهم بالنسبة لبعضهم بعضـــاً وان المعتمد السياسي البريطاني في مدينة (بوشهر) وان كان ضابطاً قنصلياً لدى الدولة الايرانية فقد كان له النفوذ الأكبر عـــلى أمراء العرب القاطنين على شواطىء الخليج

العربي ولم يستثني من تلك المعاهدات المعقودة بين الحكومة البريطانية وبين أمراء العرب في الخليج حتى نهاية القرن الثامن عشر سوى قطر والكويت والاحساء والمحمرة .

اعترافات الحكومة البريطانية
بسيادة الدولة العثمانية في الخليج

ان الحكومة البريطانية بالرغم من توسعها السياسي وسيطرتها التجارية على الخليج العربي وارتباطها مع امرائه بمعاهدات واتفاقية متعددة لم تنكر سيادة الدولة العثمانيـــة على بعض مناطق الخليج وقد اعترفت بذلك في عدة مواقـــع .

(١)

في عام ١٢٩٦ هـ ١٨٧٦ م ذكر العقيد بريدو (نائب المعتمد السياسي البريطاني في الخليج) باحدى تقاريره الرسمية ان (ألمواني العثمانية المهمة على الساحل العربي من الخليج هي الكويت والقطيف والعقير .)

(٢)

وفي عام ١٢٩٨ هـ مايس ١٨٧٨ م اعترفت حكومة الهند البريطانية ـ بالسيطره العثمانية على جميع الساحل العربي من البصرة إلى العقير مع الاحتفاظ للحكومة العثمانية بحق مطاردة القراصنة في البر والبحر في حدود معينة وتحت اشراف المعتمد السياسي البريطاني .

(٣)

وفي عام ١٢٩٨ هـ كانون الثاني ١٨٧٩ م خول (اللورد سالزبري) وزير الخارجية البريطاني (لاير) السفير البريطاني في اسطنبول السعي للوصول

الى اتفاق مع الدولة العثمانية بأن تسمح للسفن البريطانية بمطاردة القراصنة في المياه الاقليمية للخليج ولما فاوض السفير المومأ اليه الدولة العثمانية بذلك وسئل عن الاسباب الموجبة لذلك كتب الى الصدر الاعظم والى وزير الخارجية العثمانية بان ذلك اعتراف ضمني من قبل حكومته بالسيادة العثمانية على سواحل الخليج من البصرة الى العقير .

(٤)

وفي عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٨ م راجت اشاعات فحواها ان الدولة العثمانية عازمة على غزو عمان باسطولها فكتب السفير البريطاني في اسطنبول الى الدولة العثمانية بأن دولته تعترف بالسيادة العثمانية على موانئ الخليج حتى العقير ولكنها لا تعترف لها بالسيادة على جنوب هذه الحدود وتعتبر شيوخ المناطق الجنوبية من العقير شيوخاً مستقلين ومن ضمنها منطقة عمان .

(٥)

وفي سنة ١٣١٢ هـ ١٨٩٣ م اكد (السير كلير فورد) السفير البريطاني في اسطنبول للدولة العثمانية بصورة رسمية ان حكومته تعترف بالسيادة العثمانية على جميع السواحل من البصرة الى القطيف .

(٦)

وفي سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م ذهب احد ابناء غياث العماري الى الظهران فقتل هناك واشيع بأن قاتليه بنو مرة . فذهب غياث والد القتيل إلى ذلك الموضع ليأثر لولده فالتقى بفتى من آل مرة فقتله غيلة ورجع الى البحرين والتجأ الى الشيخ عيسى اميرها فأتاه (ابن مفتاح) والد الفتى المقتول غيلة اخبره بما جرى من غياث العماري واراد ان يقيده منه فامتنع الشيخ عيسى عن تسليم رجل احتمى به (حسب تقاليد وعادات العرب) بيد انه جبر خاطر ابي القتيل بالكلام الجميل واعطاه عوض القود فرساً وكسوة حسنة .

وبعد برهة ذهب الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة للقنص في بر الظهران وكان بمعيته خمسة وعشرون من الرفاق والحاشية ومن ضمنهم غياث العماري وبينما هم على مسافة زهاء ثلاثين ميلاً شمالي القطيف عرف مكانهم فريق من (آل فحيح) من آل مرة رهط مفتاح والد القتيل فبيتوهم وهم نيام واعملوا فيهم السيف فانتبهوا فزعين واخذوا سيوفهم وجراحهم تشخب دماً يجالدون اعداءهم ولكن لكثرة العدو ودهشة المفاجأة لم يسعفهم الدفاع فقتل الشيخ سلمان وابنه دعيج وابن أخيه عبدالرحمن بن راشد بن دعيج وقتل معهم ثلاثة وعشرون شخصاً ولم ينج سوى بشر بن الشيخ دعيج وقد رأى بأم عينه جثة ابن مفتاح بين القتلى وقد سلب (آل فحيح) جميع أمتعتهم وأسلحتهم وما كان معهم من أموال.

فلما وقف الشيخ عيسى على ذلك الخبر قدم احتجاجاً الى المعتمد السياسي البريطاني في الخليج يطلب منه تأديب المعتدين فأجابه في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م بأن الحادثة وقعت في الأراضي العثمانية التابعة لولاية البصرة وانهم غير مسؤولين عن تلك المنطقة وقد كتبوا الى الدولة العثمانية يرجونها التعويض.

ولما بلغ علم ذلك الدولة العثمانية رأت أن تقوم بالتعويض وتوعد بتأديب المعتدين. فدفعت الى امير البحرين مبلغاً قدره ثلاثين ألف روبية ووعدت بأنها ستصدر أمرها بتأديب آل مرة.

الدول المنافسة لبريطانيا

في الخليج

كانت أهم الدول المنافسة للحكومة البريطانية في الخليج العربي في الثلثين الاخيرين من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ثلاث دول كبرى وهي فرنسا وروسيا والمانيا . وسندرج ادناه موجزاً عن كل دولة وما قامت به من المنافسة حيال الحكومة البريطانية في الخليج العربي .

اولاً الحكومة الفرنسية

كانت فرنسا من الدول الطامعة في توطيد علاقتها السياسية في الخليج العربي وكان أول اتصالها بالخليج عن طريق مستعمراتها وأهمها جزيرتي (موريس وبوروين) اللتان تقعان بالقرب من (موزمبيق) وكانت عمان اكثر بلدان الخليج صلة بفرنسا فكانت تتبادل التجارة مع المستعمرات الفرنسية في افريقيا الشرقية وعندما انتهت الحرب بين انكلترا وفرنسا عام ١١٧٨ﻫ ١٧٦٢ م توثقت العلاقات بين عمان وفرنسا اكثر من السابق.

ولما قامت الثورة الفرنسية عام ١١٩٩ ﻫ ١٧٩٤ م عملت فرنسا على تغير سياستها ازاء الخليج ونظرت اليه باهتمام اكثر واول ما عزمت عليه انشاء قنصلية لها في مسقط ثم أرسلت بعثة استكشافية الى فارس وقد وصل الى مسقط الرحالة الفرنسي (بوشمب) ليبحث عما اذا كان بالامكاء انشاء قنصلية فرنسية هناك ولكن (بوشمب) فشل في مهمته فاستغلت الحكومة

البريطانية هذا التدهور السياسي الفرنسي في عمان وأخذت تعمل على تقوية صلاتها مع سلطان مسقط وحققت نجاحاً بارزاً.

وفي عـــام ١٢١٨ هـ أيلول ١٨٠٣ م قدمت الى مسقط هيئة سياسية فرنسية برئاسة المسيو (كادنياك) فقابلت امام مسقط السيد سعيد بن سلطان وفتحت معه باب المناوضات فأوقفها على المعاهدة المعقودة بينه وبين الحكومة البريطانية في عام ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م فعلمت تلك الهيئة ان الحكومة البريطانية قد سبقتها الى ما كانت تريد

ما فتئت بريطانيا تعاكس النفوذ الفرنسي وتسعى في ازالته عن الخليج العربي فاضطرت حكومة فرنسا في عام ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م ان ترفع أمر بريطانيا الى البرلمان الفرنسي فأثار البرلمان هذه القضية في احدى جلساته محتجاً بأن الحكومة البريطانية قد فرضت لنفسها السيادة على الخليج العربي بدون مبرر قانوني واعلنت سلطتها عليه فاهتمت الحكومة الفرنسة لهذا الاحتجاج غاية الاهتمام وقررت ارسال ممثل سياسي من قبلها الى الخليج .

وفي عام ١٣١٣ هـ ١٨٩٤ م وصل الى مسقط (ويس قنصل) فرنسي وفتح سجلاً لمنح الجنسية الفرنسية لمن يشاء من سكان الخليج وقد منحت فعلاً الجنسية الفرنسية لعدة اشخاص من التجار وغيرهم من الذين كانت لهم مطامع تجارية او سياسية ثم سعت الحكومة الفرنسية لتأسيس محطة لها في مسقط لخزن الفحم الحجري على امل ان تكون لها في يوم ما قاعدة بحرية في الخليج .

وممـــا زاد في اهمية فرنسا بين سكان الخليج سماحها للتجـــار الراغبين برفع العلم الفرنسي على صواري سفنهم سواء اكانوا حاملين الجنسية الفرنسية أو لم يحملوها وقد قوى هذا العمل نفوذها السياسي ووطد سلطتها في تلك المناطق .

فضاقت الحكومة البريطانية ذرعاً بهذا العمل وزاد في تعقيد علاقاتها مع فرنسا واعتبرتها حامية القرصان واللصوص وتجارة الرقيق وما شابه

ذلك من الأمور .

ومما زاد في قلق بريطانيا ايضاً انحراف الامام فيصل (سلطان مسقط) عنها وجنوحه نحو الفرنسيين ثم رفعت درجة (الوست قنصل) الفرنسي في مسقط على أثر هذه الجهود الى رتبة قنصل .

فأرسلت الحكومة الهندية البريطانية انذاراً الى الامام فيصل في مسقط تطلب منه أن يقطع علاقاته الدبلماسية مع الحكومة الفرنسية ويوعز إلى القنصل الفرنسي بمغادرة مسقط حالاً . وقد تلا ذلك الانذار ابحار بارجتين حربيتين بريطانيتين الى ميناء مسقط لتهديدها بالضرب اذا لم يجب الامام الى ما طلبته الحكومة البريطانية . عندئذ اضطر الامام فيصل الى قطع علاقاته الدبلوماسية مع الحكومة الفرنسية وأوعز الى قنصلها لترك بلاده .

غير ان النزاع الفرنسي البريطاني على الخليج العربي لم ينته عند هذا الحد ولم تحل عقدة المعضلة فرفعت الحكومة البريطانية شكاية على فرنسا الى محكمة لاهاي الدولية متهمة اياها بتشجيع القرصنة وتجارة الرقيق وصدرت المحكمة قراراً في غير مصلحة فرنسا .

ومع كل ذلك فان الخلافات الفرنسية البريطانية على الخليج بقيت متردية حتى عقدتا اتفاقاً عام ١٣٢١ هـ ٨ نيسان ١٩٠٤ م يتضمن وجوب تحالف الدولتين لدفع الاعتداءات الاجنبية .

ثانيا ـ الحكومة الروسية

على أثر ما لاقته روسيا من الانتكاس السياسي بالنسبة لنواياها في حرب القرم وبعد معاهدة برلين وجهت جل اهتمامها نحو ايران وكترضية لها مقابل الامتيازات التي نالتها بريطانيا في ايران بتأسيس المصرف الأمبراطوري البريطاني منحت الدولة الايرانية الى الحكومة الروسية امتياز بمد أي خط حديد تريده روسيا في أي ناحية من بلاد ايران في غضون مدة لا تزيد عن خمس سنوات .

ثم أسست وزارة المالية الروسية فرعاً لها في ايران على هيئة مصرف روسي يهدف بعمله الى اغراض سياسية دون أن يكترث لما يناله من الخسائر وقد أخذت هذه المؤسسة تحقيقاً لاهدافها تمنح القرض للايرانيين اموالاً طائلة بفوائض بسيطة مقابل رهن ممتلكاتهم غير المنقولة فاستطاعت بهذا العمل أن تستميل الكثير منهم الى جانبها وتستخدمهم لمصالحها السياسية .

وفي عام ١٢١١ هـ ١٨٩٣ م أرسلت الحكومة الروسية الى الخليج العربي باخرة من بواخرها تسمى (نيربي نوكوردو) فرست في مسقط ونزل ضباطها واتصلوا سراً بالامام فيصل (سلطان مسقط) وفاوضوه بعقد اتفاقية سياسية مع الحكومة الروسية تكون أكثر ملائمة من الاتفاقيات المعقودة بينه وبين الحكومة البريطانية فلم يجبهم على ما عرضوه عليه خشية من الحكومة البريطانية .

ثم توصلت الحكومة الروسية في ايران للاشراف على تنظيم شؤون الكمارك فالقت بعهدة ذلك الى اخصائيين بلجيكيين وذلك عام ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م وسعت سعياً حثيثاً الى تعديل التعريفة الكمركية على البضائع المستوردة لايران وذلك في عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م وكانت تقصد من وراء ذلك القضاء على التجارة البريطانية التي ترد ايران عن طريق الخليج .

وقبل هذا بسنتين عينت لها ممثلاً سياسياً في (بوشهر) ليزاحم المصالح البريطانية في الخليج ويفسد علاقاتها وارتباطاتها مع أمراء العرب ويعقد اتفاقيات مع من لم يدخل منهم مع بريطانيا في معاهدة سابقة ومن ضمن تلك الامارات امارة الكويت .

ثم اعطت الحكومة الروسية الى معتمدها السياسي في (بوشهر) والى غيره من المعتمدين الروسيين أوامر مشددة بأن يحاولوا جهد طاقتهم ايجاد حقوق لها في الخليج العربي والواقع أن الاهداف التي استهدفتها الحكومة الروسية في الخليج كانت من الخطورة بمكان مما جعلت الحكومة البريطانية في حالة لم تكن تحسد عليها .

ثالثاً ـ الحكومة الالمانية

كانت الحكومة الالمانية حتى عام ١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م لا مصالح لها في الشرق وكان نشاطها محصوراً فقط على نشاط الارساليات في سوريا وفلسطين غير انه قد ازداد بعد ظهور بسمارك الذي وحد الولايات الالمانية غب انتصارها على فرنسا في حرب سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م وابتدأت علاقتها تزداد اتصالاً بالدولة العثمانية بعد أن بقت الدولة العثمانية بعد معاهدة برلين تبحث لها عن صديق بين الدول الاوروبية فلم تجد ضالتها المنشودة الا في المانيا وكان لبسمارك وحده من سائر الالمان رأي خاص في صداقة الدولة العثمانية يتلخص (بأن الامبراطورية العثمانية جميعها لم تكن عنده تعادل عظام فارس الماني واحد) بالرغم من ان بسمارك هو الذي أوفد (فون درغولنج) في عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م الى اسطنبول ليقوم بتنظيم الجيش العثماني وتدريبه على الفنون الحربية وتعليمه على استعمال الاسلحة الحديثة. ولكن بسمارك منذ عام ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م لم تبق له الكلمة العليا في المانيا بل انتقلت للامبراطور الشاب (وهلم ـ غليوم الثاني).

ثم دخلت الدولة العثمانية مع الحكومة الالمانية بتحالف سري وعلى أثر ذلك قام امبراطور المانيا (وهلم غليوم الثاني) بزيارة رسمية للسلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م ففتحت هذه الزيارة عهداً جديداً للصداقة العثمانية الالمانية واعتبرت بداية للمشروع الذي عرف فيما بعد بالباآت الثلاث (برلين ـ بيزنطية ـ بغداد) وقد اشتد عضد السلطان عبدالحميد بهذه الزيارة فلم يعبأ بالاحتجاجات التي قدمتها اليه بريطانيا على المذابح الأرمنية خلال عامي ١٨٩٤ و ١٨٩٦ م كما وانه لم يكترث للتحذير الذي ابداه اللورد (سالزبري) لان السلطان عبدالحميد كان مطمئناً الى مساعدة المانيا له في حالة أي تدخل يهدد به حتى وان اشتركت روسيا في ذلك التدخل.

وكانت الحكومة الالمانية قد اتمت مد سكة حديد البلغار في عام ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م فمهد ذلك اتصالها المباشر باسطنبول وكانت الدولة العثمانية في

ذلك الحين تنوي مد خط حديد في بلادها وقد صممت الحكومة الالمانية ان تكون هي المساعدة لمشاريع سكك الحديد العثمانية الاوروبية التي ينوي القيام بها البنك الالماني لاعتقادها بأن ذلك خير وسيلة تمكنها من السيطرة على الشرق الأوسط .

وفي عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٨ م حصلت الحكومة الالمانية على امتياز من الدولة العثمانية بمد خط حديد حيدر باشا – ازميت تحت اسم (اناتوليان) .

وفي عام ١٣٠٨ هـ ١٨٨٩ م تأسست لهذا الغرض شركة باسم (شركة سكة حديد الاناضول) برأس مال الماني فكمل خط انقرة . وفي عام ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م تم اكمال خط اسكي شهر .

وفي عام ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م تم للحكومة الالمانية اخذ امتياز خط حديد انقرة بغداد وقد بلغت الصداقة العثمانية ذروتها عندما زار الامبراطور (ولهلم غليوم الثاني)اسطنبول للمرة الثانية عام ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م ثم قصد سوريا وفلسطين لزيارة الأماكن المقدسة وفي خلال زيارته دمشق وقف عند قبر صلاح الدين الأيوبي وأكدصداقته الأبدية الى العالم الاسلامي ونادى بنفسه (حامي حمى الاسلام) .

وكان جواب السلطان عبدالحميد على ذلك النداء وعربونه لتلك الصداقة العثمانية الالمانيــة وعد لشركة سكة حديد الاناضول التي يملكها الالمان ان يمنحها امتياز خط الحديد من قونية الى الخليج العربي وفي عام ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م بر السلطان عبدالحميد بوعده ومنح امتياز مد خط الحديد المذكور الى شركة المانية سميت (بشركة سكة حديد بغداد السلطانية العثمانية)

كانت غاية الحكومة الالمانية في الممالك العثمانية في بادىء الأمر اقتصادية بحتة ولكنها ما لبثت ان تطورت الى مقاصد سياسية صرفة اذ اصبحت ترمي من وراء مد خط الحديد من البسفور الى كاظمة في الكويت ان يكون لها مرفأً في الخليج العربي وكان في نيتهم جعل ذلك المرفأ حصناً المانياً ولفتح باب مزاحمة للحكومة البريطانية .

كان الالمان منذ امد بعيد قد فكروا بأهمية الخليج العربي وادركو ادراكاً صحيحاً وعن تفهم ويقين بأن الدولة التي تقبض على مفتاحه تستطيع بلا شك ان تكون صاحبة القول الفصل في الشرق الأوسط .

وعلى هذا فقد عملت اليد الالمانية في الخليج العربي في الخفاء لمدة غير قليلـــة .

ففي بداية الأمر قامت احدى الشركات الالمانية باستئجار جزيرة صغيرة في الخليج تسمى (جزيرة أبي‌موسى) وتقع هذه الجزيرة قريباً من قطر مدعية أن فيها منجم للحديد تستطيع أن تستثمره .

ثم قامت احدى الشركات الالمانية المسماة (فننكهوس وشركاه) بتأسيس محل لها في لنجة عـــلى الساحل الايراني عند مدخل الخليج وذلك في عام ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م ولم يكن يومئذ في تلك الجزيرة أي أثر للاوروبيين حتى أن القنصل البريطاني فيها كان عربياً فبدأت تتجر بالصدف وعرق السوس وكان أعضائها يبالغون في انكار جنسياتهم وستر شخصياتهم ويتجنبون حد الامكان معاشرة الاوروبيين وكانوا يتوددون كثيراً الى سكان الخليج .

وفي عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م عينت الحكومة الالمانية معتمداً سياسياً لها في الخليج وجعلت مقره مدينة (بوشهر) ولم يكن لها في ذلك الوقت في تلك المدينة من الرعايا اكثر من ستة اشخاص .

ان فوز الحكومة الالمانية بالحصول على امتياز الخط الحديد عام ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م عاها لتغير منهاجها السياسي والاقتصادي في الدولة العثمانية ولم يحـــل عام ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م حتى كانت منزلة الحكومة الالمانية في الممالك العثمانية شيئاً ممتازاً وليس أمراً فنياً فحسب .

فأدركت الحكومة البريطانية ان الغرض من عقد امتياز الخط الحديد وايصاله الى الخليج العربي لم يكن الا لتقويض دعائم نفوذها بواسطة الحكومة الالمانية ـ فصارت تحذرها وتتخوفها وتسعى لاحباط مساعيهـــا .

التزاحم الدولي على الكويت

تطرقنـــا في ما مر لمطامع بعض الدول الاوروبية في الخليج العربي وبقي علينا معرفة الحالة في الكويت من ذلك الزحام .

كانت الحكومـــة البريطانية تراقب الاحوال في الكويت عن كثب ولم يكن لها علاقة سياسية تذكر مع أمراء الكويت المتقدمين زمن الشيخ مبارك لان الانظار الدولية لم تكن قد اتجهت حينئذ نحو الكويت ولم يكن مشروع خط الحديد قد اعيد الحديث فيه بعد ان خابت محاولات شركة (اندور) وقد تألفت في عام ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جماعة اخرى لاثارة مشروع مد خط حديد عبر الاناضول يمر بديار بكر فالموصل فالكويت غير ان الجهود التي بذلتها ـ الحكومة البريطانية في حينه لمعارضة ذلك المشروع حالت دون تحقيقه فأهمل امره وبدأت الحكومة البريطانية منذ ذلك الوقت تنظر الى الكويت نظرة تختلف عن نظراتها السابقة .

ولما تولى الشيخ مبـــارك شؤون الحكم في عام ١٣١٣ هـ ١٩٨٦ م كانت الحكومة البريطانية ما زالت تعتبر الكويت جزءاً من أجزاء الدولة العثمانية ولم تكن تتدخل بشؤونه .

اتفاقية عام ١٨٩٩م

عندما شددت الدولة العثمانية النكير على الشيخ مبارك وضيقت عليه الخناق وارسلت في عام ١٣١٤ هـ شباط ١٨٩٧ م الى الكويت موظفاً صحيحاً ليقيم

هناك خشي الشيخ مبارك مغبة هذا الأمر فطلب من المعتمد السياسي البريطاني في الخليج أن يزوره او يرسل أحداً من قبله ليفاوضه في أمر ذي بال فأجاب المعتمد طلبه وارسل معتمـــداً مفوضاً الى الكويت في ١ ايلول ١٨٩٧ م ليفاوض الشيخ مبارك فأجبره الشيخ مبارك (بأنه مع رعاياه جميعاً يرغبون الدخول تحت الحماية البريطانية تجنباً من خطر الدولة العثمانية) فاوعد بذلك

عندئذ ابرق المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الى الحكومة البريطانية في الهند يؤيد لها وجهة نظر الشيخ مبارك . فأبرقت حكومة الهند الى الحكومة البريطانية في لندن فأجابتها لندن تقول (ان بريطانيا لا ترى ضرورة في التدخل اكثر مما يجب في الخليج العربي وهدفها المحافظة على السلم في تلك المنطقة وليس اعلان الحماية على الكويت) فأبلغت حكومة الهند مضمون هذه البرقية الى معتمدها السياسي في الخليج . فرفع المومى اليه تقريراً مسهباً اليها ومما جاء فيه (ان الفرصة مواتية لاعلان الحماية البريطانية على الكويت خشية من ارتداد الشيخ مبارك الى جانب الدولة العثمانيـــة) .

فرفعت حكومة الهند ذلك التقرير الى وزارة الخارجية البريطانية في لندن لغرض الدرس .

وفي أواخر شهر ربيع الاول ١٣١٤ هـ اواسط شهر تموز ١٨٩٧ م استشارت الحكومة البريطانية سفيرها في اسطنبول (السير نقولاش اوكونر) بشأن اعلان حمايتها على الكويت . فأجابها يحذرها من ذلك ويخبر بوجود مستمسكات قوية في اضابير سفارته تؤكد اعترافاتها بالسيادة العثمانية على الخليج واشار الى وجوب استغلال قضايا تجارة الرقيق وتجارة الاسلحة وسيلة ومن ذلك الطريق يمكن التدخل في اعلان الحماية على الكويت .

وفي سنة ١٣١٦ هـ ٢٢ كانون اول ١٨٩٨ م اجابت وزارة الخارجية البريطانية حكومة الهند بكتاب سري تقول لهـــا (ان اللورد سالزبرى) على استعداد لتغير موقفه من قضية الكويت ان لم تكن هناك شروط قد التزمت بها حكومة الهند للدولة العثمانية وعند وجود مثل تلك الالتزامات

سيبذل هو كل ما في وسعه بالوسائل الدبلوماسية لاضعاف وجهة نظر الدولة العثمانيـــة) .

ولما فتحت الدولة العثمانية باب المفاوضات بشأن اعطاء امتياز الخط الحديد من البحر الابيض (طرابلس) الى الخليج العربي تقدم احد تجار الروس المدعو (كونت كاينست) لمفاوضة الدولة العثمانية للحصول على ذلك الامتياز وكانت الحكومة الروسية يومئذ تسعى سعياً حثيثاً للحصول على ميناء في سواحل الخليج العربي لخزن الفحم الحجري .

فخشيت الحكومة البريطانية ان تنشب الحكومة الروسية مخالبها في الخليج ويكون ذلك عـــن طريق الكويت لان الكويت كانت يومئذ وحدهـــا تشكل نقطة الضعف التي تخشاها الحكومة البريطانية لعدم ارتباطها معها بأي اتفاقية رسمية فرأت ان تضع حاجزاً امام المطامع الروسية لسلامة مصالحها من الخطر. فاستؤنفت المخابرات بين حكومة الهند البريطانية وبين الحكومة المركزية في لندن حول ضرورة درس ما عرضه الشيخ مبارك واعادة النظر في قضية الكويت .

فوافقت الحكومة البريطانية على اعلان الحماية على الكويت فأوعز اللورد ـ (كرزن Gurzon) نائب ملك بريطانيا في الهند الى المعتمد السياسي البريطاني في الخليج (الليفتنانت كولونيل مالكولم ميد M. E. D لمراجعة الشيخ مبارك ووضع نصوص معاهدة سرية فاتفقوا على وضع معاهدة عام (١٨٩٩) ودونت بثلاث نسخ ووقع عليها كل من الشيخ مبارك واللفتنانت كولونيل ميد وارسلت الى اللورد كرزن لابرامها واوعد الكولونيل ميد الشيخ مبارك بأن الحكومة البريطانية ستدفع له مبلغاً قدره خمسة عشر الف روبية بعد اعادة تلك المعاهدة وكتب اليه الكتاب الآتي : ـ

« من كرنل ميد باليوز وقونسل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية

في خليج فارس الى جناب حميد السجايا والمناقب وعمدة الاصحاب الاحشم الافخم الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت دام بقاه .

بعد السلام والسؤال عن عزيز خاطركم الشريف نعرف جنابكم بالنسبة الى المقاولة المنعقدة باليمن والسعادة فيما بين جناب الشيخ مبارك بن صباح من قبل نفسك وورثتك واخلافك ونحن منطرف الدولة البهية القيصرية الحسنة من جانب دولة جلالة الملكة البريطانية العظمى بالنسبة اليكم والى ورثتكم واخلافكم ما دام جنابكم وورثتكم واخلافكم بالدقة والصداقة تراعون شروط المعاهدة المذكورة . ثلاث نسخ القرارات سترسل الى الهند لاجل التصديق منطرف جناب عالي الجاه المفخم لورد كرزن آف كدلستان دايس راي جلالة الملكة القيصرية كورنر جنرال الهندستان .

وفي رجوعها نسخة واحدة مصدقة ترسل الى جنابكم وجينئذ يصير الاقدام منا لارسال خمسة عشر الف روبية سكة اليك من خزانة الدولة من ابوشهر . والشرط في اعمال هذا القرار هو أن يكون مطلقاً محفوظاً بالتستر ولا يشتهر بغير قبولية من الدولة البهية القيصرية الانكليزية .

هذا ودمتم سالمين والسلام

حرر في ١٠ رمضان المبارك سنة ١٣١٦ هـ مطابق ٢٣ جنووري ١٨٩٩ »

التوقيع

الكرنل ام . جي . ميد

المعتمد السياسي في الخليج الفارسي

وبعدئذ اعيدت تلك الاتفاقية مبرمة ومذيلة بتوقيع اللورد كرزن ودفع مبلغ الخمسة عشر الف روبية الى الشيخ مبارك واصبحت سارية المفعول وهذا نصها بالحرف الواحد : —

معاهدة ١٨٩٩

المعاهدة مع حاكم الكويت في ٢٣ جنوري ١٨٩٩

المقصود من تحرير هذا الصك الحقانية المعتبر انه قد تحقق العهد والقبول بين كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرف وجناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بأن جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره يعطي العهد ويقيد نفسه وورثته واخلافه الى الأبد بأن لا يقبل وكيلا أو قائم مقام من جانب دولة أو حكومة في الكويت او في قطعة أخرى من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الأنكليس ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنوع آخر ولا يعطي للسكون قطعة من أراضيه الى دولة او رعية احد من الدول الأخر بغير ان يحصل الاجازة اولا من الدولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لأجل هذه الارادة وهذه المقاولة أيضاً تشتمل على كل قطعة في أراضي الشيخ المذكور التي تكون حالا في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير ولأجل الشهادة لتكميل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة ملكة البريطانية العظمى في خليج فارس

وجناب الشيخ مبارك الاول منهما من جانب الدولة البهية القيصرية الأنكليس والثاني منهما من جانب نفسه وورثته واخلافه كل واحد منهما بمحضر الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٦ مطابق ٢٣ جنوري سنة ١٨٩٩ .

توقيع
الكولونيل ميد
المقيم السياسي في الخليج الفارسي

توقيع
مبارك الصباح

توقيع
محمد رحيم بن عبدالنبي صفر

توقيع
كالكوت كاسكن

توقيع
الكابتن ويكهام هور

صودق عليها من قبل سعادة نائب الملك والحاكم العام في الهند في قلعة وليام في السادس عشر من فبروردي ١٨٩٩ .

توقيع
كرزن
أوف كدلستون
نائب الملك والحاكم العام في الهند

ختم
دبليو جي كنغهام
سكرتير حكومة الهند
للشؤون الخارجية

ولما ارسلت نسخة من تلك الاتفاقية الى لندن انتقد اللورد (لانسدون) بشدة موقف حكومة الهند في برقية أرسلها بتاريخ ٧ أيلول عام ١٩٠٠ م للغموض الوارد في تلك الاتفاقية .

اما سفير الدولة العثمانية في لندن (انتو بيلو باشا) عندما وقف على مضمون تلك الاتفاقية قدم احتجاجاً رسمياً الى الحكومة البريطانية لقيامها بعقد مثل تلك الاتفاقية مع الشيخ مبارك الذي هو احد رعايا الدولة العثمانية وعد ذلك تحدياً لسيادة حكومته .

فأجابه اللورد (لانسدون) بكتاب مؤرخ ١١ أيلول ١٩٠٠ م يقول فيه (ان الحكومة البريطانية لا تعتزم التدخل بالوضع القائم في الكويت) فاكتفى بذلك الجواب .

مفاوضة الحكومة الالمانية

للشيخ مبارك

لما توسع نفوذ الالمان في الدولة العثمانية وحصلوا على امتياز مد الخطوط الحديد الى الخليج العربي زاد هذا الأمر الحكومة البريطانية ارتباكاً فأخذت تراقب مجاري الامور بدقة فائقة فطلبت اولاً الى الشيخ مبارك ان لا يسمح بجعل الكويت مصدراً لتجارة الاسلحة فكتب اليها كتاباً يتعهد لها بذلك ومما جاء فيــه : —

(اوافق على منع استيراد الاسلحة داخل الكويت أو تصديرها منها منعاً باتاً ولتنفيذ ذلك أصدرت بياناً ومنشوراً الى كل من يهمه الامــر.

كتب بتاريخ ٢٤ محرم ١٣١٨ هـ الموافق ٢٤ مايس ١٩٠٠ م)

اما الحكومة الالمانية بعد ان بلغها اعلان الحكومة البريطانية اتفاقها مع الشيخ مبارك وما تقوم به من معاكساتها كتبت اليها كتاباً تشعرها (بأنها لا تعترف بغير السيادة العثمانيــة على الكويت وان الحماية البريطانيــة ما هي الا خرق لمعاهدة برلين المنعقدة في عام ١٨٧٨ م والتي تضمنت المحافظة على اجزاء الامبراطورية العثمانية).

فأجابتها الحكومة البريطانية (بانها لم تعمل ما عملت الا لحفظ شيخ الكويت من ارسال الدولة العثمانية قوات لمحاربته).

فصرح لها الكونت (مترنيخ) السفير الالماني في لندن بتاريخ ١٣١٨ هـ ٣ ايلول ١٩٠٠ م (بأن الحكومة الالمانية سبق لها ان توسطت لدى السلطان العثماني بعدم استعمال القوة لاخضاع شيخ الكويت كما انها اعترفت عدة مرات ان الكويت جزء لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانيــة)

زيارة الكونت مترنيخ

الى الكويت

كانت الحكومة الالمانية شديدة الرغبة باقامة قاعدة لها على الخليج العربي ورأت ان تكون تلك القاعدة في رأس كاظمة وبناء على ذلك في عام ١٣١٨ هـ آخر عام ١٩٠٠ م قام سفير الحكومة الالمانية في اسطنبول الكونت مترنيخ وفي معيته الملحق العسكري مع بعض أعضاء السفارة بجولة لقصد تفتيش مناطق الطرق الحديد المنوي عملها فمرت تلك الهيئة في العراق ولما قاربت الكويت ارسل الكونت (مترنيخ) كتاباً ودياً الى الشيخ مبارك يعلمه برغبتهم زيارة الكويت فأجابه الشيخ مبارك مرحباً بزيارتهم فلما وصلوا الكويت انزلهم في قصره الخاص وأحسن ضيافتهم .

ثم اجتمع الكونت بالشيخ مبارك سراً وشرح له نوايا حكومته الحسنة نحو الكويت واوضح له اهمية اتصال الخط الحديد بالخليج وانهم عازمون على ان تكون كاظمة النقطة النهائية الى ذلك الخط ولا شك ان هذا المشروع سيزيد في أهمية الكويت ويعلي من شأنها ويرفع قيمتها وان الحكومة الالمانية مستعدة لشراء مقدار كبير من اراض كاظمة لانشاء محطة للقطار بالثمن الذي يفرضه وانها مستعدة أيضاً لاستئجار عشرين ميلاً مربعاً من تلك الاراضي التي تحيط بتلك المحطة .

فأبى الشيخ مبارك جميع تلك العروض محتجاً بعدم وسعه السماح بمثل ذلك لان هذا أمر معناه توسع النفوذ العثماني في الكويت وان الدولة العثمانية قد سعت لتقويض نفوذه والحط من كرامته ثم قال له (ان هناك امر آخر اهم من كل ذلك وهو ان الكويتيين جميعهم لا يريدون هذا ولا يرضون به وليس في استطاعتي ارغامهم) .

وعبثاً حاول الكونت (مترنيخ) اقناعه أو التأثير عليه لقبول معروضاته

فانتهى ذلك الاجتماع بالفشل وترك الكونت وحاشيته الكويت وهو منزعجا غاضبـــاً .

فبادر الشيخ مبارك باخبار المعتمد السياسي البريطاني في (بوشهر) بما دار بينه وبين الكونت من الحديث وانه لم يرفض تلك المعروضات الا تقيداً بنص المعاهدة المعقودة بينه وبين الحكومة البريطانية فشكره المعتمد على ذلك .

مفاوضة الحكومة الروسية

للشيخ مبارك

في عام ١٣١٨ هـ ١٩٠١ م قدمت الى الكويت بارجة روسية تقل المقيم السياسي الروسي في (بوشهر) ليقابل الشيخ مبارك الصباح وكان الشيخ مبارك يومئذ في الجهرة على رأس جيش من الكويتيين يستعد لمقابلة الامير عبدالعزيز الرشيد الذي كان مرابطاً بقواته على حدود الكويت للايقاع به بتحريض من الدولة العثمانية .

فذهب المقيم السياسي الروسي الى الجهرة والتقى بالشيخ مبارك وبقي هناك ليلة واحدة فاوضه خلالها باستعداد الحكومة الروسية لعقد اتفاق معه يكون اكثر ملائمة من الاتفاق المعقود بينه وبين الحكومة البريطانية .. فاعتذر الشيخ مبارك محتجاً بعدم تمكنه من عقـــد اتفاقية مع الحكومة الروسية لانها قد آزرت الحكومة البلجيكية في ايران وساعدتها في بسط سيطرتها على الكمارك الايرانية وعلى الاكثر فيما يخص المحمرة .

فأجابه المقيم السياسي الروسي قائلاً (ان ما قام به البلجيكيون في المحمرة امر لا يختلف عما يقومون به في بقية مدن ايران كبندرعباس وبوشهر) فقال له الشيخ مبارك (ان المحمرة لا تشبه سواها من مدن ايران لانها لم تكن فيما سبق ايرانية بـــل كانت من الممالك العثمانية وقد استولى عليها بنوكعب وان امير بني كعب الآن هو الشيخ خزعل بن الحاج جابر المرداو

وانه صديقه الحميم او انه اخوه ولا يمكن ان يجري اتفاقاً مع اية دولة كانت ما لم يشترك معه في ذلك الاتفاق لانهما يدٌ واحدة وبلاديهما بلد واحد ولا يجري أمر على احدهما ما لم يشمل الآخر) فوعده المقيم السياسي الروسي باعادة النظر في شأن البلجيك – فوعده الشيخ مبارك النظر في أمر الاتفاق بعد ان يرى نتائج اقداماتهم على ازالـــة النفوذ البلجيكي عن كمارك المحمرة .

وعلى أثر زيارة المقيم السياسي الروسي الشيخ مبارك قدمت الى الكويت ثلاثة بوارج بريطانية تقل المقيم السياسي البريطاني في الخليج فذهب الى الجهرة لملاقاة الشيخ مبارك وجدد معه المعاهدة وزاد فيها ضمان الحكومة البريطانية استقلال الكويت وحفظها من كل تعد قد يقع عليها من قبل اية دولة اجنبية كما يجب على الشيخ مبارك ان يكون صديقاً لصديق بريطانية وعدواً لعدوها وتم ذلك بتاريخ ٢٤ محرم عام ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

ثم رأى المقيم السياسي البريطاني من الواجب عليه ان يثبت الى الشيخ مبارك انهم جادين في تطبيق بنود معاهدتهم معه لحماية الكويت ودفع العدو عنها فأمر بانزال ثلة من الجيش البحري البريطاني ومعهم اربعة مدافع رشاشة استعداداً لطرد قوات الامير عبدالعزيز الرشيد عن مضايقة الكويت . واخبره (بان الحكومة البريطانية اخذت تعهداً اكيداً من الدولة العثمانية بأن لا ترسل قوة حربية الى الكويت على شرط ان لا تحتل الحكومة البريطانية للكويت احتلالاً عسكرياً . فاذا ما اخلفت الدولة العثمانية وعدها وتعرضت الكويت بسوء فانها ستذهب لاحتلال البصرة وتستولى عليها) .

ولايضاح هذا الامر ندرج ادناه ملحقين بالكتب المتبادلة بين الشيخ مبارك وبين الشيخ خزعل في هذا الخصوص :

ملحق من الشيخ مبارك الى الشيخ خزعل

تاريخ ١٣١٨

(خبر البلجيكة الذي عرضناه لدولتكم عندنا هو محقق ونحن اخذناه من

القبطان رئيس مراكب خليج فارس بموجب تيلغراف اجاله ومؤكد عنده .

وايضاً اني الى طرفنا قنصل المسقوف ١ الذي ترتب الآن في بوشهر في مركب كبير واتى عندنا للجهرة القنصل المذكور وبات عندنا ليلة . وصار البحث عن هذا الخصوص وقال (ان ايران علمائهم وعمومهم ماذين الشاه بعدم قبول البلجيك وان دولة المسقوف قبلوا يعطونه الف نفر محافظة على الشاه والعجم ما قبلوا وبعد يقنعونهم ولا هم قانعين والبلجيك كثير سوا مصالح الى الشاه لكن عموم الايران ما هم قابلين) .

وصار البحث ايضاً معه من طرفنا حنا وياك وقلت له (نحن رجل واحد اذا انا امض بعلم اخوى خزعل يتبعني واذا هو يمضي بعلم انا اتبعه ولا نسوى صداقة مع دولة التي تسوى تغير وتبديل وهل ربع ٢ يجون ويرحون علينا ما قاعدين يسون تغير وتبديل شفناهم بالبحرين سيرتهم طيبة ولاهو بس الايران ثابت عندهم ان بلجيكة اصل ترتيبهم منكم حتى حنا ثابت عندنا ذلك ونحن ما تصير لنا صداقة معكم على هكذا احوال) .

وحكى عن ابوشهر وبندر عباس قلنا (هذه غير المحمرة هذه من قديم جارى عليها ٣ والمحمرة ما هي للايران هي للترك وخذوها جعب وجعب عرب طوائف ٤ تحتوي على مائة وخمسين الف شيخهم ابن مرداو ٥ ونحن وابن مرداو بيت واحد ما هو من اليوم بل من قديم والاسباب الجئته ٦ الآن سوا صداقة معهم ٧ والا ما يقبل التبديل والتغير بهذه التراتيب بلجيكة وغيرهـــا .

---

(١) الروس .

(٢) المقصود البريطانيين .

(٣) اي الحكم الايراني .

(٤) قبائل عربية .

(٥) الشيخ خزعل بن الحاج جابر بن مرداو .

(٦) الضمير يعود الى الشيخ خزعل .

(٧) الضمير يعود الى الدولة الايرانية .

« واذا تريدون صداقتنا انا واخوي خز عل حنا عدنا كاشنة نشوف كان صار الحاج طرف بلجيكة ذلك الوقت نحن نصادقكم »

ومن كلامي هذا كثير تلطف وقال (حنا نساعد بعدم تمكن البلجيك »

قلت انا « ما هو تساعدون حنا ثابت عدنا ١ هذا منكم » وراح مني مؤمل ويحب الصداقـــة .

وثم عن خادمكم ملا حمزة يا اخي ثابت عند اخيك لو يروح منافعه لنا ربنا يطول عمرك ويعلي سعودك .

المعثور ٢ اكفا اوصابه خلل من مجيئه هذا والعشائر كانو يغيرون على أطرافــه .

اخبار اهالي البصرة والشقي ٣ لا بد بلغكم ابلغ منه نرجوكم تعرفونا . الذين ٤ عندنا ما هم مقصرين بل مثبتين بالمساعدة الكلي الآن عندنا بالجهرة ثلاثة مناور وكل يوم كبيرهم عندنا وعملوا تشبثات ونزل عندنا اربعة مدافع رشاش .

وراعي ٥ ابوشهر جانا للجهرة أيضاً ولا هو ثابت عندنا ان الترك يعملون حركة يقولون ٦ « أن الدولـــة ٧ مقابلينهم مناك ٨ وحنا ٩ مأمورين بوجوب عدم الحركة واذا يتحركوا ١٠ نحن اول منبدىء بالبصرة وناخذها »

---

(١) شؤون البلجيك في ايران .

(٢) المقصود به الامير عبد العزيز الرشيد .

(٣) المقصود يوسف الابراهيم .

(٤) المقصود اهل الكويت .

(٥) المقيم السياسي البريطاني في بوشهر .

(٦) الضمير يعود الى البريطانيين .

(٧) اي الدولة العثمانية .

(٨) من اسطمبول .

(٩) اي نحن البريطانيون

(١٠) اي اذا تحركت الدولة العثمانية بامر ضد الكويت .

ملحق من الشيخ خزعل الى الشيخ مبارك

بتاريخ ١٣١٩

« اخي ادام الله بقاك

بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته

البوصلة ١ التي في جوف الكتاب اطلعت على معانيها وجميع ما جنابك ذاكر صار معلوم من البداية الى النهاية على الخصوص مذكراتك مع الكبير ٢ الذي اجا عندك وصار ممنون من مواجهتنا واود الذي اكبر ٣ منه يجي واذا جاء وحصلت الملاقاة مع النتيجة يلزم اجتماع الجميع .

هذا شيء راجع الى نظرك انا حاضر معاك اينما تحب . ثم اخي يلزم تبليغه ٤ بان افتراق هلطرفين يعني المحمرة والكويت تضر في مصالحهم وبين الذي انت تعرفه

انا الذي عندنا حضيته اشوى وخوفته ٥ وبينت عدم العازة والجميع ممنونين لنا واتصال هلمحلين وامتزاجهم غير ممكنٍ يفترق . قال لي (اكتب المسألة) . قلت (الاحسن تعرف كبيركم ٦ بان اذا يمكن من بعد رواحه الى الكويت يجي ليلة ٧ ويرجع ونسوي المذاكرة ازيد من هذه حتى لا تكون التفرقة . قال (ممنون انشاء الله)

---

(١) الملحق .

(٢) المقيم السياسي البريطاني في الخليج .

(٣) المقصود به نائب الملك بالهند .

(٤) الضمير يعود الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج .

(٥) اي اغلضت عليه بالقول وهددته المقصود بذلك القنصل البريطاني في البصرة .

(٦) المقصود به المعتمد السياسي البريطاني في الخليج العربي .

(٧) اي الى المحمرة .

وبسلامتك انا ماني بعازة احد ولكن احب الدخول في ما تدخل فيه انت خيراً كان أو شراً والسلام عليك) .

زيارة اللورد كرزن للكويت

في عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م قرر اللورد كرزن (نائب ملك بريطانيا في الهند القيام في سياحة للخليج العربي فابلغ المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الشيخ مبارك بأن من ضمن منهاج زيارة اللورد كرزن النزول في الكويت ليشرح اليه نوايا الحكومة البريطانية الودية نحوه ونحو الكويت .

فأراد الشيخ مبارك ان يظهر للورد المذكور ان الكويت ليست من المدن البدوية التي لا صلة لها بالمدنية الحديثة فاستعد للقيام باحتفال فخم يليق بمكانة الزائر السياسية فأحضر خمسمائة رأساً من اصائل الخيل العربية واعد لها اجمل العدد وزين فرسانها بأحسن الزينة كما أحضر ايضاً خمسمائة بعير من نجائب الابل وغشاها بالحرير والدمقس وكسى هجانتها بأحسن الازياء البدوية الجميلة . وأعد خمسين رجلاً من رجال حرسه الخاص وقسمهم الى خمسة أقسام والبس كل منهم لباساً خاصاً زاهياً وجعلهم حراساً الى اللورد المذكور . واحضر من الهند افخر عربة من احدث طراز وجللها بقطعة من القماش الثمين المعروف (بالشال) مطرزة بالعقب المذهب خصصها لركوب اللورد كرزن .

ولما وصل الاسطول المقل للورد المذكور ميناء الكويت اوقف الشيخ مبارك لاستقباله صفين من الرجال على جانبي الطريق الممتدة من الشويخ الى داخل مدينة الكويت التي كان مقرر ان يسلكها ركب اللورد كرزن حين نزوله من بارجته وزينها بأقواس النصر ورفع عليها قطعاً تتضمن عبارات التحية والترحـــاب .

ولما نزل اللورد كرزن وحاشيته من البارجة وركبوا العربات التي كانت معدة لركوبهم وبدء موكبهم بالسير حف به قسم كبير من اتباع الشيخ مبارك

متقلدين السيوف معتقلين الرماح رافعين بنادقهم الى الاعلى وكانت الخيل والابل تجري من أمام ومن خلف الموكب وما كاد الموكب يقترب من مدينة الكويت حتى دوى ازيز البنادق وارتفعت اصوات الاهلين بالاراجيز الحماسية (الهوسات) وزغردة النساء وعلا الهتاف بتحية الضيف .

فاستر اللورد كرزن من هذا الاحتفال العربي غاية السرور (لانه لم يكن يخلو من سلامة الذوق) وبشر الشيخ مبارك بمستقبل باهر الى الكويت ووعده بأن الحكومة البريطانية لا شك ستنظر لقضية الكويت بعين الدقة وستسعى لاعلاء شأنها ولرفع مستواها بين الامارات العربية في الخليج .

اول معتمد سياسي بريطاني في الكويت

وعلى أثر تلك الزيارة عينت الحكومة البريطانية الهندية (الكولنيل ناكس) اول وكيلاً سياسياً لها في الكويت وقد احتجت الدولة العثمانية على ذلك وادعت ان تعين الوكيل السياسي في الكويت يمس بسيادتها ولكن الحكومة البريطانية اهملت ذلك الاحتجاج ولم تجعل له أثراً .

المفاوضات حول البريد

ثم ابدت الحكومة البريطانية رغبتها الى الشيخ مبارك لفتح دائرة بريد في الكويت لتسهيل أمر التجارة فوافق على ذلك تحريراً حسبما يأتي .

« ان الحكومة البريطانية قد وافقت حسب رغبتي والمنفعة التجارية تأسيس دائرة بريد في الكويت . اني من ناحيتي اوافق على عدم السماح بتأسيس أي دائرة بريد من قبل حكومة أخرى ها هنا وعليه اكتب هذا التعهد بالنيابة عن نفسي وعن خلفائي من بعدي .

كويت في ١١ ذي الحجة عام ١٣٢١ هـ الموافق ٢٨ شباط ١٩٠٤ م

مبارك الصباح »

ختم

تجديد المعاهدة البريطانية

في عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م ادلى اللورد سندون (**Sansdune**) وزير خارجية بريطانية بتصريح يهدف منه تحديد الوضع البريطاني في الخليج العربي ومما قال في تصريحه : « ان غرض سياستنا الاساسي من حماية الخليج الفارسي هو حماية التجارة البريطانية فيجب ان يعتبر تأسيس اية قاعدة بحرية أو أي مركز في الخليج الفارسي من قبل أية دولة من الدول تهديداً خطيراً لمصالحنا وسنقاومه بكل وسيلة » .

فاعتبر الساسة البريطانيون المشتغلون في الهند وفي الخليج العربي ان هذا التصريح مطابق للامر الواقع فأخذوا يسعون لحراسة الخليج وبناء المنائر فيه للاستنارة وتثبيت العوامات وتعمير الاسلاك التلغرافية لاعتبارهم ان المحافظة على الخليج يومئذ أمر ضروري بالنسبة للمحافظة على الهند وان وجود اية قوة معادية في سواحله تهدد المصالح البريطانية او تهدد السلام العالمـــي .

ثم أخذت تجدد علاقاتها مع أمراء العرب في الخليج فجددت اتفاقياتها مع الشيخ مبارك واعترفت بحمايته وباستقلال الكويت الداخلي وعدم تدخلها في شؤون ادارة حكمه كما تعهدت بحصر حكم الكويت في الذكور من نسله دون سواهم من آل الصباح وذلك بتاريخ ١١ ذي الحجة عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م

وبهذا دخلت الكويت فعلاً تحت الحماية البريطانية اسوة ببقية الامارات العربية الأخرى المماثلة واحبطت كافة المساعي التي كانت تقوم بها الدولتان الروسية ، وا لالمانية ، للحصول عــلى ثغرة في سواحل الخليج العربي ليزاحموا منها المصالح البريطانيـــة .

ولما اعلنت الحرب بين الحكومة الروسية وبين الحكومة اليابانية واندحرت

فيها الحكومة الروسية اندحارها المشهور وقامت الاضطرابات الداخلية فيها اضطرت الحكومة الروسية حينئذ للجنوح الى جهة الحكومة البريطانية عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م وعقدت معها معاهدة ودية عام ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م فخفف حينئذ ضغط روسيا وضعفت مزاحمتها للمصالح البريطانية في الخليج العربي

المطالبة بتأمين كاظمة

في عام ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م اشتهر في الاوساط السياسية ان الدولة العثمانية مصرة على مشروع ايصال الخط الحديد الى كاظمة فاضطرب الشيخ مبارك لهذا الأمر اشد الاضطراب وخاف ان تتغافل الحكومة البريطانية عن هذا الأمر فكتب اليها بواسطة وكيلها السياسي في الكويت الكبتن شكسبير بتاريخ ربيع الاول ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م اقترح عليها ثلاثة شروط لها ان تختار واحداً منهـــا

١ – تستأجر منه كاظمة والأراضي التي تحيط بها بموجب صك رسمي ليتمكن من ابرازه عند الضرورة .

٢ – تأذن له بأن يؤجر تلك المنطقة لمن يشاء .

٣ – تعطيه صكاً بوجوب حماية كاظمة من تعدي كل دولة بما فيها الدولة العثمانيـــة .

فأجابته الحكومة البريطانية بكتاب تعهدت له فيه بتأمين حدود الكويت بما فيها كاظمة وانها ستقوم بحمايتها من اعتداء أية دولة كانت ما دام هو محافظاً على ولائه لهـــا .

المفاوضة حول استخراج الاسفنج

في ٢ شعبان عام ١٣٢٩ هـ ٢٩ تموز ١٩١١ م اقترحت الحكومة البريطانية على الشيخ مبارك بموجب كتاب وجهه اليه المقيم السياسي في الكويت الكبتن

شكسبير ان لايمنح لأحد حق استخراج الاسفنج من مياه الكويت الا بمشورة منها فوافق الشيخ مبارك على ذلك الاقتراح بموجب الكتاب الآتي :

« من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت
الى الكابتن W. H. T. شكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت .

بعد التحيـــة

تناولت بكل مودة كتابكم المؤرخ ٢ شعبان عام ١٣٢٩ هـ تموز عـــام ١٩١١ م والذي فيه بينتم عن غريب كان قد طلب منا قبل خمس سنوات امتياز استخراج الاسفنج وكنا قد رفضنا طلبه في حينه . ولقد اتصل بكم الآن من قبل المقيم في بوشهر يذكر بأن في هذه الايام من المحتمل أن يحضر لديكم اشخاص يطلبون الانتفاع من ذلك . وان هذه الفائدة ستؤدي الى خسارتنا وشعبنا وتنصحوننا بعدم الموافقة قبل استخراج رأي المقيم انني اشكر جداً المقيم المحـــترم .

وكما تعلمون حضرتكم اني لا أفتش عن فائدة دون استشارتكم في جميع الاحوال واني لا اوافق على ذلك دون أخذ رأيكم ورأي الحكومة الجليلة وبانتظار جوابكم ارجو أن اؤكد للمقيم مجدداً واقدم تشكراتي لـــه والله يحفظكم .

تاريخ ٢ شعبان ١٣٢٩ هـ المصـــادف ٢٩ تموز ١٩١١ م

ختم

مبارك الصباح »

المفاوضات حول خطوط التلغراف

وبتاريخ ٢٧ رجب عام ١٣٣٠ هـ ١٣ تموز ١٩١٢ م طلب السير برسى كوكس المقيم السياسي في الخـــليج الى الشيخ مبارك السماح بمد خط

التلغراف من العراق الى الكويت لترتبط بالعالم المتمدن فوافق الشيخ مبارك على ذلك وكتب اليه الكتاب الآتي :

تاريخ ١١ شعبان ١٣٣٠ هـ الموافق ٢٦ تموز ١٩١٢ م

« من الشيخ مبارك الصباح

الى اللفتنت كرنل – السر برسي كوكس K. C. I. E. G. S. I. المقيم السياسي في الخليج الفارسي .

يسرني أن أتناول مخابرتكم الجليلة المؤرخة ٢٧ رجب ١٣٣٠ – ١٣ تموز ١٩١٢ م الذي فيه اشرتم الى رغبة الحكومة الامبراطورية بوضع تلغراف في مدينتنا الكويت . وجاء فيه عند عودتكم الى بوشهر وجدتم كما توقعتم التعليمات الأخيرة من الحكومة الأمبراطورية . لتخبرونا برغبتها . وتطلبون من عندنا التعاون معها بهذا الخصوص وان وجود البرق سيكون مصدر راحة وسهولة الى الحكومة وشعبنا واني اخبرت شخصياً ذاتكم المحترمة عندما اسعدني الحظ وتشرفت بمواجهتكم حول تعاوني وموافقتي في هذه القضية وغيرها من القضايا ، التي تؤدي الى الاطلاع والتي ترتأونها موافقة لترفيه شعبنا حسب هذه الأوامر الصادرة من الحكومة الأمبراطورية وحسب رغبتكم الموقرة وان الكابتن شكسبير صديقنا سيشرح لنا القضية مفصلاً حسب امركـــم .

وعندما يبدأ العمل نحن أيضاً نبين له الطريق التي تؤول الى راحتنا ونسأل الله أن يكلل جهودكم بالنجاح ويساعدكم لما فيه الخير ويساعدنا على الحصول لكل ما يرضيكم قولاً وفعلاً .

نأمل أن تستمر أنظاركم علينا .

وارجو أن تقبلوا احترامنا الكلي ودوموا محفوظين .

ختم

مبارك الصباح »

وبالرغم من موافقة الشيخ مبارك فلم يتم ذلك المشروع في عهده بل تأخر إلى ما بعد ذلك كما سيأتي .

المفاوضات حول النفط

طلبت الحكومة البريطانية الى وكيلها السياسي في الخليج العربي ان يفاوض الشيخ مبارك بالسماح للتنقيب عن النفط في الكويت بواسطة الاخصائيين وعدم السماح لاية دولة اخرى غيرها بذلك .

وفي ٢٦ ذي القعدة عام ١٣٣١ هـ ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣ م كتب السير برسي كوكس كتاباً الى الشيخ مبارك يعرض عليه وجهة نظر حكومته حول هذا الأمر ويطلب منه الموافقة على مقترحاتها فأجابه الشيخ مبارك بالموافقة واظهر استعداده لمساعدة الخبراء الفنيين وتسهيل مهمتهم في اراض الكويت بموجب الكتاب الاتي :

« من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت

الى المقيم السياسي في الخليج الفارسي K. C. I. E. G. S. I. السير برسي كوكس

بعد التحية

تناولت كتابكم الموقر بكل مودة المؤرخ في ٢٦ ذى القعدة ١٣٣١ والذي بينتم فيه بالاشارة الى المحادثة التي جرت بيننا امس فيما اذا لا نرى محذوراً انه من المرغوب فيه ان تقوموا باخبار الحكومة البريطانية بأننا نوافق على قدوم معالي اميرال البحر .

واننا نوافق على ما ترونه مفيداً واذا ما شرف الاميرال بلدنا سأرسل

بصحبة احد ابنائي ليكون في خدمته واراءته محل الزيت في (برقان) وغيرها واذا ما ارتأوا مكان الحصول على الزيت من هناك فاننا لن نمنح اي امتياز من هذه القضية لاي آخر عدا ذلك الذي تعينه الحكومة البريطانية وهذا ما وجدناه ضرورياً . اتمنى دوام انظاركم علينا والله يحفظكم .

ختم

تاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٣٣١ هـ مبارك الصباح »

الكويت في مفاوضات لندن

في ٢٩ تموز ١٩١٣ م ١٣٣١ هـ دارت مفاوضات في لندن بين الدولة العثمانية بواسطة سفيرها (ابراهيم حقي باشا) وبين الحكومة البريطانية بواسطة وزير خارجيتها (المستر ادوار جراي) لحل الخلافات التي كانت سائدة بين الدولتين واشتركت بتلك المفاوضات الحكومة الالمانية بواسطة سفيرها في لندن (البرنس لخنوسكي) .

وقد انتهت تلك المفاوضات بين ممثلي الدولتين في بداية عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م على ان تكون البصرة نقطة انتهاء خط حديد بغداد وان لا يوصل ذلك الخط الى الكويت قبل ان توافق الحكومة البريطانية على ذلك وان يكون لبريطانيا عضوان في مجلس ادارة الشركة في كل ماله صلة بادارة وتشغيل قسم خط حديد بغداد البصرة .

وفي ذلك الاتفاق تعهدت الحكومة البريطانية بالاعتراف بسيادة السلطان محمد رشاد الخامس على الكويت وان يكون للدولة العثمانية موظف رسمي يمثلها في الكويت (كالقومسير العثماني السامي في مصر) على ان لا تتعرض الدولة العثمانية لشؤون الكويت الداخلية وان تعترف بما بين الشيخ مبارك وبين الحكومة البريطانية من اتفاقيات ومعاهدات واوشك ان يرد الكويت ممثل الدولة العثمانية ولكن اعلان الحرب العظمى الاولى حالت قبل ان تبرم تلك الاتفاقية رسمياً من قبل الحكومتين وندرج ادناه نصوص

ثلاثة مواد من تلك الاتفاقية المعروفة (باتفاقية لندن) التي تخص الكويت وهن المواد الخامسة والسادسة والسابعة

المادة الخامسة

« يمارس شيخ الكويت الاستقلال الذاتي داخل الاراض التي تشكل نصف دائرة والتي مركزها مدينة الكويت وقد اشر هذا الخط باللون الاحمر على الخارطة المرفقة بهذه الاتفاقية .

ان جزر — وربة — وبوبيان — ومسكان — وفيلكا — وعوهة — وقاروورة وكبر — وام المرادم — مـع الجزيرات والميـاه الاقليمية (الملاصقة) هي من ضمن هذه المنطقة . »

المادة السادسة

« ان القبائل الموجودة داخل الحدود المشار اليها في المادة التي تلي هذه المادة معترف بكونها بمعية شيخ الكويت والذي يستوفي عشورهم كما كان في الماضي كما يباشر في حقهم المنح الادارية التي تسلم اليه بصفة قائممقام عثماني. هذا وان الحكومة الامبراطورية العثمانية لا تباشر في هذه المنطقة اي عمل اداري بدون علم ودراية شيخ الكويت . كما تمنع عن اقامة حامية عسكرية هناك او القيام بعمل عسكري مهما كان نوعه دون اتفاق سابق على ذلك مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية . »

المادة السابعة

« ان حدود الاقليم المبحوث عنها في المادة السابقة قد ثبتت كما يلي :

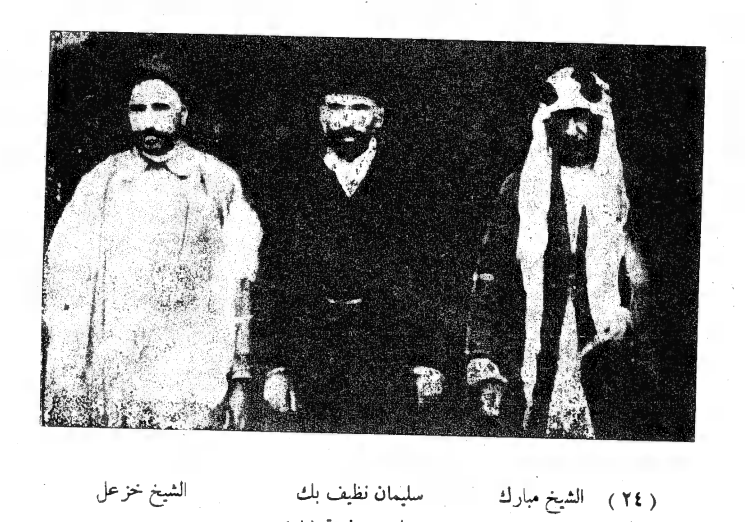
ان خط الحدود يبدأ من الساحل عند مصب خور الزبير الشمالي الغربي ويمر مباشرة في جنوب ام قصر وصفوان وجبل سنام بحيث تترك هذه المحلات وابارها الى ولاية البصرة ويصل الى الباطن ويتبع ذلك نحو الجنوب الغربي حتى حفر الباطن بحيث يترك ذلك الى جهة الكويت ومن هذه النقطة فان



(١٨) الشريف عون الرفيق (امير مكة) (راجع صفحة ٦٧)

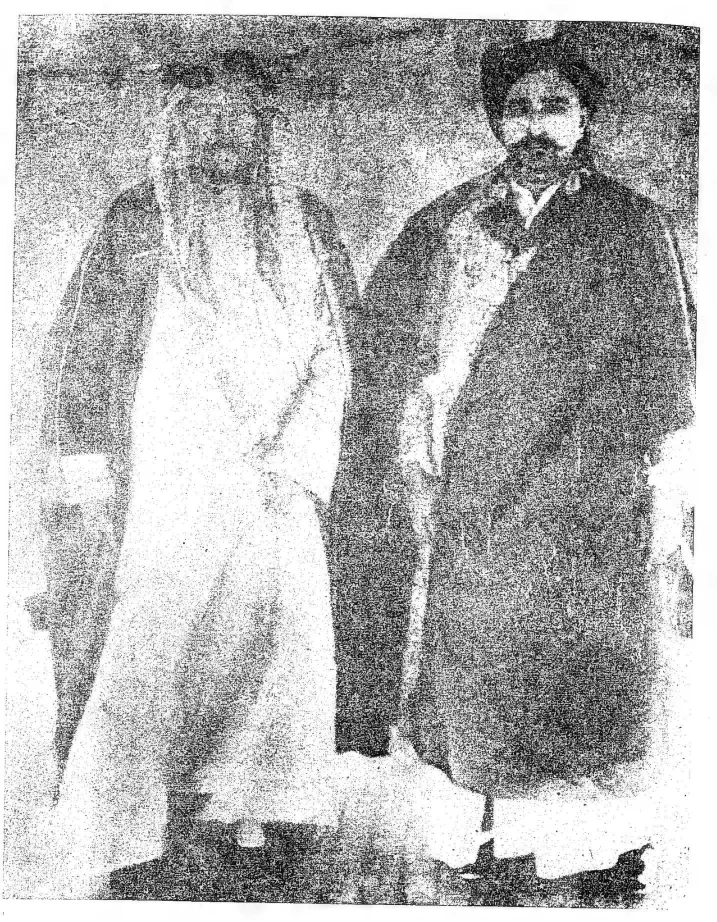


(١٩) الخديوي عباس حلمي (ملك مصر) (راجع صفحة ١٧١)



(٢٤)   الشيخ مبارك   سليمان نظيف بك   الشيخ خزعل

(راجع صفحة ٨١)



الشيخ مبارك　　الشيخ خزعل　　(٢٥)

(راجع صفحة ٢٤٦)

الخط المذكور يتجه نحو الجنوب الشرقي تاركاً الى الكويت آبار الصفا وابار الكرعة وجبال الوربا واتنا حتى يصل الى البحر قرب جبل منيفة . هذا الخط قد اشر باللون الاحمر على الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق »

السماح باستيراد الأسلحة

لم يبق ما يشغل بال الحكومة البريطانية بعد ان تمت لها السيطرة على الخليج العربي واستحكمت علاقاتها مع الامارات العربية غير الاستيلاء على البصرة وقد ظلت تطل بعنقها متربصة الفرصة التي تمكنها من القفز اليها وكثيراً ما كانت تدس انفها لاثارة القلاقل والاضطرابات التي تحدث في تلك المناطق فتفاوض السيد طالب النقيب للمناداة بانفصال البصرة وتظهر له استعدادها لمساعدته ولتزويده بالمال والسلاح . ثم تمد يدها لمصافحة الأمير عبدالعزيز السعود عندما تسوء العلاقة بينه وبين الدولة العثمانية وتبذل الوعود للشيخ خزعل وتمنيه بالانضمام الى جانبه اذا ما اختلف مع العثمانيين واعلن لهم العداء . وكانت تقوم بكل تلك الأدوار لاصابة الهدف الذي ترمي اليه وهو التسلط على البصرة لتكون بذلك قد حصلت على بغيتها ونالت ما تريد .

اما الشيخ مبارك فطالما شجعته على معاكسة الدولة العثمانية ومنته بالوعود الخلابة واكدت له بأن الاتفاق المعقود بينها وبينه يحتم عليها الدفاع عن مصالحه وحمايته من أي اعتداء اجنبي وكان الشيخ مبارك ينتحل الاعذار ليتملص من مطاليبها وكثيراً ما كانت اعذاره تنحصر في عدم وجود الاسلحة الكافية لديه .

وفي عام ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م دارت مخابرات رسمية بينه وبين المعتمد السياسي البريطاني في الخليج (السر برسي كاكس) حول تزويده بالاسلحة فاذنت له الحكومة البريطانية بجلب ستة آلاف بندقية جديدة الصنع يلحق كل بندقية اربعمائة طلقة كما سمحت له بجلب مليون طلقة لاسلحته القديمة على ان يستلم ذلك في ميناء مسقط فوصلت تلك الاسلحة الى الكويت ولم

يتأخر منها الا قسم من الطلقات فكتب الشيخ مبارك الى الميجر نوكس المعتمد السياسي البريطاني في الخليج الكتاب الآتي :

«من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذوي الشوكة والاجلال المحب الميجر ناكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً .

غب التفقد والاستفسار عن عزيز خاطركم دمتم بخير وسرور هو ان لا يخفى حضرتكم السامية منخصوص الفشق الذي طلبناه لاجل حاجتنا وحاجة رعايانا الاهالي والعشائر بواسطة حضرة كرنل سر برسى كاكس وحصلت الرخصة من الدولة البهية القيصرية الانكليزية في جلبه من مسكة[1] لطرفنا وبوقته عرضنا لحضرتكم العالية من هالخصوص في مكتوبنا المؤرخ ٧ ذا القعدة ١٣٣٠ وبينا مقدار حاجتنا التي حصل بها الرخصة من الدولة البهية ستة آلاف تفق مع كل تفق ٤٠٠ فشقة عن ٢٤ لك فشقة وزيادة عشر لك فشقة لاجل اسلحتنا القديمة صح الجميع ٣٤ لك[2] فشقة . وليس خافي على حضرتكم ذلك ولا بد تطلعون على مخابرتنا مع حضرة كرنل سربرس كاكس السابقة عن هالخصوص آخر كتاب تقدم منا لحظرته مؤرخ ٢٢ شوال ٣٣٠ وعمدنا محسوبنا حجي نجف بن غالب الى مسكة لاجل مشترى ذلك وتحميله لطرفنا بالدفعات فالذي وردنا من الفشق لحد تاريخه ٢٣ لك وخمسة وتسعين الف فشقة بين فشق مارتين وموزر وباقي من حاجتنا ١٠ لك وخمسة آلاف فشقة منها ١٥١ صندوق داخلهم ٣٧٧٥٠٠ فشقة الآن مطروحة في مخزن مسكة معطلة ويوميه يجري عليها مصرف لان محسوبنا حجي نجف لما اراد ان يحملها منعه قنصل الدولة البهية في مسكة بدعوا ان الاجازة التي مقيدة لنا عنده ٢٤ لك فشقة الذي هو تبع التفقان وأما

(١) مسقط .
(٢) اللك يساوى (١٠٠٠٠٠) .

الزيادة ١٠ لك ليس مقيدة عنده ومحسوبنا حجي نجف عرض عليه الاسناد الذي بيده وقال له ان هالمبلغ المطروح بالمخزن اعني ١٥١ صندوق تكميل حاجتنا الذي حصل بها الرخصة قال لا بأس جوابك صحيح لكن راجعو حضرة ميجر ناكس واذا أمر بالرخصة حينئذ لست ممنوع عن تحميل ذلك والذي موجود لنا الآن في مخزن مسكة ١٥١ داخلهن ٣٧٧٥٠٠ فشقة موزر ومحسوبنا حجي نجف متعطل لاجلها ويومية يجري عليها مصرف المخزن فأرجو من حضرتكم العالية وشفقتكم ان تأمرون في رخصة تحميل الصناديق المذكورة عن ٣٧٧٥٠٠ فشقة موزر التي مطروحة لنا في مخزن مسكة عند محسوبنا حجي نجف علي ولا زلنا شاكرين الطافكم السابقة واللاحقة .

هذا والمأمول دوام توجهاتكم القلبية ووقوع انظاركم السامية مع اهداء سلامي للخاتون نرجو انها في صحة تامة وسرور نؤمل تبشرون عن كيفها وعن صحة الأولاد ولا زلتم محروسين .

٢٧ ج ثاني سنة ١٣٣٢ »

منح تعهدات جديدة

لما أوشكت نيران الحرب العالمية الاولى على الاندلاع وتوجست الحكومة البريطانية بأن لا بد لها من خوضها أخذت تعد العدة لذلك وأبدى رجالها نشاطهم السياسي الفائق لا سيما في الخليج العربي فقاموا بتجديد اتفاقياتهم مع امرائه وصاروا يمنونهم بالمواعيد الكثيرة فدعا السر برسى كاكس (المعتمد السياسي البريطاني في الخليج) الشيخ مبارك لمقابلته في (بوشهر) واخبره بأن الحكومة البريطانية تنوي أن تمنحه وتمنح الأمير عبدالعزيز السعود والشيخ خزعل امتيازات جديدة وتجدد معاهداتها معهم لانها لا تستغني عن مساعدتهم ومناصرتهم في مثل هذه الظروف فشكره الشيخ مبارك على ذلك الاهتمام .

ثم عزم السر برسي كاكس الذهاب الى لندن لمفاوضة حكومته في بعض الشؤون السياسية الهامة واحيلت رئاسة دائرة الاعتماد السياسية

البريطانية في الخليج الى عهدة المستر لاريمر فكتب السربرسى كاكس والمستر لاريمر الى الشيخ مبارك يعلمناه بذلك فأجابهما بالكتابين الآتيين :

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال مستر لاريمر باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانجليزية في خليج فارس دام محروسا .

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور . هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي المؤرخ ٩ محرم ١٣٣٢ ﻫ وبه امرتم بوصولكم الى المحل العالي الباليوزية في خليج فارس وتشرفتم في هذه المامورية العالية الله يوفقكم للخير والصلاح .

فاني يا محب تبلغت تشريفكم هذا من حضرة كرنل سربرسى كاكس الله يصحبه السلامة وطول العمر واني متبلغ بحسن سجاياكم وواجب علي اني ابادر بمعروض التبريك لحظرتكم السامية فسبقتمونا بلطفكم لانكم السابقين باللطف والمرحمة وتأخير معروضي اني انتظر تشريف محبنا قبطان شكسبير لان من عادتي كلما اقدم المعروضات عنيد الموجود عندنا من مامورين الدولت البهية فنرجوكم العفو من تأخير معروضي وانشاء الله قريباً نحظى بتشريفكم ومشاهدة حضرتكم العالية الله يوفق لذلك مع كسب رضاكم كما شاهدناه من اسلافكم الفخام ويوفقنا لتأيد الخدمة والصداقة الخالصة لجانب الدولة البهية كما اننا مشاهدين اللطف والمرحمة وارجو دوام توجهاتكم مع قبول احتراماتي ولا زلتم سالمين محروسين.

٢٥ محرم ١٣٣٢ ﻫ »

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذى الشوكة والاجلال كرنل سر برس كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس سابقاً دام محروسا

غب التفقد والاستفسار عن خاطركم دمتم بخير وسرور بعده بيد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي المؤرخ ٨ محرم ١٣٣٢ مطابق ٧ ديسمبر عام ١٩١٣ المبين فيه سفركم الميمون الى الولاية .

اني المخلص من صميم القلب اشكر لطفكم ومرحمتكم السابقة واللاحقة ولساني لا يعجز عن اداء تشكراتي لحضرتكم العالية من ما شاهدته من اللطف والمرحمة الذي شملتنا من حسن سجاياكم الحميدة الله لا يحرمنا ذلك ويديم توجهاتكم وشمول انظاركم على مخلصكم وغريق فضلكم في القريب والبعيد واني اسئل الله تعالى ان يصحبكم السلامة والسرور ويجعل التوفيق قرينكم اين ما تكونون

هذا وبالختام اقدم فائق احتراماتي لحظرتكم العالية وارجو شمول انظاركم ودوام توجهاتكم ودمتم سالمين محروسين ١٠ صفر ١٣٣٢ » .

ولما وصل السر برسي كاكس الى لندن واجرى مفاوضاته مع المسؤلين هناك كان من ضمن تلك المفاوضات طلب منح الامير عبدالعزيز السعود والشيخ مبارك والشيخ خزعل تعهدات جديدة تضمن لهم استقلالهم وحمايتهم ورد الاعتداء الذي يقع عليهم من كل دولة اجنبية فوعدته الحكومة البريطانية بذلك ثم انتخب ليكون وزيراً للداخلية في حكومة الهند ورئيساً للخليج فكتب الى الشيخ مبارك يعلمه بمفاوضته مع الحكومة البريطانية لمنحه معاهدة جديدة فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال ناظر داخلية الدولة البهية الهندية المعظمة ورئيس قناصل خليج فارس المحب العزيز كرنل كاكس دام محروساً

غب التفقد والاستفسار عن عزيز وشريف خاطركم دمتم بخير وسرور .
وعن مخلصكم لله الحمد بدوام وجودكم وتوجهاتكم السامية في حال الصحة والسرور .

هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت رقيمكم السامي الجوابي المؤرخ ٢١ آذار ١٩١٤ المتضمن مزيد الطافكم ومرحمتكم وتلوناه مسروراً حامداً شاكراً تعطفاتكم وعنايتكم الجليلة بحق مخلصكم واخينا الشيخ خزعل خان فهذه التعطفات والعنايات السامية اوجبة مسروريتنا ومحضوضيتنا .

فاني يا مخلصكم اقابل هذا اللطف الجليل بمزيد الشكر والثناء والدعاء بدوام وجودكم وحسن موفقيتكم لا زلتم نائلين اشرف الدرجات واعلا المقامات والحقيقة اننا جداً متأسفين من بعدكم وعدم مشاهدتكم البهية لاننا لا نزال غريقين فضلكم واحسانكم ومرحمتكم التي شاهدناه ونشاهدها دائمـاً انشاء الله .

امر حضرتكم السامية انه لما كنتم في بلدكم لم نسيتم المذاكرة بخصوص اشغالنا التي تذاكرنا عليها في آخر جلسة حين مشاهدتنا لحظرتكم والذي . عرفتمونا عنه في ابوشهر وقريب ياصلنا تعريفات اللازمة من هذا الخصوص الذي تسرنا نحن انشاء الله بوجودكم ودوام توجهاتكم السامية علينا نكون مسرورين واشغالنا تتسهل وعن وفات محبنا مستر لاريمر كثيراً سأنا وكدرنا ذلك ولكن هذا أمر مقدر الله لا يريكم ادنى مكروه وعن محبنا قبطان شكسبير قبل التاريخ بيومين وردنا منه اخر خط من بعد ممشاه من ابريدة مع رجالنا الذي مشيناه في خدمته الله يوصله مصر بحالة الصحة والسلامة . عن حضرة محبنا كرنل (كرى).الموجود الآن بطرفنا انا جداً ممنون ومتشكر منه مما شاهدنا من محاسن اخلاقه الحميدة . عن تعين حضرة محبنا ميجر ناكس في بوشهر كثير سرنا كذلك وصرنا للغاية ممنونين حيث تعين هذا الشخص الجليل في هذا المحل العالي ربنا يوفق الجميع لكسب رضاكم ومسرة خاطركم .

هذا ما لزم والمأمول توجهاتكم ووقوع انظاركم السامية مع قبول احتراماتي ودمتم محروسين .

٢٠ جماد الاول ١٣٣٢ »

اخذت الحكومة البريطانية بنظر الاهتمام الاقتراحات التي قدمها السر برسي كاكس بشأن ضمان استقلال اولئك الأمراء وحلت لديها محل القبول فابلغته بذلك فابرق الى الشيخ مبارك كما ابرق اليه ايضاً الكبتن شكسبير المعتمد السياسي البريطاني السابق في الكويت) يبشرانه بذلك فكتب الشيخ مبارك الى الميجر نوكس يخبره بورود البرقيتين ويطلب منه ابراق جوابهما وهذا نص ذلك الكتاب مع نص جواب البرقيتين .

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المحب ميجر ناكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً .

غب التفقد والاستفسار عن صحة مزاجكم السليم وعن مخلصكم لله الحمد ودوام توجهاتكم بكمال الصحة والسرور .

بهذه الدفعة وردنا تلغرافين واحد من حضرة كرنل كاكس والثاني من قبطان شكسبير متضمنة التهنئة بالطاف الدولة البهية بحق المخلص وحصل لنا غاية السرور من هذه التعطفات الجليلة ربنا يديم ويؤيد الدولة البهية بالعز والاقبال مع طولة عمر ملكنا المعظم ويوفقنا بجلب رضاكم بالخدمة الخالصـــة .

هذا واصلكم بطية جواب تلغراف المومى اليهم نرجو من حضرتكم تأمرون بطرقهم ومهما يصير اجرتهم ندفعها الى من تأمرون ولا زلنا شاكرين الطافكم سابق ولا حق .

هذا والمأمول دوام توجهاتكم ودمتم محروسين ٣ شعبان ١٣٣٢ »

برقية

« سمـــلا

كرنل سربرسي كاكس

اخذة امركم البرقي المتضمن الطاف الدولة البهية بحق المخلص الله يديم

ويويد الدولة البهية بالعز والاقبال مع طولة عمر ملكنا المعظم ويوفقنا لجلب رضاكم بالخدمة الخالصة .

في ٣ شعبان ١٣٣٢ حاكم الكويت
مبارك الصباح»

برقية

«كوك
كركيت سركيس
لندن — قبطان شكسبير
اخذة أمركم البرقي المتضمن الطاف الدولة البهية ايدها الله بالعز والاقبال مع طولة عمر ملكنا المعظم تحريركم وصل كثير سرني وصولكم بالسلامة

في ٣ شعبن ١٣٣٢

حاكم الكويت
مبارك الصباح »

الاعلام بدخول بريطانيا الحرب

لما أعلنت الحكومة البريطانية دخولها الحرب ضد الحكومة الالمانيـــة وحليفاتها كتب الميجر نوكس الى الشيخ مبارك يعلمه بذلك فأجابه بالكتاب الآتي

« من مبارك الصباح

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المحب الميجر ناكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو ان يد الطاعة والخلوص تناولة امركم السامي المؤرخ ١٥ رمضان ١٣٣٢ و ١٨ اوكست ١٩١٤ وبه امرتم ان دولتنا البهية القيصرية الانكليزية اعلنت الحرب على دولة الالمان

فانشاء الله دولتنا البهية هي المنصورة والمحفوضة بعناية الله .

واني يا محبكم معكم ويتبعني جميع العشائر الذي جنابكم رأيتموهم وبكل اجتهادنا رجالنا وسفائننا تحت امركم . وابن سعود ايضاً يتبع نضرنا وانا اليوم هذ وصلة الوطن وواجهت جناب الافخم كرنل (كرى) واخبرته انني معكم في كلما تأمرون بالمال والرجال ونحن الآن نترجا من مراحم الدولة البهية ان مراكب الفالتوه تتصل الى بلدنا لاجل جلب اموال تجارية من عيش وشكر وجاهي وقهوة وقماش وايضاً ننتظر تدبيركم بسفائننا التي تحمل تمر الى الهند منتظرين امركم في هذا الخصوص .

هذا والمأمول دوام توجهاتكم مع قبول احترامات ولا زلتم محروسين

٢٩ رمضان سنة ١٣٣٢هـ »

طلب منع دعاية

ابلغ القنصل البريطـاني بالبصرة ان بعض الكويتيـين الموجودين بالبصرة يقومون ببث الدعايات السيئة ضد الحكومة البريطانية ويتناولونها بالسب وبالشتم فكتب بذلك الى ميجر ناكس (المعتمد السياسي البريطاني في الخليج) يخبره بذلك ويطلب منه ان يكلف الشيخ مبارك ليكف السنة أولئك الناس عن تلك الدعايـة .

ولما بلغ الشيخ مبارك هذا الخبر بادر الى نفي هذه الاشاعة عن الكويتيين وكتب الى الميجر نوكس الكتاب الآتي : —

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المحب العزيز ميجر ناكس باليوز قنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروسا

غب التفقد والاستفسار عن خاطركم العزيز دمتم محروسين بعده سمعنا ان جناب قنصل الدولت البهية بالبصرة معرف حضرتكم السامية ان بالبصرة اس من اهل الكويت يحكون على الدولة البهية في كلام ما يناسب جدا

استثنا ذلك حيث ما يوجد بالبصرة احد من اهل الكويت وفقط وكيلي عبد العزيز السالم حظرتكم تعرفونه واخيه يوسف وابن عمه عبدالرحمن والمذكورين متظاهرين في حب الدولة البهية ومصالحنا وراحتنا منها في كل الاحوال والدرب الذي فيه الدولة نحن فيــه.

ها نحن حاظرين تحت الأمر واني يا محبك اتمنى ان جناب قنصل الدولة البهية بالبصرة يبين لحظرتكم السامية اسماء ها الذي ذاكرهم يحكون بالبصرة ويدعون من اهل الكويت حتى اننا نعرف الحقيقة اذا هم صحيح من اهل الكويت فعلى كل حال نجلبهم من البصرة ونأمر في تأديبهم واما اهل الكويت عموماً لا بد يبلغ حظرتكم— مظاهرتهم بالكلام الطيب بحق الدولة البهية كماهو شأنها وهو اللازم والواجب لان مصالحنا وراحتنا فيكم نسئل اللهان يؤيد الدولت البهية بالعز والاقبال ونحن اوصينا حناب محبنا كرنل (كرى)الىحضرتكم السامية في كلما يلزمنا نؤمل من مراحم الدولت البهية انيحصل لنا التسهيلات.

هذا والمأمول دوام توجهاتكم ودمتم محروسين

١٨ شوال ١٣٣٢ »

آخر ما تعهدت به الحكومة البريطانية

انجزت الحكومة البريطانية ما وعدت فاصدرت امرها الى معتمدها في الخليج العربي أن يبرم باسمها تعهداً للشيخ مبارك يتضمن حمايتها استقلال بلاده واعفاء جميع نخيله التي في البصرة من الرسوم الاميرية وهذا آخر ما تعهدت به اليه فصدع الميجر نوكس بالامر واصدر اليه التعهد الآتي : —

بسم الله

« سعادة الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت K. C. S. I. K. C. I. E.

بعد التحيــة

الحاقاً برسالتنا المتضمنة خبر نشوب الحرب بين الحكومة البريطانيا وتركيا . اخبركم بأن الحكومة البريطانية قد امرتني ان ابلغ سعادتكم شكرها

لولائكم ولعرضكم العون وان ارجوكم ان تهاجموا امقصر وصفوان وبوبيان وتحتلوها . وعليكم بعد ذلك ان تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل والامير عبدالعزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الموثوق بهم تحرير البصرة من يد الاتراك فاذا ما كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم ان تجروا الترتيبات اذا كان ممكناً للحيلولة دون وصول الامدادات التركية الى البصرة او حتى القرنة الى ان يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم في أقرب وقت باذن الله واني لارجو كذلك ان تصل سفينتان من سفننا الحربية الى البصرة قبل وصول جنودكم اليها ومع ان هدفكم الاول سيكون في هذا الشأن تحرير البصرة ـ الا اننا نرجو ان تبذلو كل ما لديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين في البصرة وتوابعها وان تحموا الاوروبيين في البصرة وان تؤمنوهم ضد اي خسارة واضطهاد

ولقد امرتني الحكومة البريطانية ان اقدم لسعادتكم مقابل هذه المساعدة القيمة وعداً باننا اذا ما نجحنا باذن الله فاننا لن نعيد البصرة الى الحكومة التركية ولن نسلمها لهم ابداً . كما انني اتقدم لكم نيابة عن الحكومة البريطانية ببعض الوعود الخاصة بسعادتكم شخصياً وهي : ـ

١ ـ ان بساتينكم الموجودة في حوزتكم وهي بساتين النخيل الواقعة بين الفاو والقرنة ستبقى ملكاً لكم ولابنائكم وستكون معفاة من اية ضريبة .

٢ ـ اذا هاجمتم صفوان وامقصر وبوبيان وتمكنتم من احتلالها فان الحكومة البريطانية تتعهد بحمايتكم من كل ما ينجم من هذا العمل .

٣ ـ تقر الحكومة البريطانية وتعترف ان مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية

وتفضلوا . . . .

نوكس

رسدنت وقونصل جنرال الدولة البريطانية العظمى في الخليج الفارسي

حرر في شهر ذي القعدة ١٣٣٢

طلب التموين للكويت

بعد ان اعلنت الحكومة البريطانية دخولها بالحرب رسمياً منعت خروج جميع الاموال من الهند الا برخصة خاصة وكانت بعض سفن الكويت قد حملت تموراً من البصرة الى مواني الهند على أمل ان تعود وهي محملة بالمواد والاطعمة اللازمة ولكنها للسبب المار الذكر لم يسمح لها بالابحار. وبعد ان توسط الشيخ مبارك سمح لتلك السفن الشراعية بالابحار وبتحميل ما يلزم ولما كانت عودة السفن الى الكويت تتطلب وقتاً طويلاً فقد خشيت الكويت المجاعة فالتمس الشيخ مبارك من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ان يتوسط لدى حكومته للسماح بمرور احدى البواخر التجارية مرة في كل خمسة عشر يوماً بالكويت لتحمل اليها الاطعمة وكتب اليه الكتاب الآتي :

«من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة عالي الجاه المحب العزيز كرنل و . ك. كرى . بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الأنكليزية في الكويت دام محروساً.

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو ان تعريف جنابكم الى حضرة كمشنر السند في كراجي والسكرترى في بمبي منجهة اعطاء الرخصة الى نواخذة خشب اهل الكويت الذين يودون تمور ال الهند لكي يتسوقون من بمبي وكراجي في رجوعه الى الكوية عيش وشكر وغيره اني متشكر من جنابكم من هذا الصنيع لكن يا محب بالوقت الحاضر بلدنا خالية من العيش ما فيها الذي يكفي الى عشرين يوم والسفائن يتعطلون مدة طويلة وتجار طرفنا معرفين على عيش وشكر من بمبي ومن كراجي وبواسطة انقطاع المراكب تعطلت اغراضهم عن التحميل والبلد الآن خالية من العيش فلهذا نؤمل من جنابكم ان تعرفون حضرة محبنا الافخم ميجر ناكس بتسهيل

مرور المراكب كل خمستعشر يوماًيكون يجينا مركب لحتا تتحمل اموال التجار التي الآن مطروحة في كراجي وبمبي وبذلك نكون ممنونين وشاكرين مراحم الدولة هذا ما لزم ودمتم محروسين

٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٢ »

مرافقة السر برسي كاكس للحملة البريطانية

قبل ان تهاجم القوات البريطانية ناحية الفاو في مدخل شط العرب صدر الامر باحالة مهام رئاسة الخليج العربي الى عهدة السربرسي كاكس وحتم عليه ترك الهند ومرافقة الحملة على البصرة فكتب الكرنل نوكس الى الشيخ مبارك يعلمه بذلك فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

«من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة الافخم ذي الشوكة والاجلال المحب كرنل ناكس مأمور مخصوص في غياب كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولت البهية القيصرية في خليج فارس دام محروساً.

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو ان يد الخلوص اخذت كتابكم السامي المؤرخ ١٢ ذي الحجة ٣٣٢ وبه امرتم ان حضرة سر برسى كاكس قد تصدى واخذ بالعهدة وظايف — البالوزية وجنرال قونسلية الدولة البهية في خليج فارس.

اني يا مخلصكم غاية صرة مسروراً في تشريف حضرة المشار اليه لهذا الطرف لاننا نراه كل الاب الشفيق للجميع ربنا يطيل عمره ويوفقنا لكسب

رضاكم واني ممنون ومتشكر من جنابكم.

هذا وبالختام نقدم ادعيتنا الودادية لحضرتكم وارجو دوام توجهاتكم ولا زلتم محروسين. ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٢»

احتلال البصرة

رافق السربرسي كاكس القوات البريطانية المحاربة فتم لها احتلال الفاو بتاريخ ١٧ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ الموافق ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ م ثم زحفت تلك القوات لغرض احتلال البصرة فاستغرقت في زحفها سبعة عشر يوماً جرت خلالها بعض الاصطدامات بالجيوش العثمانية ثم اخلت القواة العثمانية مدينة البصرة بتاريخ ٣٠ ذي الحجة الموافق يوم الجمعة ١٩ تشرين الثاني وبعد ذلك بيومين احتلت الحكومة البريطانية مدينة البصرة وانزلت قواتها العسكرية فيها بتاريخ ٣ محرم ١٣٣٣ الموافق ٢٢ تشرين الثاني.

فابرق السربرسي كاكس الى نائبه لرئاسة الخليج الكرنل نوكس يعلمه بالانتصار الذي احرزوه ويطلب اليه ان يبلغ ذلك الى امراء الخليج لينشروه بين رعاياهم فكتب الكرنل نوكس الى الشيخ مبارك يخبره بمضمون تلك البرقية فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي:

«من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المحب كرنل ناكس مأمور مخصوص في غياب حضرة سربرسي كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً.

غب التفقد والاستفسار عن خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت أمركم السامي المؤرخ ٣ محرم ١٣٣٣ موافق ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ وبه امرتم بالنسبة لكتابكم نمرة (٥٤٦) ١١ نوفمبر ١٩١٤ المتضمن وقوع الحرب بين الدولة البهية البريطانية العظمى ودولت العثمانية ارسال حضرتكم العالية سواد التلغرافين الواصلين من جناب المفخم سربرسي

كاكس في خصوص الوقائع الحادثة في البصرةوتأمرون اننا نشهر هذا الاعلام.

اني يا مخلصكم من حين اطلاعي على سواد التلغرافين المذكورين انشرحة صدورنا وصرنا في غاية الفرح والسرور والاستبشار من هذه البشارة السارة وبوقته اشهرنا في غاية ذالك عند جميع رعايانا ، القريب منهم والبعيد وعند جميع المحبين من رؤساء العشائر فحصل عند الجميع كمال الفرح والسرور وحمدنا الله على هذه الموفقية ربنا يحفظ لنا وجود حضرة المفخم سربرسى كاكس ويديم العز والنصر لعساكر الدولت البهية البريطانية العظمى ويخذل اعدائها ويوفقنا لكسب رضاكم واني جداً صرة ممنون ومتشكر من جنابكم من هذه البشارة.

هذا ولبيان الممنونية بادرنا بترقيم هذه النميقة الودادية راجياً دوام توجهاتكم مع قبول احتراماتي ودمتم محروسين.

١٤ محرم ١٣٣٣ »

ثم أردفه ببرقية اخرى بتاريخ ٦ محرم ٢٥ تشرين ثاني يعلمه باحتلالهم لمدينة البصرة واستتباب الامن فكتب الكرنل نوكس الى الشيخ مبارك بذلك فأجابه بالكتاب الآتي : –

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذي الشوكة والاجلال كرنل ناكس مأمور مخصوص في غياب سربرسي كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً

غب افتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو أن يد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي المؤرخ ٦ محرم ١٣٣٣ موافق ٢٥ نوفمبر ١٩١٤ ومتظمنة نسختين من ترجمة التلغرافين الواصلين من جناب المفخم حضرة سربرسى كاكس المتظمنة ان البصرة صارت في قبضة عساكر الدولت البهية الانكليس حمدن الله تعالى على هذه الموفقية السارة وزاد سروراً على سرور

فهذه أعظم النعم والمحضوضية وغاية ما نتمناه والحمد لله على هذه البشارة فحصل عندنا وعند العموم كمال الفرح والسرور ودعون الله تعالى ان يؤيد الدولة البهية بالعز والاقبال ولا زال انشاء الله النصر مقرون تحت الرايـــة البريطانية ودائماً تأتينا اخبار السرور .

هذا ونرجو دوام توجهاتكم ودمتم محروسين ١٤ محرم ١٣٣٣ »

مساعدة الشيخ مبارك لجمعية سانت جان الخيرية

تشكلت جمعية خيرية في الهند سميت (جمعية سانت جان الخيرية) وكان هدفها جمع الاعانات لمساعدة جرحى الجيش البريطاني المشتركة في القتال فانهالت عليها التبرعات وقد ساهم الشيخ مبارك بمبلغ خمسين الف روبية واصدر بها حوالة الى وكيله في الهند المدعو محمد بن سالم السديراوي وهذا نص كتاب الحوالـــة :

« جناب الاثيم ولدنا محمد ابن سالم السديراوي المحترم دام بقـــاه

بعد السلام عليكم ورحمة الله بعده ادفع الى اليانس بنك في سملة ببمبي لحساب جمعية سنة جان الخيرية خمسين الف روبية وذلك اعانة لاجـــل المجاريح من عساكر الدولة البهية وبعد الدفع اخذ رصيد بالوصول وقيد المبلغ بجاري الحساب ودمتم سالماً

٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣٣ مبارك الصباح »

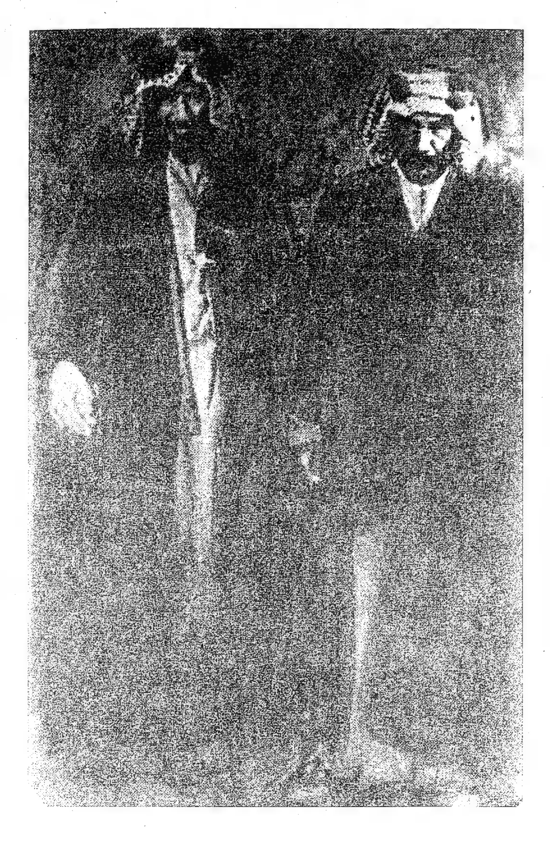
اعفاء نخيل الشيخ مبارك من الضرائب

بعد ان تم للحكومة البريطانية احتلال البصرة وتثبتت اقدامها فيها وحصلت على بغيتها ارادت ان تظهر نفسها لحلفائها من أمراء العرب انها تتمسك



(٢٦) الشيخ مبارك الشيخ خزعل

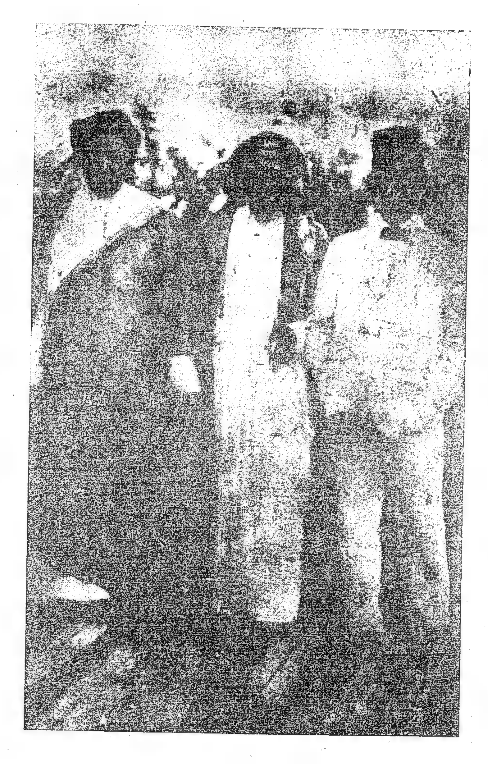
(راجع صفحة ٢٤٦)





(٢٨)   الشيخ مبارك   السيد طالب النقيب

(راجع صفحة ٢٧٣)



(٢٩) سليمان شفيق　　　الشيخ مبارك　　　الشيخ خزعل

(راجع صفحة ٩١)



(٣٠) الامام فيصل آل بوسعيد (سلطان مسقط)

(راجع صفحة ١٢٠)



(٣١) الامام تيمور آل بوسعيد (سلطان مسقط)
(راجع صفحة ١٦٥)



(٣٢) الشيخ عيسى الخليفة (امير البحرين)

(راجع صفحة ٢١٣)



(٣٣) الشيخ حمد الخليفة (امير البحرين)
(راجع صفحة ١٦٥)

بالعهود وبالمواعيد فكتب السربرسي كاكس كتاباً الى الشيخ مبارك (وكان يومئذ قد قدم الى المحمرة لزيارة صديقه الشيخ خزعل) يطلب اليه بيان ما يملكه من النخيل في البصرة لغرض النظر في اعفائها من الضرائب حسب نصوص الاتفاقية فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الجلالة والشوكة والاجلال الافخم كرنل سربرسي كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام بقاه .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة والاستفسار عن خاطركم هو ان يد الطاعة والخلوص تناولة امركم المؤرخ ٢٩ ربيع اول ١٣٣٣ عند حركتنا متجهين لهذا الطرف ولا امكنا نستحظر الاوراق الرسمية المختصة في املاكنا الواقعة على ساحل الشط العثماني حسب ارادتكم لكن بعد عودتنا انشاء الله الى الوطن نجري ايجاب امركم العالي ونقدم لحظرتكم صورها المصدقة من حضرة الافخم الباليوز الذي بطرفنا وامرنا معتمدنا عبدالعزيز السالم يحظو بخدمتكم لكي يبين الى حضرتكم السامية تفاصيل مشترى الاملاك التي كانة في اثناء المعاملة الرسمية عند خروج الحكومة العثمانية بموجب مقاولات بيدنا هذا والمأمول دوام توجهاتكم ودمتم محروسين

١١ ربيع آخر سنة ١٣٣٣ »

طلب منع تهريب النقود الذهبية

كانت العملة المتداولة في البصرة خلال العهد العثماني (اليرة الذهب) ولما دخلتها الجيوش البريطانية زجت هي الاخرى في الاسواق كميات من نقودها الذهب (باون) ثم خشيت بعد ذلك من تهريب تلك النقود الذهب الى العثمانيين عن طريق الصحراء فركزت الروبية الهندية بالاسواق كأساس

للتعامل فكتب السر برسي كاكس كتاباً الى الشيخ مبارك يخبره بوجوب التعامل بالروبية في الكويت والحيلولة دون تهريب النقود الذهب فأجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي :

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الجلالة والشوكة والاجلال الافخم كرنيل سر برسي كاكس باليوز وقونسل جنرال الدولت البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام بقاه

غب تقديم الاحترامات الفائقة والاستفسار عن خاطركم هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي المؤرخ ٣ ربيع اخر ١٣٣٣ وبه امرتم حسب اراء مأمورين الحربية في البصرة سيرسل مقدار كثير من الذهب الى داخل البر ويصل الى ايادي الاتراك وتأمرون ان نمنع ذلك ولا ندفع المعاملات في طرفنا الى في الربيه فمن المعلوم لدى حظرتكم العاليه ان معاملات طرفنا مرتبطة في الهند وجميع معاملات طرفنا في الربية والريال لا بالليرة انما الليرة سلعة في طرفنا كما هي في الهند ولا يوجد احد في طرفنا يرسل ذهب لداخل البر قطعاً . هذا والمأمول توجهاتكم القلبية ودمتم محروسين ١١ ربيع اخر ١٣٣٣ » .

استئناف المفاوضة لتسجيل الاملاك

علمنا مما مر سابقاً ما قام به بعض ولاة البصرة العثمانيون من وضع العراقيل للحيلولة دون تسجيل بعض املاك الشيخ مبارك باسمه في دائرة تسجيل الاملاك (الطابو) بالبصرة ولما استتب الأمر في البصرة للحكومة البريطانية استأنف الشيخ مبارك هذا الأمر وطلب تسجيل تلك الاملاك باسمه فكتب الى السر برسي كاكس الكتاب الآتي

«من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المفخم المحب سر برسي كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس

غب التفقد والاستفسار عن خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور نعرض لحضرتكم العالية بناءً على الاعلان المدروج في الاوقات البصرية بتاريخ ١٣ نيسان ١٩١٥ بخصوص اصدار سندات الطابو قد ارسلنا محسوبنا عبد العزيز السالم لمقابلة حضرتكم العالية منخصوص الاملاك التي اشترىناها في البصرة بموجب مقاولات متصرفين بها وضروف الزمان اخرة فراغها مطلوبنا افراغها رسماً فاذا يمكن ذلك في الوقت الحاضر ويلزم حضور البائعين نسترحم تامرون في الماذونية لحضور محمد وأخيه علي اولاد حسين باشا المشري لاجل التقرير في الدائرة الرسمية وبعد اكمال المعاملة يعودان الى الكويت.

هذا وعلى كل حال الأمر محول لرئي حضرتكم السامية وفي الختام ارجو قبول احتراماتي مع دوام توجهاتكم ودمــتم محروسين

٧ جماد الآخر ١٣٣٣».

زيارة اللورد هردنك للكويت

بعد ان تم للحكومة البريطانية احتلال منطقة البصرة وجلاء القوات العثمانية عنها صمم اللورد هردنك نائب الملك في الهند على زيارة الخليج العربي والبصرة وكان الغرض من تلك الزيارة ان يقف شخصياً على شؤون البلاد ويطلع بنفسه على ميول الامراء العرب ويجس نبضهم لتشكيل قوة موحدة يسند رئاستها الى احدهم.

وفي اوائل ربيع الاول ١٣٣٣ هـ آواخر شهر كانون الثاني عام ١٩١٥ م غادر موكبه بمبي وهو يتألف من بعض قطع الاسطول البريطاني فزار البحرين

وضرب لامراء العرب موعداً للاجتماع به في الكويت بتاريخ ١٥ ربيع الاول ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م وقد حضر الكويت السير برسي كاكس من البصرة خصيصاً لهذا الغرض .

وفي اليوم المعين وصل موكبه ميناء الكويت فخف لاستقباله الشيخ جابر المبارك الى ظهر البارجة يرافقه السير برسي كاكس والكولونيل (كري) المعتمد السياسي البريطاني في الكويت فرحب بهم اللورد هردنك اجمل الترحيب .

وفي صباح يوم ١٦ ربع الاول ذهب الشيخ مبارك بنفسه لزيارته على ظهر البارجة ودعاه للنزول الى الكويت وفي عصر ذلك اليوم اعاد اللورد هردنك الزيارة الى الشيخ مبارك في قصره الواقع في السيف .

ولم يحضر يومئذ الى الكويت من الامراء العرب المدعوون سوى الشيخ حمد بن الشيخ عيسى الخليفة امير البحرين لان الامير عبدالعزيز السعود اعتذر عن الحضور لانشغاله بمعركة (جراب) الدائرة بينه وبين خصمه سعود الرشيد واما تيمور امام مسقط فمنعه عن الحضور الثورات الداخلية التي قام بها رعاياه اما الشيخ خزعل فقد كتب الى الشيخ مبارك يعتذر عن الحضور بسبب الحرب التي كانت دائرة في امارته (بين الدولة العثمانية تساندها قبيلة بني طرف وبين الجيوش البريطانية) وخوله ابرام اية اتفاقية يشاء بالنيابة عنه .

وعندما اجتمع به الشيخ مبارك وتداول معه الحديث حول استقلال العرب لم يجد منه ما كان يصبو اليه فتمثل بهذا البيت من الشعر

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

ثم قال له من ضمن ما قال (نحن لم نعاد الاتراك وهم مثلنا مسلمون الا خوفاً على استقلالنا) فوعده خيراً واجل البحث في تلك المواضيع الى وقت اكثر ملائمة من الوقت الحاضر .

ثم ترك الكويت متجهاً الى البصرة بعد ان اكد للشيخ مبارك بأن

الحكومة البريطانية لم تزل عـلى عهدها معه وانها ستساعده بكل ما في وسعها .

اما الشيخ مبارك فلم يطمئن لتلك الأقوال وظن ان للورد هردنك غرضاً اخر من وراء زيارتـه البصرة فسافر على الاثر بيخته مشرف قاصداً المحمرة لزيارة الشيخ خزعل وليقف بنفسه على ما سيقوم به اللورد هردنك من الاجراءات السياسية في البصرة .

ولكن اللورد لم يعمل اثناء بقائـه في البصرة باكثر من زيارته الى المواقع العسكرية في القورنة ومزيرعة والشعيبة وقد رافقه في هـذه الزيارات كل من الشيخين مبارك وخزعل بدعوة خاصة ثم زار الشيخ خزعل بالفيلية وبعدها عاد الى الهند كما اتى دون ان يقوم بشيء ظاهر يستحق الذكر.

الشيخ مبارك والشريف حسين

والخلافــة

الخلافة ضرب من ضروب الحكم خاص بالاسلام لم يكن في سواه من قبل وهي على نحو السلطة الملكية المطلقة ولكنها تمتاز عنها بشمولها السلطتين الدينية والدنيوية وان الخليفة مقيد بقوانين دينية شرعية يسوس بموجبها رعاياه ويحمل الناس على الخضوع لاحكامها نيابة عن النبي .

وللخلافة خمسة شروط يجب توفرها في من يتولاها وهي : (١) العلم بالاحكام الشرعية (٢) العدالة (٣) الكفاءة (٤) سلامة الحواس (٥) ان يكون الخليفة قريشي النسب .

واول من تولى الخلافة بعد النبي ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم الامام علي وبعده ولده الحسن . ثم استولى عليها بنو امية وانتزعها منهم بنو العباس (عم النبي) ثم ضعف امرها بقيام الملوك والسلاطين وتسلمهم زمام الحكم بوجود الخلفاء ومع كل ذلك لم يجسر احد اولئك الملوك والسلاطين المسلمين من غير العرب على المطالبة بالخلافة مع ما انشاؤه من الدول التي استفحل امرها واتسع سلطانها واشتد ساعدها في الدولة الاسلامية والخلفاء العباسيون في اضعف احوالهم بل كانت دولهم لا تثبت الا اذا بايعوا الخليفة .

ولمــا قامت دولة بني بويه وهم من الديلم طمع بعضهم بالخلافة

عن طريق الانتساب الى الخليفة بالمصاهرة كما فعل عضد الدولة بن بويه الديلمي (المتوفي عام ٣٧٢ هـ) اذ حمل الخليفة العباسي (الطائع لله) على ان يتزوج بابنته لتلد ولداً ذكراً من الخليفة فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ولكنه لم يصل الى مراده .

ولما سقطت دولة بني بويه وافضت السلطنة الى السلجوقيين وهم من الاتراك تقدموا في هذا الطريق شوطاً ابعد من البويهيين فعمدوا الى التقرب من الخلافة عن طريق المصاهرة ايضاً ولكن على ان يتزوج السلطان طغرل بك السلجوقي ابنة الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) لتلد له ولداً ذكراً فتجمع له الخلافة والسلطنة فانزعج الخليفة لذلك الطلب اذا لم يسبق زواج بنات الخلفاء الا لاكفائهم في النسب فاستعطفه الخليفة بأن يعفيه من ذلك فأبى السلطان الا ان يجاب طلبه فاضطر الخليفة الى القبول فعقد له عليها سنة ٤٥٤ هـ غير انه لم يوفق لاتمام ما أراد اذ توفي بعد ذلك بقليل دون ان يكون الولد المطلوب .

ولما سطا المغول على بغداد بقيادة هولاكو في خلافة المستعصم عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وقتلوا الخليفة ورجال دولته فرّ من بقى من بني العباس ولجأوا الى مصر وكانت مصر يومئذ بيد السلاطين المماليك فبايعوا ارشد العباسيين بالخلافة وهو (الامام احمد بن الظاهر) عام ٦٥٩ هـ ١٢٦١ م ولقب (بالمستنصر بالله) وبهذا انتقل مقر الخلافة من بغداد الى مصر ثم بقيت الخلافة فيهم لحين قدوم السلطان سليم الاول الى مصر في ٣ محرم ٩٢٣ هـ ٢٦ كانون الثاني ١٥١٧ م وفتحها فدعا اليه الخليفة العباسي (المتوكل على الله الثالث) فتنازل له عن الخلافة وبايعه عليها .

فصار الاتراك يرون انفسهم هم اهل الدولة ورجال الحكومة وهم اصحاب السيادة ويجب ان يدين لطاعتهم جميع الشعوب في الدولة الاسلامية ولا سيما العرب بعد ان جمعت لهم السلطنة والخلافة فصاروا يشعرون ان بها دوام دولتهم وان في بقائها بقاء مجدهم فكانوا حريصين على الاحتفاظ

بها جهد طاقتهم .

أما العرب فكانوا يجدون انفسهم أهل مجد سالف وهم ابناء امة نشرت الاسلام وبدلت التاريخ وانشأت تمدناً غير وجه البسيطة وهم مع ذلك اكثر من الاتراك العثمانيين عدداً ويتوسمون في انفسهم المقدرة على كل شيء فتذكروا سابق مجدهم وكيف يتم للاتراك الموالي ان يحكموهم فهم اذا ما طالبوا بحكم بلادهم وتولية شؤونها فليسوا بذلك متجاوزين حقهم ثم اخذوا يتحدثون بالخلافة وهل تجوز لغير العرب اولا تجوز ؟

ظل هذا الشأن بين الاتراك والعرب حتى اخذت الدولة العثمانية في التسوية بين رعاياها في اواسط القرن التاسع عشر فنشر السلطان عبد المجيد مرسوماً سمي (خط كلخانه) يقضي بالتسوية بين المذاهب والعناصر في ارجاء الدولة جميعها ولكن لم يذعن المسلمون ولا الاتراك لتلك التسوية الصحيحة . وبقي ذلك المرسوم عديم النفع والفائدة .

ثم سرى الاعتقاد بين المصلحين من الاتراك ان رقي المملكة لا يتم الا بنقلها من الحكم الاستبدادي الى الحكم الدستوري والتسوية بين الرعايا في الحقوق والواجبات وجمع كلمة العناصر المختلفة باسم الجامعة العثمانية فاخذوا في بث هذه الدعوة بين الامة ولكنها لم تختمر الا في آخر عهد السلطان عبد العزيز فخلعوه وولوا مكانه ابن اخيه السلطان مراد بن عبد المجيد وكان السلطان مراد ميالاً للحكم الدستوري ولكن ايام سلطنته لم تطل فولوا السلطان عبد الحميد الثاني مكانه بعد ان اشترطوا عليه تأييد الدستور فوعدهم بذلك ولكنه لم يفعل بل ناهضهم وحاربهم بالتفريق والتجسس والفتك .

وكانت نقمته موجهة الى الاتراك ولا سيما الاحرار منهم بنوع خاص وكان من ضمن مناهجه الاستعانة بالعرب فقرب اليه جماعة منهم جعل اليهم الحل والعقد فاوغر بذلك صدور الاتراك عليهم .

فاخذ الاتراك الاحرار يجاهرون في طلب الدستور واخذت تناصرهم

جماعة من احرار العرب حتى تمكنوا من نيل الدستور في أواسط عام ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م فنادوا بالوحدة العثمانية واعلنوا مبدأ (الحرية والعدالة والمساوات) وتقربوا على الخصوص الى العرب طالبين نصرتهم على الحكومة الظالمة فاخذ انصار العهد الماضي يسعون في التفريق بين العناصر باغراء كل قوم او عنصر بتشكيل الجمعيات القومية وكان العرب من السابقين الى ذلك فانشأوا جمعيـــة الاخاء العربي وغيرهـــا من الجمعيات وطفقوا ينادون بطلب الاستقلال الاداري عملاً برأي الامير العثماني (صباح الدين) وكانت جريدة النهضة العربية التي تصدر في باريس تطالب صراحة بحقوق العرب وتبين فضلهم على سواهم .

فاغتنم الساعون للتفرقة هذه الفرصة فصاروا يهولون هذا الأمر إلى الأتراك ويوغرون صدورهم على العرب ويفصمون عرى الالفة بين الفريقين فتغيرت القلوب وأصبحت كل طائفة تفسر اعمال الطائفة الأخرى بسوء القصد فابتعد العرب عن الاتراك وساء الأتراك الظن بالعرب لما رأوه من تباعدهم وظهر ذلك في بعض اجراءات الحكومة واصبحت تصدق الوشاية بهم وتصغي الى الدسيسة فغضب العرب لذلك لأنهم كانوا يعتقدون بانهم هم المخلصون للدستور .

ومما أوغر صدور الأتراك على العرب سعيهم في اقامة خلافة عربية وكانت جذور هذه الفكرة عميقة ذات عهد قديم يرجع الى بداية زمن السلطان عبدالحميد الثاني حيث كانت المنشورات تصدر باسم الاحرار العثمانيين او تركيا الفتاة بدون توقيع تتضمن الطعن في خلافة آل عثمان ويدعون المسلمين الى خلافة عربية ويبعثون بنسخ من تلك المنشورات الى المابين وكانت هذه المنشورات تتسرب الى مصر وتنشر في صحفها اليومية .

مؤتمر الفيليّة

وفي أواسط شهر صفر عام ١٣٢٧ هـ اوائل شهر مارت ١٩٠٩ م عقد اجتماع في قصر الشيخ خزعل (بالفيليّة) حضره الشيخ مبارك والشيخ خزعل وسعدون باشا ابن منصور باشا وجملة من رؤساء عشائر العمارة

والقرنة كما حضره عبدالوهاب القرطاس (عضو مجلس ادارة لواء البصرة) والسيد يوسف السيد رجب النقيب وكان الغرض من ذلك المؤتمر التعاضد والتآزر فيمابين هؤلاء الزعماء وجمع كلمتهم للمطالبة بحقوقهم في ولاية البصرة .

فاهتمت الدولة العثمانية لهذا الامر وعينت سليمان نظيف بك والياً على البصرة فتولى الامر في شوال عام ١٣٢٧ هـ اول شهر تشرين الثاني ١٩٠٩ م وكان من اشد الولاة نقمة على العرب واخذ يصرح في نواياه السيئة ضدهم .

ولما عزم خديوي مصر (عباس حلمي) الذهاب الى مكة عام ١٩٠٩ م تشاور الشيخ مبارك مع الأمير عبدالعزيز السعود والشيخ خزعل وغيرهم من الأمراء بأن يذهبوا الى مكة ويقابلوا الخديوي ويتداولوا معه على نزع الخلافة من الأتراك وارجاعها الى العرب ثم اتضح لهم بان هناك اعتبارات قد يصطدمون بها . وكان من اهمها عدم وجود شخص بارز في ذلك الحين خليق بتبوء منصب الخلافة اعتماداً على الحديث المشهور (الامامة في قريش) فمن هو ذلك القريشي الذي يجب ان يبايعوه وتجتمع كلمة العرب على احقيته بهذا الامر فيبسطون له ايديهم بالبيعة وعلى فرض وجوده فلا يسلم الوضع من الانقسام والتنافس او التحاسد مما لا تحمد مغبته وقد لايقوم على شيء واذا هم مالوا الى مبايعة خديوي مصر لانه اوسع ملكاً واعظم سلطاناً وقد لا يزاحمه احد ولكن الشروط لا تتحقق فيه كاملة ومع افتراض اكتسابه صفة العروبة بالولادة فانه غير قريشي فارجوا تنفيذ هذه الفكرة .

ولما تولى الشريف حسين امارة مكة توجهت له الانظار وعقدت عليه الآمال وظن العرب انهم سينالون جميع حقوقهم على يده وسيسترجع لهم حقهم في الخلافة .

وصار امراء العرب يتطلعون اليه بعين الاجلال والاحترام لما كان يتمتع به من النسب الرفيع والمقام السامي والرئاسة على الحرمين الشريفين .

وكان الشيخ مبارك يكن في نفسه للشريف حسين احتراماً فائقاً بالرغم من بعد الشقة وصعوبة المواصلات .

ولما اوشكت الحكومة البريطانية على دخول الحرب ضد الدولة العثمانية اخذت تسعى في تحكيم علاقاتها مع امراء العرب الذين على سواحل الخليج العربي بصورة خاصة وصارت تبذل لهم الوعود بسخاء كثير .

اما الشريف حسين فقد توسعت له بالوعود ومنته برئاسة الأمبراطورية العربية الكبرى المنتظر قيامها وحسنت له المطالبة باسترجاع الخلافة الاسلامية الى العرب .

وبناءً على ذلك اخذ يواصل أمراء العرب برسائله ويزودهم بالنصائح والارشادات ويحثهم على المطالبة بحقوقهم المشروعة التي اغتصبتها الدولة العثمانية .

وقد كتب فيما كتب رسالة الى الشيخ مبارك بيد ابراهيم بن معتق تتضمن بعض هذه الأمور فلاقت رسالته هوى لدى الشيخ مبارك فارسل اليه الرسالة — الآتيـــة : —

« حضرة حميد المكارم والشيم عالي الهمم سيدنا صاحب الدولة سيدنا وسيد الجميع امير مكة المكرمة الشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا المحترم أدام الباري وجوده آمين .

بعد اهداء السلام التام بمزيد الاحترام والاستفسار عن تلك الذات الجامعة لمحاسن الصفاة .

وعن رهين لطفكم من فضل الله وبركاة توجهاتكم العلية في خير وسرور جعلكم الله كذلك . بيد الطاعة والخلوص اخذة أمركم العالي بيد محب الجميع ابراهيم بن معتق وسرنا للغاية رئيت كتابكم ويفرحني أيضاً وقوع أنظاركم على انا يا محسوبكم وانا في كل وقت واقفين تحت أمركم فيما يقتضي .

هذا ما لزم ابلاغ سلامنا انجالكم الكرام ومنا خدامك الولد جابر واخوانه يهدون السلام وأطال الله بقاكم آمين .

في ٣٠ شوال سنة ١٣٣٢ هـ   مبارك الصباح »

وبقيت علاقة الشيخ مبارك ودية مع الشريف حسين الى ان توفي واخلفه ابنه الشيخ جابر فتوطدت تلك الصلة وتجلت مظاهرها عند انعقاد مؤتمر الكويت الاول الذي سيأتي البحث عنه في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

الشيخ مبارك والامير عبد العزيز السعود

بعد ان تم النصر للامير عبدالعزيز الرشيد في معركة الصريف ظن ان السيادة المطلقة قد استتبت له في انحاء نجد كافة فأخذ يتجول في ربوعها بدون وجل ولا حذر حتى قدم الى ماء يدعى (الحفر) مقارب لحدود الكويت ليضيق على الشيخ مبارك.

فرأى الشيخ مبارك بثاقب بصره ان الوقت المناسب قد حان لتنفيذ الخطة السياسية التي رسمها في مخيلته بعد فشله في معركة الصريف فخرج الى الجهرة بقسم كبير من رجاله المسلحين لاشغال الامير عبدالعزيز الرشيد ولاضطراره للبقاء في تلك البقاع بعيداً عن مركز امارته ليحافظ على عشائره المنبثة في تلك المناطق من هجمات الشيخ مبارك.

ثم حث الشيخ مبارك الامير عبدالعزيز السعود على الذهاب لاحتلال الرياض مغتنماً فرصة غياب الامير عبدالعزيز الرشيد مع قسم كبير من رجاله عن تلك البقاع وكان الامير عبدالعزيز السعود يتمنى ان تتهيأ له مثل هذه الفرصة الثمينة فأظهر رغبة شديدة لقبول هذا العرض لما ذاقه من مرارة العيش بالكويت وهو الذي يصعب عليه ان يعيش عيشة الهدوء والسكون فعزم على الذهاب والمخاطرة بنفسه فاما ان يفوز باعادة مجد آل السعود واما ان يموت ويعذر ويكون قد قام بواجبه مرتاح الضمير.

فخرج من الكويت عام ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م بعد ان جهزه الشيخ مبارك بأربعين بعيراً وثلاثين بندقية وبمائتين ريالاً وببعض الزاد ولم يكن

معه يومئذ من الرجال الا اربعين اكثرهم من آل السعود .

فرأى ان يبدأ هجومه اولاً على بعض القبائل الجنوبية ليموه على خصمه عبدالعزيز الرشيد الجهة التي يقصدها فقصد قبيلة العجمان وطلب اليهم الانضمام اليه فلم يجبه رؤساؤهم ولكن انضم اليه قسم كبير من افرادهم كما انضم اليه قسم من آل مرة وسبيع والسهول فغزا بهم قبيلة قحطان ومطير وغنم من اموالهم شيئاً كثيراً وكان اتباعه يزدادون في كل غزوة حتى اصبحوا الف وخمسمائة مقاتل من الهجانة والمشاة وستمائة من الفرسان فعزم على الاتجاه بهم نحو الرياض .

ولما انكشف امر هذه الحملة للأمير عبدالعزيز الرشيد اسرع بالهجوم على اطراف الكويت والحق بعض الضرر باعراب (عريب دار) ليظهر للشيخ مبارك انه غير مكترث بالامير عبدالعزيز السعود ولا مهتم بتحركاته في نجد .

ثم قدم شكاية الى الدولة العثمانية يحتج بها على سوء سلوك الامير عبد العزيز السعود باثارة الفتن والقلاقل كما كتب الى الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر مع شخص يدعى (الحازمي) يطلب منه مناوأته غير ان الصدف لم تمكن أمير قطر من الاصطدام بقوات الأمير عبدالعزيز السعود .

وكذلك لم تتخذ الدولة العثمانية من الاجراءات الصارمة ضده سوى منعها إياه التموين من الاحساء والقطيف وقطع الراتب الذي قد خصصته الى ابيه الامام عبدالرحمن الفيصل .

ولما علمت العشائر التي التحقت به بنبأ مقاطعة الدولة العثمانية له (وكانت تظن ان الدولة تؤيده في قيامه ضد الامير عبدالعزيز الرشيد) انفضوا من حوله ولم يبق معه من كل تلك الجموع غير عشرين شخصاً بالاضافة الى الأربعين الذين خرجوا معه من الكويت . عندئذ ضاقت به الامور وهو تائه بين الاعداء وتزعزعت آماله فصمم على

مواصلة جهاده وان يضرب ضربته الأخيرة وهو يرجو ان تكون القاضية اما عليه او على خصمه فاما يستولي على الرياض او يدفن في أرضها .

وبعدما علم الشيخ مبارك بالحالة السيئة التي احاطت بالأمير عبدالعزيز السعود وبالظروف غير المساعدة كتب اليه يرجوه الرجوع الى الكويت وعدم ارتكاب المخاطر غير المجدية وكتب اليه ابوه الامام عبدالرحمن ايضاً يستحثه على العودة الى الكويت ويظهر له صعوبة التغلب على خصمه ولا فائدة ترتجى في الكفاح ما دامت الدولة العثمانية تساند وتشد أزر الخصم . فلم تجد تلك الرسائل نفعاً ولم تثنه عن عزمه ولم تصده عن مواصلة العمل .

فتح الرياض

فتوجـــه مسرعاً الى الرياض بجماعته القليلـــة ليضرب سهمـــه الأخير فلما وصل الى قرب مدينة الرياض ترك ثلاثين رجلاً من اتباعه على بئر تدعى (ذيل العشب) وهي على مسافة ساعتين من المدينة لحراسه ابله وتقدم هو بالقسم الآخر من رجاله مشياً على الاقدام فلما وصلوا الى البساتين المحيطة بالمدينة في محل يدعى (الشمسية) أمر اخاه محمد بن عبد الرحمن بالمكث مع ثلاثة وعشرين شخصاً لينتظر آخر الأخبار وتقدم هو مع سبعة أنفار من ضمنهم الامير عبدالله بن جلوى فتسلقوا سور المدينة ودخلوها ليلاً وساروا الى احدى الدور التي تجاور الدار التي يسكنها عامل الامير عبدالعزيز الرشيد المسمى (عجلان بن عبدالرحمن) وكانت تلك الدار تعود لاحد عبيد آل السعود المدعو (جويسر) فلما دخل عليهم رحبوا به اشد الترحاب فأمرهم بالسكوت والكتمان فاطاعوه . ثم تسلق الجدار الموصل الى دار (عجلان) ودخلها فلما اطمئن به المقام ارسل احد رجاله الى اخيه محمد ليلتحق به في تلك الدار فأسرع الامير محمد بالقدوم اليه مع من كان معه من الرجال .

وعند طلوع الفجر خرج عجلان من مخدعه فخف اليه الأمير عبد

العزيز السعود واطلق بندقيته عليه فلم تصبه فهم (عجلان) بالهروب الى داخل القصر فلحق به الامير عبد العزيز السعود وامسك به ليمنعه فجرى بينهمـــا صراع كاد ان يتغلب به (عجلان) او لم يتدارك الامر الأمير عبدالله بن جلوى وينقذ الموقف باطلاق بندقيته على (عجلان) فاردته قتيلاً في الحال.

عندئذ دخل الامير عبدالعزيز السعود ومن معه القصر دون ان يجدوا مقاومة تذكر ونادى بنفسه أميراً على الرياض فلم يلاق معارضة من الاهلين وكان ذلك في غرة شهر شوال ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م.

فبعث الأمير عبدالعزيز السعود رسولاً الى الكويت ليبشر الشيخ مبارك ووالده بهذا النصر فوصل الرسول في ١٩ شوال عام ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م وأبلغهما الخبر.

وفي ١٣ ذي القعدة عام ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م كتب الشيخ مبارك الى والي البصرة (القمندان مصطفى نوري باشا) يخبره باستيلاء الامير عبدالعزيز السعود على الرياض وخروجها من حوزة ابن الرشيد ويطلب منه رفع الأمير الى الباب العالي للاعتراف بذلك.

الامير عبدالعزيز الرشيد
بعد فتح الرياض

بلغ الأمير عبد العزيز الرشيد نبأ فتح الرياض بعد مغادرته ماء (الحفر) بقليل فلم يعر الامر اهتماماً زائداً بل استخف بغريمه واستسهل أمره ظناً منه ان في استطاعته القضاء عليه حينما يشاء وكانت نتيجة هذا الإستخفاف وعدم اخذ الأهمية الكافية توطيد دعائم امارة الامير عبد العزيز السعود على نجد ورسوخ اركانها.

وفي محرم عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م عزم الامير عبدالعزيز الرشيد المسير

الى مقاتلة خصمه ليمنع تقدمه في نجد فدارت بينهما معارك ووقائع كان النصر في اكثرها حليفاً للامير عبدالعزيز السعود فندم على عدم اسراعــه لمقابلة خصمه قبل استفحال امره ولكن سبق السيف العذل .

أما الشيخ مبارك فلم ينقطع عن مناصرة الأمير عبدالعزيز السعود فكان يبعث اليه بالقوافل المجهــزة بالاطعمة والذخــيرة والاسلحة ويزوده فوق كل ذلك بالخطط الحربية لانه رأى في انتصاراته على خصمه الامــير عبدالعزيز الرشيد ما يشفي حقده بعد ما ناله من الخسائر في حرب (الصريف) .

محاولة لصد الهجوم عن الرياض

بلغ الشيخ مبارك ان الامير عبدالعزيز الرشيد اخذ بالسعي لتدبير خطة هجومية على الرياض لاسترجاعها وانــه يفاوض بعض القبائل لتشــد ازره ومن ضمنهــا قبيلة الظفير التي كانت يومئــذ مقيمة على ماء يدعى (الوقبا) فجهز جيشــاً من الكويت واسنــد قيادتــه الى صقر آل غانم ليغزوا به قبيلة الظفير فسار ذلك الجيش ونزل على ماء يدعى (اللصافة) ليستكشف قوة عدوه فوجدهم قد ارتحلوا من (الوقبا) متجهين نحو الرياض فأمر صقر بجيشه بحمل كمية من الماء تكفيهم لمدة ثلاثة أيام واسرع بالمسير الى متابعة قبيلة الظفير فلحق بهم وانقض عليهم انقضاض الصاعقة فكبدهم خسائر فادحة بالاموال والارواح وفرقهم وبهذا احبط الشيخ مبارك عزيمة الامير عبدالعزيز الرشيد من القيام بمهاجمة الرياض .

خروج الامام عبدالرحمن من الكويت

جاء احتلال الامير عبدالعزيز السعود الى الرياض في الوقت المناسب لان الامام عبدالرحمن وبقية آل السعود في الكويت كان قد اضربهم العسر

وضنك العيش ولم يكن لهم موارد غير ما كان يتقاضاه الامام عبدالرحمن من المعاش الشهري الذي تدفعه اليه الدولة العثمانية وكان ذلك من القلة بحيث لم يكن يسد عوزه ولو لم يمده الشيخ مبارك بالمساعدات وما كان يستدينه من تجار الكويت لتعذر عليه العيش .

وقد كتب بذلك الى الدولة العثمانية بواسطة السيد رجب النقيب بتاريخ ٢ ذي القعدة عام ١٣١٩ م ١٩٠١ م يستعطفها لزيادة مرتبه ومما جاء في ذلك الكتاب (ولولا ما يحصل لنا من حضرة الشيخ مبارك الصباح من المساعدة وما اخذناه من التجار من الكويت وغيرها من الدين ما يزيد على ثلاثين الف ريال ما قدرنا على الاستقامة ولا شهراً واحداً) .

فلم يكن من الدولة العثمانية من اجابة له على ذلك الا ابلاغه بأنها قد قطعت عنه ذلك الراتب بناءً على قيام ولده بالثورة في نجد ولما تحقق الامام عبدالرحمن الفيصل هذا الامر عزم على ترك الكويت والالتحاق بولده في الرياض .

وفي ١٠ صفر عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م غادر ركبه الكويت مع جميع أفراد عائلته بعد ان كتب بتاريخ ٥ صفر ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م الى الدولة العثمانية بواسطة السيد رجب النقيب يعلمها بسبب خروجه من الكويت والتحاقه بالرياض وفيما يلي نص ذلك الكتاب : —

« من عبدالرحمن بن فيصل السعود الى نقيب اشراف البصرة السيد رجب المحترم

قبل هذا ارسلنا لكم كتاباً شرحنا فيه أحوالنا وقت الآباء والاجداد وانا خدام محسوبون على الدولة العلية وانه لما صار لنا ما صار من غدرات ابن الرشيد وخيانته لم نلتج الى أحد الا الى الله تعالى ثم الى ظل عدالة أمير المؤمنين ادام الله مجده وقد طالت المدة علينا واخذنا سنين ننتظر تعطفاته الملوكية ان نعطا من المعاش ما يقوم باحوالنا ونرجع الى محلنا وننصف ممن ظلمنا فلم يحصل لنا من آمالنا الا هذا المعاش القليل الذي ما يقوم ببعض

احوالنا ومع ذلك لم يحصل لنا منه شيء الا ما يشبه التسلية والتعزية من كل خمسة أشهر او ستة اشهر او شهرين فلما ضاقت بنا الحال وتراكمت علينا الديون ولم يبق لنا قابلية على الاصطبار بوجه من الوجوه صرنا مجبورين على الخروج من الكويت لنعيش انفسنا واطفالنا واتباعنا ونتوجه الى بلدتنـــا وعشائرنا لدفع تعديات ابن الرشيد ونحن في كل ملكان وحال من الاحوال لا نزال بحول الله نوءدي الخدمات لحضرة أمير الموءمنين باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه منقادين الى اوامر الدولة العلية فنرجو من مراحم وتفضلات واحسان حضرة أمير الموءمنين حلول انظاره علينا ورفع تعديات ابن الرشيد واجراء ما تفضل به من المعاش.

حرر في الكويت بتاريخ ٥ صفر سنة ١٣٢٠ هـ

عبدالرحمن الفيصل السعود ».

وكان الامام عبدالرحمن الفيصل قبل خروجه الى الرياض قد كتب أيضاً الى لمقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) يخبره بخروجه من الكويت ويرجوه بأن تضع الحكومة البريطانية انظارها عليهم وان تشملهم بعطفها ولطفها ويخبره (بأن الحكومة الروسية بواسطة احد رجالها السياسيين قد عرضت عليه استعدادها لمساعدتهم وانها ستلبي طلبهم غير انه رفض ذلك رغبة منه في ارضاء الحكومة البريطانية وعدم استعدادهم لقبول المساعدة من دولة اخرى سواهـــا).

اشتراك الامير عبدالعزيز السعود

بمهاجمة سلطان الدويش

في عام ١٣٢١هـ ١٩٠٣م زار الامير عبدالعزيز السعود الشيخ مبارك في الكويت وكان يصحبه كثير من عشائر نجد وكان سلطان الدويش بعد معركة الصريف قد تحالف مع الامير عبدالعزيز الرشيد ونزل مع الكثير من اتباعه

على الحدود الكويتية بالمحل المسمى (جولبن) ليضايق على الشيخ مبارك فرأى الشيخ مبارك ان الحزم يقضي بعدم تضيع هذه الفرصة فتداول مع الامير عبدالعزيز السعود حول الموضوع وعرض عليه مكاتبة تدور بين سلطان الدويش وبين الامير عبدالعزيز الرشيد تتضمن الهجوم على الكويت وانه يرغب بمبادرتهم قبل استفحال الامر فوافقه الامير عبدالعزيز السعود واظهر استعداده للاشتراك معه في هذا الأمر فجهز الشيخ مبارك جيشاً كبيراً من الكويتيين واسند قيادته الى ولده جابر – فرافقهم الامير عبدالعزيز السعود بمن كان معه من اتباعه النجدين .

فسار ذلك الجيش الى مقاتلة سلطان الدويش وكانت الفرسان فيه تزيد على الالفين عدى المشاة فادركوا الدويش في (جولبن) وهو في غفلة فهجموا عليه وانزلوا به خسائر فادحة ولم يجد امامه مجالاً للمقاومة او الدفاع ففضل الانسحاب السريع بعد ان استولى الجيش الكويتي والنجدي على كثير من أمواله ويقدر ما اخذ منه من الابل وحدها بنحو خمسة آلاف فكان نصيب الأمير عبدالعزيز السعود من تلك الابل خمسمائة بعير .

عزم ابن الرشيد على مهاجمة الرياض

اغتنم الامير عبدالعزيز بن متعب الرشيد زيارة الامير عبدالعزيز السعود الكويت فرصة فعزم على مهاجمة الرياض فارسل الامام عبدالرحمن رسولاً الى الكويت ليخبر ابنه بذلك . فذهب الرسول مجداً وفي طريقه علم ان الامير عبدالعزيز السعود قد خرج من الكويت برفقة جابر لقتال سلطان الدويش في (جولبن) فقصدهم هناك فوجدهم قد فرغوا من القتال فافضى اليهم بالخبر فطلب الاميرعبد العزيز السعود من جابر ان يصحبه بجيشه الى الرياض لطرد الامير عبدالعزيز الرشيد عن حصارها . فاعتذر اليه جابر عن الاجابة ما لم يأذن له ابوه فقبل عذره وعزم على الذهاب

بنفسه الى الكويت ليطلب النجدة من الشيخ مبارك. (ولكن الامير عبدالعزيز السعود العالم الخبير باخلاق الشيخ مبارك ودهائه وان هذا الأمر يتطلب السرعة والاستعجال. فاهتدى بقوة ذكائه الى طريقة غريبة هي أن يطلب النجدة بصورة علنية وعلى مسمع ومرأى من جميع أهالي الكويت ليحرج بها موقف الشيخ مبارك ويأمن مماطلته) فلما قرب من مدينة الكويت ولاحت مبانيها تقدم اليها راكباً ذلوله مسرعاً بالسير وهو ينادي بصوت مرتفع: —

«يا أهل الكويت هلموا خلفي اتبعوني الحقوا بي» وقد دوى صوته في ارجاء المدينة وبلغ مسامع اغلب الاهالي فهرعوا اليه مسرعين وهو يسير نحو قصر الشيخ مبارك لا يلوي على شيء ولا يتحدث الى أحد.

فظن الناس ان الجيش الكويتي الذي ذهب الى مقابلة سلطان الدويش قد أبيد عن آخره وان الامير عبدالعزيز السعود ومن عاد معه هم البقية الباقية فسبق نداؤه الى الشيخ مبارك فخرج من قصره مسرعاً مضطرباً. فما وقع بصره على الامير عبدالعزيز السعود وهو على تلك الحالة حتى بادره قائلاً

«على مهلك يا ولدي عبدالعزيز ما الذي دهاك آمن بالله قر عيناً اعلمني خبرك».

هناك تقدم الامير عبدالعزيز وقال له «يا والدي يا مبارك. يا اهل الكويت يا اصحاب الحمية لقد هاجم ابن الرشيد الرياض مغتنماً زيارتي اليكم فرصة وهو كما تعلمون عدو لي وعدوٌ لكم فالنجدة النجدة النصرة النصرة»

فلما وقف الشيخ مبارك على هذا الخبر وعلم ما يطلبه الامير عبدالعزيز السعود منه وعده المساعدة واوعز في الحال بشحن جملة من السفن بالاطعمة والسلاح والذخيرة وان تذهب الى (الظلوف) جنوب الكويت واصدر امره الى الجيش العائد من حرب سلطان الدويش بالمسير الى الرياض وان يتزود بما يحتاجه من تلك السفن.

فلما علم الامير عبدالعزيز الرشيد بما دبر له الامير عبدالعزيز السعود

في الكويت وشعر بمسير ذلك الجيش لمقابلته عدل عن مهاجمة الرياض وغير اتجاهه عنها فاطير الخبر الى الامير عبدالعزيز السعود فسكن جأشه واطمئن على بلده وعاد اليه مسرعاً .

وساطة الشيخ مبارك بين الدولة العثمانية وبين الأمير عبد العزيز السعود

نكبت الدولة العثمانية في الجزيرة العربية عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٤ م عدة نكبات في نجد وفي اليمن فالح عليها الامير عبدالعزيز الرشيد بطلب النجدة على خصومه آل السعود واهالي القصيم فارسلت اليه جيشاً بقيادة حسنين بك لمساعدته فلما وصلت جيوش حسنين بك الى مدينة عنـــيزة اراد ان يطمئن الاهلين قبل الشروع باي عمل آخر فاصدر المنشور الآتي :

« الى كافة من يراه من اهالي عنيزة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعـــده

المنها اليكم ان مما هو متحقق لدى او لى الالباب ومعروف عند من له ادنا معرفة في الخطا والصواب شفقة كل من هو ناصح للعباد عـــلى البر وحسم طرق الفساد فلتكامل الاوصاف الحميدة والآرا المفيدة السديدة بالسلطان المعظم امير المؤمنين ضل الله في ارضه الملك الذي بحميته على اهل ملته تقدم امري بسوق ــ العساكر الشاهانية الهائلة القوية لاجل اصلاح بلادكم فلا طواع الاوامر السنية وامتثال اقواله العلية اتينا وتشاورنا مع الامير عبد العزيز ابن رشيد قاصد بن في سعيه رضا متبوعنا الاعظم .

فبناءً على ذلك حررنا هذا الكتاب ووجهنا اليكم هذا الجواب فعلى من يريد الامان ان يسلم فله امان الله من السلطان المعظم ومن لم يريد الا

الشقاوة والفساد والميل لاعدائنا من العباد فها نحن قدمنا عليه وسقنا جنودنا اليه راجين من الله الاعانة والذي علينا توضيح ذلك والابانة ومن يقدم لنا من معتميدكم فانه لم يصل لها منا سوءٌ ولا مكروه

تحرير ٢٤ محرم سنة ٣٢٣ حامي حامية القصيم

حسنين »

ثم اردفق هذا الجيش بجيش آخر اسندت قيادته الى احد رجالها المشير احمد فيضي باشا ثم اوعزت الى الفريق صدقي باشا للسير من المدينة المنورة فسار المشير احمد فيضي باشا من بغداد ومعه ثلاثة طوابير وخمسة مدافع كما سار الفريق صدقي باشا من المدينه ومعه طابورين فاجتمعوا وعسكروا جميعاً قرب القصيم .

لم تكن الدولة العثمانية يومئذ بالرغم من تسير جيوشها راغبة باثارة الحرب ولم ترد من وراء ارسال تلك الجيوش سوى استتباب الامن في نجد فكتب والي البصرة مخلص باشا الى الشيخ مبــارك ليتوسط لدى الامير عبدالعزيز السعود وقاسم بن ثاني امير قطر ويوفقهما على رغبة الدولة للتفاهم معهما لاستتباب السلم .

فلبيا الوساطة وابرقا برقيات الى اسطنبول باعلان ولائيهما غير ان مخلص باشا لم يكتف بتلك البرقيات وطلب مقابلتهما شخصياً ولا سيما الامــام عبدالرحمن الفيصــل .

فارسل الشيخ مبارك كتاباً الى الامير عبدالعزيز السعود يعلمه فيه برغبة الدولة العثمانية للتفاهم معه ويرجوه الاذعان لرغبتها فاجابه الامير عبد العزيز السعود ملبياً رجاءه واخبره بسفر والده الى الكويت لهذا الغرض .

فقدم الامام عبدالرحمن الفيصل الى الكويت فرافقه الشيخ مبارك الى الزبير واجتمعا هناك بوالي البصرة مخلص باشا وجرت بينهم المفاوضات حول الموضوع الراهن في نجــد والقصيم فاقترح والي البصرة ان تكون

القصيم على الحياد وان يتكون منها مقاطعة مستقلة لتكون حاجزاً بين آل السعود وآل الرشيد وان يكون فيها للدولة العثمانية مركزاً عسكرياً ومستشارين .

فلم يوافق الامام عبدالرحمن على هذا الاقتراح ولم يرفضه بل وعد بانه سيعرض هذا الامر على اهالي نجد لاستطلاع آرائهم وانتهت تلك المفاوضات الى هذا الحد .

ثم عزم الامام عبدالرحمن على العودة الى بلاده فلما علم ولده بذلك خرج من الرياض لاستقباله الى قرب الحدود العراقية ومن هناك ساروا الى شقراء اما الشيخ مبارك فعاد الى الكويت .

وعندما عرض الامام عبدالرحمن مقترحات والي البصرة على اهالي نجد رفضوها بالاجماع فاقام الامام عبدالرحمن في شقراء وذهب ولده بمن كان معه من الرجال الى القصيم فنزل بمحل يدعى (العماد) يبعد عن بريدة خمسة وعشرين ميلاً فلما علم الامير عبدالعزيز الرشيد بعدم قبول النجديين مقترحات الدولة العثمانية على حياد القصيم اراد الهجوم على القصيم والاستيلاء عليها فلم يوافقاه احمد فيضى باشا وصدقي باشا على رأيه ففارقهما غاضباً حانقاً .

ثم ركب المشير احمد فيضي باشا على رأس جنوده متوجهاً الى جهة القصيم فلما وصل مدينة بريدة ابى اهلها عليه دخول المدينة وارسلوا الى الامير عبدالعزيز السعود يستشيرونه بالمقاومه . وكان المشير احمد فيضى باشا قد ارسل ايضاً الى الامير عبد العزيز السعود يعلمه بانه لا يريد باهالي نجد سوءً وانه جاء مسالماً ويرجو مه ان يلزم مكانه ويرسل والده الامام عبدالرحمن ليوافيه في عنيزة للمفاوضة فقبل الامير عبدالعزيز ما عرضه عليه المشير احمد فيضى باشا وامر اهالي القصيم بان يخلدوا للسكينة خلال دور المفاوضة .

فسار الامام عبدالرحمن الفيصل من شقراء واجتمع باحمد فيضى باشا في مدينة عنيزة وتداولوا في الامر فطلب المشير احمد فيضى باشا ان يكون

للدولة العثمانية مركزاً عسكرياً في بريدة وفي عنيزة موقتاً الى ان يتم الصلح بين نجد وحائل فرأى الامام عبدالرحمن ان يقبل اقتراح المشير طالما الامر موقتاً وكاد يتم هذا الاتفاق لو لم تحدث قلاقل في اليمن استوجبت صدور الامر الى المشير احمد فيضي باشا بالذهاب الى اليمن فترك القصيم بعد ان اسند الامر الى زميله صدقي باشا فاقام صدقي باشا في (الشيحة) ملتزماً جانب الهدوء .

وكان الشيخ مبارك خلال فترة المفاوضات محايداً دون ان يظهر ميله لاحد وكان الامير عبد العزيز السعود مستنكراً موقف الشيخ مبارك وعدم مساعدته في هذه الظروف التي كان يتوقع منه المساعدات الحاسمة .

وبعد توقف المفاوضات سرت روح الشقاق بين اهالي القصيم فكان فريق منهم مع صدقي باشا وفريق يؤيد الامير عبدالعزيز السعود وفريق آخر يناصر الامير عبدالعزيز الرشيد .

فلم يستحسن الامير عبدالعزيز السعود هذا الموقف المتذبذب فعاد الى الرياض نافضاً يده من اهالي القصيم فارسلوا الى الشيخ مبارك يسألونه ان يتوسط بينهم وبينه .

فاغتنم الشيخ مبارك هذه الفرصة فتوسط في الامر ليزيل ما علق بذهن الامير عبدالعزيز السعود من الشك وليظهر له انه الصديق الذي يرعى العهود فكتب اليه يشير عليه بالعودة الى القصيم ويطلب منه العفو عن اهلها لانهم مخلصون له ولا يبغون لهم سيداً سواه وهو الضامن لهم .

فأجابه الامير عبدالعزيز السعود على رجائه بقبول معذرة اهالي القصيم غيرانه لم تمح عن ذهنه الشكوك في موقف الشيخ مبارك ذلك الموقف المحايد .

الاتفاق بين الشيخ مبارك وابن الرشيد

كانت اكثر القوافل النجدية التي تكتال من الكويت تنتشر في ارجاء البادية دون ان يتمكن الامير عبدالعزيز السعود من استيفاء الرسوم المطلوبة منها وفي عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م عزم على القيام بعمل يمكنه من السيطرة على تلك القوافل فاصدر امره بوجوب مصاحبة ممثلين من قبله مع تلك القوافل النجدية ليستوفوا منها الرسوم المقررة قبل مغادرتها الكويت دون ان يأخذ رأي الشيخ مبارك بذلك .

فلم يرق هذا العمل للشيخ مبارك وعده اجحافاً بحقه واعتداءً على سلطته فكظم غيظه ولم يعترض على ذلك بيد انه عمد الى التفاوض مع الامير عبد العزيز الرشيد فأخذ يراسله سراً ليحكم علاقاته معه وطلب منه ان يرسل خالد باشا العون الى الكويت (لان خالداً ، كان صديقاً حميماً للامير عبدالعزيز الرشيد ومؤتمنه ومن المقربين اليه) لكي يتفاوض معه في عقد اتفاق سري لغرض التضيق على الامير عبدالعزيز السعود ولوقوف حاجز أمام خطته الوسعية في نجد .

وفي اواسط عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م زار خالد باشا العون الشيخ مبارك في الكويت وجرت بينهما المفاوضات حول عقد تلك الاتفاقية وكان من جملة موادها ان يلتزم الشيخ مبارك جانب الحياد التام في حالة نشوب حرب بين آل الرشيد وبين آل السعود .

وكان الشيخ مبارك يرمي من وراء هذه الاتفاقية الى اهداف ثلاثة :

اولاً : ـ تخوفه من اتساع نفوذ الامير عبدالعزيز السعود في نجد وفي ذلك ما فيه من الخطر على نفوذه في الكويت .

ثانياً : ـ احباط مساعي خصمه يوسف الابراهيم الذي كانت تربطه روابط

صداقة بالامير عبدالعزيز الرشيد وبهذا الاتفاق سيقلل من عدائه ومناوئته لــه .

ثالثاً : ــ جلب رضا الدولة العثمانية بعد بلوغها مصافاته لحليفها ابن الرشيد

وعلى اثر هذا اخذ الشيخ مبارك يبث دعاته بين اعراب نجد وعشائرها ويعلن لهم بانه قد تخلى عن مناصرة وصداقة الامير عبدالعزيز السعود ويشجعهم على عصيانه ثم اخذت الرسائل الودية تتبادل بينه وبين الامير عبدالعزيز الرشيد وكان بعضها يتضمن حث الامير عبدالعزيز الرشيد على حرب الامير عبدالعزيز السعود الى ان قتل .

سياسة ذات وجهين

ولما آلت امارة حائل بعد مقتل الامير عبدالعزيز الرشيد بتاريخ ١٤ صفر ١٣٢٤ هـ ١٣ نيسان ١٩٠٦ م الى ولده متعب كتب الشيخ مبارك يهنئه بالامارة ويحثه على عداء الامير عبدالعزيز السعود ومما جاء في ذلك الكتاب : ــ

(اني متكدر جداً من اعمال ابن السعود وقد جرت الامور في نجد على غير ما اشتهي اما الآن فانا واياكم عليه والكويت وحائل شقيقتان ومصلحة البلدين واحدة ولكم مني ما تشاؤن من المساعدات وارجو ان يكون على يدكم الفوز وتخلص نجد من سلطة الوهابيين التي تخشاها الكويت بقدر ما تخشاها امراء حائـــل)

وفي الوقت نفسه كتب الى الامير عبدالعزيز السعود يظهر له عـــدم ارتياحه لامارة متعب الرشيد ويحثه عـــلى حربه ومما جاء فيـــه : ــ

(اولدي يا ولدي انا معك في كل حال وحين قواك الله وتولاك لا تترك هذا الكلب (فحل الشول) ولا تدعه يستريح ولا تصالحه وانا ابوك

مستعد لمساعدتك في كل ما تريد وان الفرصة اصبحت موآتية للقضاء على حكم آل الرشيد في نجد نهائياً وذلك بعد مقتل عبد العزيز الرشيد المحارب العنيد وانا ذلك الرجل الذي لا يتغير بمرور الايام وان الكويت والرياض بلد واحد فواصل حرب الرشيد وانا وراءك اشد ازرك ولا ادخر وسعاً في مساعدتك) .

غير ان الصدف حالت دون بغية الشيخ مبارك وفشلت خطته فقد ارسل كتاب ابن السعود بغلاف كتب عليه اسم ابن الرشيد وكتاب ابن الرشيد وضع بغلاف كتب عليه اسم ابن السعود سهواً من قبل كاتبه الملا عبدالله العتيقي فانكشفت سياسته لدى الاميرين وذهب الشك باليقين . فأرسل الامير عبد العزيز السعود ذلك الكتاب الى الامير متعب الرشيد واشار الى خداع الشيخ مبارك وانه يحاول اضرام نار الحرب في نجد ليدرك من وراء ذلك مقاصده وعرض عليه الصلح والهدنة لمدة ثلاثة سنوات فقبل الامير متعب تلك الهدنة واستتب السلام بين الاميرين الى ان قتل الامير متعب بتاريخ ٢١ ذي القعدة عام ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م فخلفه الامير سلطان بن حمود الرشيد فثارت الحروب بين الرياض وحائل وفي احدى المعارك الدائرة بين الطرفين في عام ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م بعث الشيخ مبارك مع احد رسله كتاباً الى الامير عبدالعزيز السعود يقول له فيه (انه سيعلن الحرب عليه اذا لم يعد منهوبات سلطان الرشيد اليه .) فاستغرب الامير عبدالعزيز السعود هذا الطلب غاية الاستغراب لان المنهوبات التي يعنيها الشيخ مبارك لا علاقة لها بسلطان الرشيد بل (ان احد رؤساء قبائل الظفير المدعو (علي الضويحي) قد استولى عليها من بعض قبائل العراق) ولكنه ادرك بعدئذ ان طلب الشيخ مبارك هذا لم يكن الا لازالة ما قد علق بذهن سلطان الرشيد من الاستياء منه وليصلح الامر معه ويسترضيه .

وبعد قليل من ارسال ذلك الكتاب وردت الاخبار الى الكويت بمقتل سلطان الرشيد بتاريخ جمادي الثاني ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م فكتب

الشيخ مبارك الى الامير عبدالعزيز السعود (متجاهلاً علمه بمقتل سلطان الرشيد) يستحثه على مواصلة قتاله ومما جاء بذلك الكتاب : —

(اني لك دائماً يا ولدي عبدالعزيز انا ابوك وعونك وعضدك ولم اصالح ابن الرشيد الا لاخدع الترك ولكني مستعد ان امدك بما تحتاج اليه من المال والرجال . المال مالك يا ولدي والحلال حلالك)

اما الامير عبدالعزيز السعود فلم يخف عليه ما كان يرمي اليه الشيخ مبارك من هذا الكتاب لاعتقاده بان الشيخ مبارك قد وقف على مقتل سلطان الرشيد ولكنه يتجاهل ذلك وكتب ما كتب ترضية له . فكتب اليه جواباً يعلمه بوصول كتابه الاول الذي فيه يهدده بالحرب وبوصول الكتاب الثاني المتضمن المحبة الطيبة والود ثم اخبره بمقتل سلطان بن حمو د الرشيد وختم كتابه ببيت الشعر الآتي :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

تولى امارة حائل بعد مقتل سلطان الرشيد اخوه سعود بن حمود فلم ينقطع العداء بينه وبين خصمه الامير عبدالعزيز السعود واشتد العداء بينهما في عام ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م وازداد الخلاف فكتب الشيخ مبارك الى الامير عبدالعزيز السعود يحثه على مقاومة خصمه سعود بن حمود والقضاء عليه كما كتب الى الامير سعود الرشيد يحرضه للصمود في وجه الامير عبدالعزيز السعود ويلح عليه بالاتفاق مع اهل القصيم ليسهل عليه النصر على خصمه ويظهر له استعداده ليكون هو الوسيط بينه وبين اهل القصيم ثم بعث رسولاً من قبله الى اهل القصيم ليصلح بينهم وبين سعود بن حمود . وكان للامير عبد العزيز السعود عين في القصيم يدعى (عبد العزيز الحسن) فبعث رسولاً الى الرياض ليخبر الامير عبدالعزيز السعود يخبره بذلك فتأثر الامير عبد

العزيز السعود من هذا الأمر اشد التأثير فلما علم الشيخ مبارك بذلك كتب اليه يتنصل من قيامه بدور الوسيط في الصلح وقد اتفق في اثناء تلك الفترة ان قتل سعود بن حمود الرشيد بتاريخ شبعــان ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م فأخــذ الشيخ مبارك يسعى لمرضاة الامير عبدالعزيز السعود .

وساطة الشيخ مبارك لسالم بن مهنا

لقد شعر سالم بن مهنا من امراء بريدة الذي كان مناصراً لآل الرشيد ومقيماً عندهم ان دولتهم على وشك الأنهيار فطلب الى الشيخ مبارك ان يتوسط بينه وبين الامير عبدالعزيز السعود فرأى الشيخ مبارك ان هذه فرصة حسنة تمكنه من جلب رضاء الامير عبدالعزيز السعود ونيل وده فقبل القيام في الصلح على شرط ان يحضر سالم اربعة من زعماء قبيلته الى الكويت ويقدمون الطاعة ويتعهدون عن عموم عشائرهم بعدم العودة الى معاداة الأمير عبدالعزيز السعود . فامتثل سالم بن مهنا وبادر باستقدام اربعة من رؤساء قبيلته الى الكويت وهم رداف وسليمان العيسى وابن شديدة وولد الزيدي وذلك بتاريخ صفر ١٣٢٦ هـ مايس ١٩٠٨ م وبوصولهم قدموا الطاعة عن انفسهم وعن قبائلهم فأخذ الشيخ مبارك عليهم العهود والمواثيق وكتب بذلك الى الامير عبدالعزيز السعود وطلب منه الرضاء عنهم ، وبقبول اعتذارهم ثم توسط أيضاً في شأن من تأخر منهم عن القدوم وهم صالح بن حسن المهنا واخوه الصغير فقبلت وساطته ايضاً مقرونة بالشكر .

وساطة الشيخ مبارك للعرائف

وفي عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م اعتدت قبيلة العجمان على بعض اعراب الكويت فنهبت منهم بعض أموال فهددهم الشيخ مبارك بالقتال فالتجوا الى الامير عبدالعزيز السعود فلما علم الشيخ مبارك بذلك كتب اليه يسأله

ان يسترجع من العجمان ما استولوا عليه من اموال الكويتيين وينزل بهم القصاص اللازم .

وكان الامير عبدالعزيز السعود يومئذ يستعد للقيام بحملة على حائل وكان قد تمرد عليه اقاربه المعروفون (بالعرائف) وغادروا الرياض مغاضبين وقدموا الى قبيلة العجمان اخوالهم . فوجد الامير عبدالعزيز ان انجح الطرق في تلك الظروف التوسط بين الشيخ مبارك وبين قبيلة العجمان لحل تلك المشكلة عن طريق السلم لكي لا يثير ضده تلك القبيلة طالما قد حل بينهم العرائف

اما الشيخ مبارك فلما علم بخروج (العرائف) على الامير عبدالعزيز السعود وقدومهم الى الاحساء وحلولهم بين العجمان ارسل الى الامير عبد العزيز السعود بعدوله عن قصاص العجمان بعزمه على استدعاء العرائف الى الكويت ليسعى بينه وبينهم في الصلح وفعلاً ! ارسل الشيخ مبارك من استدعى العرائف اليه فقدم قسم منهم الى الكويت فاقنعهم بمصافاة الامير عبدالعزيز السعود وعاد القسم الآخر الى الرياض مستأمنين فهدئت الاحوال وشكر الأمير عبدالعزيز السعود الشيخ مبارك على هذه المساعي .

الاحساء

الاحساء جمع حَسى (بالفتح ويكسر) وهو سهل من الارض يستنقع فيه الماء او غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلما نزحت منه دلواً جمعت اخرى. فتحفر العرب الرمل وتستخرج المـــاء.

والاحساء في البوادي كثيرة واما اقليم الاحساء الذي نحن بصدده فهو اسم يطلق الآن على المنطقة الواقعة على الساحل الغربي في الخليج العربي مـــن حدود امارة الكويت الى حدود امارة قطر وعُمان وصحراء الحافورة حيث يحدها من الغرب الصمان.

اما في السابق فكانت اوسع من هذا فقد كانت تمتد من البصرة الى عُمان وهذا الاسم يطلق على المدينة التي تقع على مرحلتين من القطيف الى الجنوب الغربي وتبعد قليلاً عن (هجر) العاصمة القديمة لهذا الاقليم وقد اطلق اخيراً على مدينة الحسا اسم (الهفوف)

نظرة موجزة في تاريخ الاحساء

كانت تسكن هذا الاقليم في العصور القديمة قبائل عربية من عبدالقيس وبكر بن وائل وكانت اذ ذاك تحت الحكم الفارسي ثم خضعت للدعوة الاسلامية على يد العلاء بن عبدالله الحضرمي وبقيت الاحساء بعد انتشار الاسلام بايدي

عمال عمان والبحرين الى القرن الثالث الهجري حيث ظهر القرامطة فاستولوا عليها وأعاد تأسيس المدينة وحصنها زعيمهم المدعو ابوطاهر الجنابي في عام ٣١٤ هـ ٨٨٩ م واطلق عليها اسم (المومنية) ولكنها بالرغم من اطلاق هذا الاسم حافظت على اسمها الاول (الاحساء) ثم اخذت من القرامطة بعد حين فتداولتها أيدي عمال الولاة ثم تلقفتها ايدي الاعراب والمشايخ يستقلون بها طوراً وطوراً يلحقونها بامارتهم . ثم استولى عليها بنو زامل الجبري زماناً غير يسير حتى ظهور الدولة العثمانية .

وفي عام ٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م في عهد السلطان سليم حينما كان سنان باشا والياً على اليمن كانت الاحساء وما جاورها من الديار تحت ادارة الدولة العثمانية اسمياً وكانت داخلة في ولاية اليمن وكان اجود بن زامل العامري الجبري القيسى اميراً عليها .

وفي سنة ١٠٠٠هـ١٥٩٢م اخرج الاتراك آل الجبري من الاحساءوتولاها ولاة اتراك اولهم فاتح باشا وآخرهم عمر باشا الذي استخلص براك بن غرير آل حميد الاحساء في يده واستولى عليها عام ١٠٨١هـ ١٦٧١ م واستقل آل حميد في امارتها الى ان اخرجهم منها آل السعود في عام ١٢٤٥ هـ١٨٣٣م.

استعادة الاتراك للاحساء

في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وقع شقاق بين آل السعود فراجعوا مجلس ولاية بغداد وكان والي بغداد يومئذ مدحت باشا فسير جيشاً عظيماً ففتح بذلك الجيش مدينة القطيف بدون مقاومة ثم توجه الى الاحساء وفتحها بعد مقاومة قليلة واطلق على تلك المنطقة اسم لواء نجد تغليباً وتفاؤلاً لفتح نجد كلها

على ان اعراب تلك المنطقة لم تترك جنود الدولة العثمانية في راحة واطمئنان فهاجموهم مراراً وحاصروهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتلوا جمعاً غفيراً منهم في الطريق الواقع بين القطيف والهفوف (الاحساء) وانتهبوا اموالهم .

وفي سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م ثارت تلك المنطقة ثورة اخرى على الدولة العثمانية فطلب رديف باشا (والي بغداد) من ناصر باشا السعدون (شيخ المنتفق الأكبر) القيام بتأديب أولئك الاعراب الثائرين فسار ناصر باشا واخذ معه بزيع العريعر (ابن حاكم الاحساء السابق) بجيش يزيد على عشرة آلاف مقاتل ومعهم ألف بعير تحمل المؤونة والذخيرة فتلاقى الجمعان عند ابواب مدينة الهفوف فتمكن ناصر باشا من انقاذ الحامية العثمانية التي كانت قد حوصرت من قبل الاهلين واقام الشيخ بزيع متصرفاً للواء نجد.

وما كادت تمضي بضعة أشهر على هذه الحادثة حتى قامت الفتنة من جديد لان اعراب الاحساء وما جاورها ارادت ان تنتقم لما لحقها من الانخذال في المعركة السابقة فاعاد ناصر باشا عليهم الكرة ومعه ولده مزيد بك فادبهم ونكل بهم اشد تنكيل ونصب مزيد بك متصرفاً على الاحساء بدلاً من بزيع. ثم اسند الامر فيها اخيراً الى موسى كاظم الحسيني.

وفي عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م اضطرب حبل الامن من جديد في منطقة الاحساء فانتخبت الدولة العثمانية السيد طالب النقيب لمتصرفية الاحساء بدلاً لموسى كاظم باشا الحسيني فلما وصلها اخذ بتأديب الثائرين وامن الطرق فانقادت له رؤساء العشائر وبقي هناك مدة تقارب السنتين ثم استقال وتوجه الى الاستانة.

استيلاء الامير عبد العزيز السعود على الاحساء

وبعد ترك السيد طالب النقيب تلك المنطقة عزمت الدولة العثمانية ان تزيد القوة العسكرية فيها فارسلت اربعة طوابير زيادة على ما كان فيها من الجيش ولما اسندت ولاية البصرة الى عهدة سليمان بك نظيف في سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م استدعى الوالي المذكور معظم تلك القوة من هناك وابقى عدداً قليلاً. فأثار هذا العمل طمعاً في نفس الأمير عبدالعزيز السعود واخذ يترقب الفرص المواتية لغرض الاستيلاء على منطقة الاحساء ولما خرجت الدولة العثمانية من حرب البلغار وهي منهوكة القوى واخذت الاطماع تكتنفها من كل جانب راى ان هذه هي الفرصة التي كان ينتظرها فقرر استخلاص

تلك المنطقة .

وفي ٥ جمادي الاولى ١٣٣١ هـ ١٣ نيسان ١٩١٣ م هجم بخيله ورجاله على مدينة الهفوف واستولى عليها بعد مقاومة بسيطة قتل فيها خمسة وعشرون جندياً عثمانياً ثم ارسل بعض المحاربين الى مدينة القطيف فاحتلها فاصبحت تلك المنطقة تحت ادارته وقد تركها متصرفها سامي بك مع اغلب الموظفين العثمانيين المدنيين الى البصرة دون ان يتعرض لهم احد بسوء.

اما العساكر العثمانية التي كانت في الاحساء والقطيف فقد كان عددها نحو اربعمائة جندياً منهم تسعون جندياً في القطيف والباقي في مدينة الهفوف وضواحيها فاجتمعت تلك القوة في القطيف ومنها ركبت الباخرة (جانسكات) وتوجهت الى البحرين منتظرة المدد من البصرة فساءت حالتهم للغاية لقلة الماء واشتداد الحر وضيق الباخرة

موقف الشيخ قاسم بن ثاني

صمم الجنود العثمانيون الذين كانوا في الباخرة (جانسكات) على ترك البحرين والتوجه الى قطر فكتب الامير عبدالعزيز السعود الى الشيخ قاسم حاكم قطر يرجوه عدم فسح المجال لدخول الجنود العثمانيين الى قطر .

وكان الشيخ قاسم بن ثاني قبل هذا الامر قد حاول كثيراً استخلاص الاحساء لنفسه واخراج القوة العثمانية منها غير انه لم يوفق لذلك فلما تم للامير عبدالعزيز السعود الاستيلاء عليها خشي مغبة الامر وخاف من توسع نفوذ آل سعود في تلك المنطقة وعلى هذا لما ورده كتاب الامير عبدالعزيز السعود لم يعره اذناً صاغية ثم كتب اليه بتاريخ شهر شوال ١٣٣١ هـ الموافق ايلول ١٩١٣ م يستنكر احتلاله لمنطقة الاحساء ويتوعده ويهدده باعلان الحرب عليه اذا هو لم يعد تلك المنطقة الى الدولة العثمانية .

ولكن المنية لم تمهله ليحقق اغراضه فوافته بعد اصدار كتابه ذلك باسبوع واحد . اما خلفه فلم يجد فائدة ترتجى من العداء

فمد يد المصالحة الى الامير عبدالعزيز السعود فصالحه وعاد الى الرياض مطمئن البال بعد ان اسند امارة الاحساء الى ابن عمه عبدالله بن جلوى وعين عبدالرحمن بن سويلم اميراً على القطيف .

موقف الدولة العثمانية

اما الدولة العثمانية فقررت ان تسير حملة عسكرية كبري لاسترجاع الاحساء وكانت وسائط النقل البرية يومئذ غير متيسرة لديها فعزمت على ارسال حملتها العسكرية عن طريق البحر ولكن الحكومة البريطانية ارادت ان تتودد الى الامير عبدالعزيز السعود بعد ان اصبحت له مرافيء على سواحل الخليج العربي فاعترضت على اتخاذ البحر طريقاً لتلك الحملة العثمانية محتجة بان مرور مثل تلك الحملة امر قد لا يخلو من احداث قلاقل في الامارات العربية التي هي تحت حمايتها

فاضطرت الدولة العثمانية الى صرف نظرها من استعمال القوة ووجدت ان خير وسيلة تعالج بها المشكلة هي اجراء التفاوض السلمي .

وعلى هذا فقد ارسل انور باشا وزير الحربية وفداً الى الامير عبدالعزيز السعود برئاسة محمود شكري الالوسى ومعة عشرة آلاف ليرة ذهباً هدية اليه على ان يطلب منه الوقوف الى جانب الدولة العثمانية في حالة دخولها الحرب مع الدول الاجنبية

فسافر ذلك الوفد الى المدينة المنورة ومنها توجه الى مقابلة الامير عبد العزيز السعود وكان الشيخ مبارك قد علم بمهمة ذلك الوفد قبل سفره فكتب الى الامير عبد العزيز السعود يحذره من عقد اي اتفاق مع الدولة العثمانية ومن ضمن ما جاء فيه .

(ان احد كبار الترك سيقدم اليك ومعه هدية من انور باشا وانه يطلب مفاوضتك في الصلح مع العثمانيين فكن على حذر) .

ولما تداول رجال الوفد مع الامير عبدالعزيز السعود في المهمة التي قدموا من اجلها اعتذر اليهم من الانضمام الى جانب الدولة العثمانية ما لم تطرد اعداءه آل الرشيد الى حدود حائل ففشلت مهمة ذلك الوفد وعاد بدون نتيجة مثمرة .

فرأت الدولة العثمانية ان توسط الشيخ مبـارك ليكون عوناً لهـا في المفاوضات السياسية المقبلة بالنظر لمـا له من المقام والدالة على الامـير عبدالعزيز السعود فاستحصلت له رسائل ودية من بعض رجالات الأتراك الذين كانت تربطهم معه علاقات صداقة خاصة فكتب اليه علي حيدر بك بن مدحت باشا كتاباً بتاريخ ٨ محرم ١٣٣٢ يحثه فيه على موالاة الدولة ومساعدتها فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي :

« حضرة سليل المجد والوقار كريم الشيم صاحب السعادة علي حيدر بك نجل المرحوم الاخ مدحت باشا المحترم دام موفقـاً .

بعد مزيد السلام والاستفسار عن خاطركم العاطر وانسئلتم عن محبكم وحليف المرحوم والدكم احمد الله في خير وسرور واسئـل الله انكـم كذلك .

وفي ايمن طالع اخذة يد الوداد كتابكم الكريم المؤرخ ٨ محرم تلوناه حامداً المولى الذي اراني من أثار محبت المرحوم والدكم المطبوعة والمرسومة في جميع جوارحي المشغولة بترحيم لروحه وللشاكر لاحساناته المتوالية في حق عبيد الدولة الصادقين المستضلين تحت ظل العلم العثماني لا ازال انشاء الله لمحبين الدولة نعم الخلف لمن سلف متحرياً محبي الدولة والملة ووالدكم وصميماً اشكر محبتكم ووفاكم وانشاء الله اني لم اتغير عنما رسمه المرحوم من ذكر الجميل في حقنا آل الصباح باوراق ترجمة حالي وسياسة وقيـد

حفض شرفنا وحقوقنا بغية الفجر المتلاعبين تغيرهم وبسهر الصادقين على محافضته وعلى هذا الحد نقرى الفاتحة لروحه المبجلة في غبره ولعلمي ووثوقي ان رجال الدولة لا يعدمون لا بد يوجد فيهم ولو واحد لتيقن سياسة المرحوم بغل عزائم كل المفسدين فصرت اتحمل كل الاذا ولا انفك قيد شبر عن توالي الخدماة تأيداً لمرسمة المرحوم وفي هذا الدور السعيد انشاء الله نرى كل العثمانيين تسري بهم روح المرحوم مدحة باشا وتوحدهم وتألف بين جميع القاصر والكل يعلن ويفتخر بتابعيت ويجد ويجتهد في تعالى شأن الدولة والملة هذا واشكر محبة احسان بك على تبليغه احتراماتنا ومحبتنا نرجو تبليغه احتراماتنا من ذا اسبوع ورد مكتوب من باشا اعيان زاده شيخ صالح افندي لمعتمدي بالبصرة عبدالعزيز سالم البدر ايد محبتكم ربنا يديم هذا الوداد والاتحاد ونرجو قبول الاحترامات ودمتم موفقين .

٢٦ ربيع اول سنة ١٣٣٢هـ مبارك الصباح »

موقف الحكومة البريطانية

اما الحكومة البريطانية فقد اهتمت لهذا الامر غاية الاهتمام واخذت تسعى سعياً حثيثاً في سبيل احباط مساعي الدولة العثمانية فاتخذت منعهم للحملة على الاحساء عن طريق البحر ذريعة ووسيلة حسنة لفتح باب المفاوضات مع الأمير عبدالعزيز السعود واستمالته لعقد روابط صداقة معها وكانت سياستهـــا ترمي يومئذ الى عدم ترك اي امير من امراء العرب في ساحل الخليج الا وتعقد معه اتفاقية صداقة وتبذل لهذا الغرض اقصى الجهود وتستعمل غاية الدهاء .

وعلى هذا فقد طلبت من الامير عبدالعزيز السعود بعد استيلائه على الاحساء المفـــاوضة فرأى ان من الحزم الوقوف عـــلى ما تنويـــه من العروض وفي شهر ذي الحجة ١٣٣١ هـ تشرين ثاني ١٩١٣ م ترك الرياض متوجهاً الى العقير لغرض الاجتماع بالممثل السياسي البريطاني والتداول معه

البحث وبعــد المداولة لم يتوصلا الى نتيجة حاسمة فاجلت المفاوضات لوقت آخر وعاد الامير عبدالعزيز السعود الى الرياض .

عندئذ طلبت الحكومة البريطانية مساعدة الشيخ مبارك لعلمها التام بما يكنه له الامير عبد العزيز السعود من المحبة والاحترام وكــان غرض الحكومة البريطانية قبل كل شيء ان تطمئن من الامير عبدالعزيز السعود في عــدم تعرضه الى الامارات العربية التي تحت حمايتها ومن ضمنهــا قطر وان يحفظ لها التجارة البريطانية والتجار البريطانيون في القطيف والاحساء فوعدهم الشيخ مبارك بذلك .

وساطة السيد طالب

في تلك الفترة كان السيد طالب النقيب قد تحسنت علاقاته مع الاتحاديين فلما احس بمساعي الحكومة البريطانية لجلب الامير عبدالعزيز الى جانبها وان الامير عبدالعزيز السعود يراوغهم ويماطلهم اقترح على انور باشا وجوب مسايرة الامير عبدالعزيز السعود ومفاوضته بالملاينة لكي لا يفلت من قبضتهم فأخذ انور باشا اقتراحه بنظر الاعتبار واوفد المقدم عمر فوزي احد مرافقين السلطان محمد رشاد وزوده برسالة خاصة الى الشيخ مبارك كما زودة محمد عارف بك والي سوريا برسالة اخرى .

فوصل المقدم عمر فوزي الى البصرة وهو يحمل رسالة رسمية من الباب العالي الى والي البصرة سليمان شفيق تتضمن توجيه مسألة الاحساء الى عهدته للبت فيها سريعاً خشية من اطالت المخابرات مع اسطنبول

ولمــا عزم المقــدم عمر فوزي على زيارة الكويت كتب الوالي سليمان شفيق الى الشيخ مبارك يعرض عليه ما تنويه الدولة العثمانية من التفاهم مع الامير عبدالعزيز السعود فوعده الشيخ مبارك خيراً وكتب رسالة الى الامير عبدالعزيز السعود يستحثه فيهــا القدم الى الكويت

لامر ذي بال دون ان يذكر له السبب وكان الشيخ مبارك يظن ان الدولة العثمانية ستنتخبه لرئاسة الوفد الذي سيفاوض الامير عبدالعزيز السعود

ولما عاد المقدم عمر فوزي الى البصرة زوده الشيخ مبارك بالرسالتين الآتي نصهما .

«بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده[1]

حضرة صاحب الدولة والعطوفة. متقلد المقام الجليل ونائل شرف صهريت الحضرة السلطانية وناظر الحربية العثمانية· اخينا المحبوب من الله انور باشا دام علاه ووفقه الله لما يحبه ويرضاه

بعد اهداء السلام والاحترام فاني احمد الله واشكره الذي حنى القلوب وبدل قساوتها برحمة وتنافرها بالالفة وخلصنا من تفرقت الجهل ومن علينا بالانتباه من هذه الرقدة وبعبارة اقول من هذا الجهل الذي فرق الاسلام وجعله في حالت يرثى لها وكل ذلك من سوء التفاهم برجال مخلصين منتبهين موقفين انفسهم لتوحيد الاسلام وتعزيز كلمته فهذا ما كنا نتمنا منذ نشئنا اننجد من رجال دولتنا العلية العثمانية من مثل دولتكم يقوم بهذا المشروع الخيري الذي فيه يكون توحيد الاسلام ولم الجامعة العثمانية نسئل الله ان يوفقكم ويسهل لكم طريق النجاح اما مخلصكم فانا عبد الاسلام والدولة العثمانية منهم ولهم لا يفرقني من الخدمت اي تقلب يكون من الزمان وقد شاهد معتمد دولتكم المحب السيد عمر فوزي بك اقوالنا وافعالنا على مصالح

---

(١) نحن ندرج جميع الرسائل بنصوصها وكما هي بدون تصحيح .

الدين والدولت هذا واسترحم قبول احترامـــاتي الصميمة مع حسن توجهاتكم افندم

٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ هـ

حاكم الكويت ورئيس قبايلهـــا
مبارك الصبـــاح »

«حضرة جليل القدر الاجل الافخم صاحب العطوفة والي ولايت سورية الجليلة الاخ المفخم السيد محمد عارف بك المحترم وفقه الله لما يحبه ويرضاه آمـــين

بعد اهداء مراسم السلام والاحترام وبث الاشواق الى محيا طلعتكم وفي ايمن طالع بكمال الاحترام تناولت امركم العالي المؤرخ في ١٢ ربيع الاول سنة ٣٣٢ من يد ولدنا المحبوب السيد عمر فوزي تلوته حامداً المولى على دوام صحتكم والآخر احاط فهمنا انشاء الله اني على ما تعهدو في مـــن فرط المحبة والاخلاص في خدمة الدولة اجاهد بكلما يفيد في الحال والاستقبال لحفض شرف الدولت وسيادتها ولنا الامل بالله قوي ان يتوفق ولدنا المحبوب ويطبق المصلحة . انعم بمن اعتمد عليه ونعم المعتمد . والشيء الذي فيـــه منافع الى الدولت وبتوسطكم انشاء الله بكل جهدنا نوفق بين الطرفـــين وصرنا نامن بامن الدولة حسب ما هو مشروح في امركم وقريباً انشاء الله تحمد العاقبة ولا بد حضرة ولدنا عمر فوزي بك يعرض لعطوفتكم ما شاهدة حسياته التي شاهدها رئيا العين وقد حررنا الى ابن سعود يتقرب للمذاكرة وبوصوله انشاء الله تنحسم الامور حب ارادة مولانا امير المؤمنين .

هذا ما لزم بيانه المأمول دوام محبتكم القلبية مع حسن توجهاتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه

٢٥ ربيع آخر سنة ١٣٣٢هـ

حاكم الكويت ورئيس قبائلها
مبارك الصبـــاح »

وكتب رسالة الى والي البصرة يظهر بها استعداده للمساعـــدة بما امر فارسل الوالي اليه رسالة ودّية يشكر عمله فاجابه الشيخ مبارك بما يأتي :

«حضرة صاحب العطوفة والي ولاية البصرة الجليلة وقمندانها ميرلواء سليمان باشا المحترم ادام الله توفيقــه

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم العالي هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي ا ج ١ سنة ٣٣٢ وبه امرتم فيما اخبركم بنباشي السيد عمر فوزي بك مما شاهد من مولاتنا اليه فهذه سجيتنا من قديم الزمان لخدمة دولتنا المثبوتة وامر عطوفتكم-ان الدولة العلية وجهت مسئلة نجد حلها وعقدها لمقام الولاية فنعم بمن وجهت اليه ويأمر عطوفتكم انني ابين ارائنا ومعاونتنا في هذا المشروع انشاء الله من بعد ما يعود الطارش الذي عنيناه مخصوص بمكتوب وكتاباتي اطلع عليها البنباشى المومى اليه واخذ صورها عنده فان تقرب عبدالعزيز حسب ما زينا له فيصر الملاقاة مع الذواة المتعيين البنباشى واخينا رئيس اركان حرب فيلق البصرة مع عبدالعزيز فحينئذ يبين لنا ايشى روْ من عبدالعزيز وبعدها لا بد يا مخلصكم احضر بخدمتكم اذا امرتم ومن ارائكم العالية انشاء الله وبيانات المخلص تنحزم الامور بحسب ارادة حكومتنا السنية وطبق افكار عطوفتكم المنيرة انشاء الله.

الخلاصة ما بقى لنا فكر الا من بعد ما نطلع والطارش نتثمل رجوعه من ٩ ــ ١٠ شهر الحالي هذا ونرجو دوام توجهاتكم وعلى كل حال الامر والارادة لعطوفتكم افندم

٦ ج ١ سنة ٣٣٢ حاكم الكويت ورئيس قبائلهـــا

مبارك الصبـــاح

انتخاب السيد طالب لرئاسة الوفد

قررت ولاية البصرة انتخاب السيد طالب النقيب رئيساً للوفد الذي سيجري المفاوضات مع الامير عبدالعزيز السعود بعد تعين الاعضاء وهم

المقدم عمر فوزي وسامي بك متصرف الاحساء واحمد باشا الصائغ وعبد اللطيف المنديل[1] .

وصادف ان حدثت بعض القلاقل في القطيف اضطر الامير عبدالعزيز السعود للاسراع بالقدوم الى تلك المنطقة والنزول في (الجبيل) وكان قد تم اتفاق بين السيد طالب النقيب وبينه بواسطة عبداللطيف المنديل على ان يكون الاجتماع في الصبيحية

فسبق عبداللطيف المنديل الوفد الى الكويت ليخبر الامير عبدالعزيز السعود باستعداد الوفد لمقابلته فكتب الشيخ مبارك اليـه يطلب ان يكون عقد ذلك المؤتمر في مدينة الكويت ليرعاه بآرائه ويمده بارشاداته ومما جاء في ذلك الكتاب : —

(من حقي عليك يا ولدي الا تقبل وساطة هؤلاء الا في بلدك الكويت) وارسله اليه مع ولده جابر . فلم يخف على الأمير عبدالعزيز السعود ما كان يقصده الشيخ مبارك من انعقاد المؤتمر في الكويت وان الغرض من ذلك ان يتم كل شيء على ما يرومه الشيخ مبارك ويشتهيه دون ان يكون له هو الرأي البات لا سيما اذا اجتمعا بمجلس واحـد .

فابى القدوم الى مدينة الكويت واجاب الشيخ مبارك يطلب ان يكون الاجتماع في الصبيحية ومما جاء بذلك الجواب : —

(اني الآن في الصبيحية على مسيرة يوم واحد من مدينة الكويت فليقدموا لي)

وفي اثناء ذلك ورد الى الشيخ مبارك كتاب من المعتمد السياسي البريطاني

---

(١) على اثر هذا المؤتمر منحت الدولة العثمانية عبد اللطيف المنديل لقب (باشا) .

في الخليج العربي الميجر نوكس يستوضح منه عن اخبار الوفد فاجابه بالكتاب الآتي :

« من مبارك الصباح حاكم الكويت

الى حضرة ذو الشوكة والاجلال المحب ميجر ناكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس دام محروساً .

غب اُفتقاد خاطركم العزيز دمتم بخير وسرور هو ان يد الطاعة والخلوص تناولت امركم السامي الجوابي المؤرخ حادي جماد اول سنة ١٣٣٢ فهمنا جميع مندرجاته الودية اللطيفة ـ الناشئة من محبتكم الصميمة وموثر سجاياكم الحميدة فصرت للغاية مسروراً وشاكراً الطافكم القديمة و الحديثة وداعياً بحسن موفقيتكم لا زلتم نائلين اعلا الدرجات وكمال المسراة .

لا يخفي على حضرتكم السامية بهذه الايام تجينا مخابرات من ولايت البصرة بخصوص نجد وعبدالعزيز السعود ونحن جميع المخابرات التي ترد الينا من المشار اليهما عيناً نعرضها على حضرة محبنا كرنل كرى لئلا تكون خافياً على حضرتكم العالية محبنا قبطان شكسبير جانا منه كتابين واحد من الزلفي والثاني من الرياض وتوجه من الرياض مشمل وانا مشيت معه احد خدامنا يمشي في خدمته الى ان يرخصه وعزم محبنا المشار اليه يرخص خادمنا من الجوف ولا بد من الجوف يجينا مكتوب انشاء الله ينيدنا عن وصوله وممشاه من الجوف الله ايسر امره ويوصله مصر بالصحة والسلامة .

هذا وبالختام نقدم ادعيتنا الودية مع فائق احتراماتي راجياً دوام ـ توجهاتكم ودمتم سالمين محروسين ١٣ ج ١ سنة ١٣٣٢ »

مسير الوفد الى الكويت

لما كانت الصبيحية تقع داخل حدود الكويت لم يكن للوفد بد من طلب موافقة الشيخ مبارك على ذلك فرحب الشيخ مبارك بمقدمهم وارسل يخته الخاص

(مشرف) الى البصرة ليستقبل الوفد وينقله الى الكويت .

وفي اثناء مكث الامير عبدالعزيز السعود في الصبيحية كتب اليه المعتمد السياسي البريطاني في الكويت الكرنل (كرى) يستأذنه بالمقابلة فضرب له موعداً في (ملح) ليجتمع به هناك فسار الى مقابلته من الكويت بسيارته وكان الشيخ مبارك غير راغب باجراء المفاوضات بين الحكومة البريطانية وبين الامير عبدالعزيز مباشرة بعد ان طلبت وساطته الا ان يكون ذلك بحضوره . فعلى هذا ارسل الى الامـــير عبدالعزيز السعود كتاباً سرياً مع سائق سيارة المعتمد البريطاني الكرنل (كرى) يقول فيـــه .

(كن صلباً معه يا ولدي ولا تمكنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافي)

فعمل الامير عبدالعزيز بوصية الشيخ مبارك فلما فاوضه الكرنل (كرى) اجابه قائلاً :

(لا يمكن ان اقر معك شيئاً ولكن والدي الشيخ مبارك هو ينوب عني بما يشاء) .

فعاد المعتمد السياسي البريطاني الى الكويت وهو غاضب وكتب الى الشيخ مبارك بتاريخ ٥ جماد الثاني ١٣٣٢ هـ يطلب منه ان يفاوض الامير الامير عبدالعزيز السعود بوجوب عدم التعرض لشؤون الامارات العربية على الخليج ولا سيما قطر ومراعاة المصالح التجارية البريطانية في القطيف والاحساء وتأمين التجار البريطانيين فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

« الى حضرة عالي الجاه المحب كرنل كرى بولتكل اجنة الدولية البهية القيصرية الانكليزية في الكويت دام بقـــاه .

غب السؤال عن عزيز خاطركم دمتم بخير وسرور . هو ان يد الوداد اخذة كتابكم المؤرخ ٥ جماد الثاني سنة ١٣٣٢ هـ وبما امرتم صار معلوم . منخصوص مرسولين الترك لملاقات ابن السعود هما الآن عندنا ويتوجهون — لملاقات المشار اليه وطلبوا مني اتوجه معهم لملاقات ابن سعود وتعذرتهم أما التوسط بينهم وبين ابن سعود فانا قطعاً ما اتداخل بينهم واني قبل هذا

بينة لهم ذالك .

أما مطالب الدولة البهية على ابن سعود لعدم تداخله بلدان العرب التي على الساحل وقطر منهم فحظرتكم العالية بلغتوه عن ذلك وايضاً تجارت رعية الدولت البهية الذين يتصلون الى القطيف ويمكن يتصلون الى الاحساء ايضاً بلغتوه شفاهاً بذلك فاني اتبع ارادة الدولة البهية وايجاب امركم ايضاً انا ابلغه كما امرتم فاني اقول انا متبع جميع ارادة الدولت البهية بحسب ما بلغه حضرتكم العالية وانا ايضاً ابلغه ويمكن ابن سعود يزورنا وانا احضر مع حضرتكم العالية وجميعنا نبلغه حسبما امرتم واما التداخل بين ابن سعود ودولة الترك انا قطعاً متجنبها وبلغت مرسولين الترك في ذلك . هذا ما لزم ودمتم سالمين محروسين .

٦ جماد الثاني ستة ١٣٣٢ »

وصول الوفد الى الكويت

وقبل عودة الكرنل كرى من مقابلة للامير عبد العزيز السعود وصل الوفد العثماني الى الكويت فاحتفى بهم الشيخ مبارك وقابلهم بالترحاب ثم اخذ يشرح لهم عدم استعداد الامير عبدالعزيز السعود لقبول مطاليبهم واخذ يقلل لهم من اهميته ويظهر لهم خطئهم بتقديره لأكثر ما يستحق ومما قاله لهم : —

(ان الدولة العثمانية خاطئة كل الخطأ في اعطائها كل هذه الاهمية لابن سعود وهو في حالة ضعف لا تمكنه من حماية الاحساء والقطيف من البادية لا سيما وان نجداً قد اصيبت بقحط عظيم وانتشرت المجاعة في طول البلاد وعرضها واني اعدكم لو ترسل لي الدولة العثمانية مائة جندي بان اجعل عشائري تحت تصرفها فاسلمها الاحساء والقطيف)

فاندهش اعضاء الوفد لهذا التصريح الا السيد طالب النقيب فلم تخف عليه الغاية التي كان يرمي اليها الشيخ مبارك فاجابه قائلاً : —

(والله يا طويل العمر لو كنا نعرف هذه الحقيقة قبل ان نتحرك من البصرة لما غادرنـــاها اما وقد اتينا فلا بد لنا من مقابلة الرجل ولكن في اول جلسة نعقدها معه نقطع البحث ونعود فنعمل برأيك).

فاستآء الشيخ مبارك من هذا القول فطلب اليه الوفد ان يرافقهم لمقابلة الامير عبدالعزيز السعود فاعتذر عن ذلك ولكنه امر ولده جابر بالذهاب معهم الى الصبيحية

وكتب كتاباً سرياً الى الامير عبد العزيز السعود يحـذره فيـه من الانصياع الى مطالب الوفـد ويقول لـه (ان الدولة العثمانية لا تقصـد من وراء هـذه المفاوضة سوى الخـداع والمراوغـة والاحتيال ولم تطلب منك ما تطلب الا بعد ان شعرت بضعفها وبعدم تمكنها من التغلب عليك بالقوة فهي تريد ان تكبلك باتفاقية ثقيلة البنود لا نفع لك من ورائها بتاتاً

اطرد الوفد العثماني ولا تدخل معه باية مفاوضة كانت فالاتراك بعد ان ظهر ضعفهم تجاه غزوة ايطاليا لطرابلس وبنغازي قررت الدول اقتسام مملكتهم فمن واجبنا نحن العرب ان نتفق ونطردهم من البلاد العربية قبل ان تستولي عليها الدول وثق بان ستكون حصتك من الغنيمة حصة الاسد الله الله يا ولدي لا تمكنهم من شيء ولا تصدق ما يقولون أنهم كذابون خداعـــون)

ذهب الوفد الى الصبيحية يوم ٨ جمادى الثاني ١٣٣٢ و٣٠ نيسان ١٩١٤ وسلم جابر كتاب ابيه الى الامير عبد العزيز السعود فانذهل لذلك واختلى بجابر واوثقه على مضمونه وقال له (ان والدي الشيخ مبارك يحذرني من الانكليز ويحذرني من الترك فهل يظن اني اتمكن من محاربة الدولتين) فاحتار جابر بماذا يجيب فقال (كلا يا اخي انظر الى ما فيه مصلحتك واترك اقوال الناس)

أنعقاد مؤتمر الصبيحية

وفي مساء ٩ جمادي الثاني سنة ١٣٣٢ هـ ١ مايس ١٩١٤ م عقد المؤتمر جلسته الاولى وهو اليوم الثاني من وصولهم الصبيحية وقد حضر تلك الجلسة الشيخ جابر المبارك ومن كان معه من الكويتيين فقال الامير عبد العزيز السعود مخاطباً اعضاء الوفد : —

(ماذا يريد الترك مني اما كفاهم ان قتلوا جدي اما كفتهم تلك الجرائم والويلات التي قاموا بها في نجد ابان غزوهم لها على ماذا تفاوضونني اعلى بلدتين عربيتين كانتا سابقاً لآبائي فانتزعوهما منهم ظلماً وعدواناً. والله لولا خشية العار وقول الناس ان ابن سعود قتل ضيوفه لامرت الآن بقطع رؤوسكم جميعاً اذهبوا الى خيامكم واحذروا ان تطلع عليكم الشمس وانتم في هذه البقاع وان رغبتم بغير ذلك من المصالحة فدونكم والدي الشيخ مبارك فهو الواسطة بيني وبينكم ولست قائلاً بغير ذلك) وترك المجلس وانصرف الى خيمتـــه .

فبهت أعضاء الوفد من هذه المفاجأة غير المنتظرة وفت في عضدهم فلم يحيروا جواباً فذهبوا الى خيامهم وهم لا يعرفون ماذا يصنعون الا السيد طالب النقيب فقـــد استنتج من النظرات الـــتي كانت تتبادل بينه وبين الامـــير عبد العزيز السعود بأن هذا مصانعة منه للشيخ جـــابر وانه على غير ما يظهره فاخبر رفقاءه ان ذلك الغضب والتهديد والوعيد لم يكن الا لغاية مقصودة وستكون النتيجة في مصلحة الوفد .

أما جابر لما اختلى بخيمته ارسل رسولاً الى ابيه يبشره بحبوط مسعى الوفد ويشرح له مقالة الامير عبدالعزيز السعود اليهم .

جلسه المؤتمر الثانية السرية

ثم عقدت جلسة اخرى سرية في منتصف الليل لم يحضرها سوى اعضاء الوفد ورئيسه والامير عبدالعزيز السعود فابرز اليهم الامير عبد العزيز السعود

كتاب الشيخ مبارك فلما وقفوا على مضمونه اتضح لهم السبب لما قال سابقاً ثم استرسل الامير عبد العزيز السعود يشرح باسهاب الاسباب التي دعته الى فتح الاحساء وكان قد دونها بورقة وقدمها الى الوفد لتعرض علـى أنظار الدولة وهي كالآتي :

« ان الدولة العثمانية حفظها الله قد غصبت من آبائي هذا اللواء بدون امر مشروع بحجة دعوة عبدالله السعود شقيق والدي ومن بعد ان اخذته لم تحسن الى اهله صنعاً وكان والدي يومئذ ولي العهد بعد والده على امارة نجد التي يدخل فيها هذا اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله ولما اشتد الخصام بين سعود وعبدالله آل سعود على الامارة ارسل الاخير مندوباً الى بغداد لمفاوضة واليها في مسئلته مع اشقائه وبقي ينتظر من الدولة اسعافه ونجدتـه لاخماد نار الفتنة المتأججة غير ان الدولة وجدت ان قد آن زمن الاحتلال فوضعت يدها في ذلك الوقت على الاحساء وابعدت امراءها منها مع انه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما اتته وليت الدولة احتلت ما يداني الاحساء من البلاد كعمان وغيرها التي تركتها هملاً ومكنت الدول الاجنبية من ان تقذف بها نار الفتن لتحصل على ما تنويه .

ومنذ ذلك الوقت اخذ سكان هذا اللواء بالسقوط اي تغلب قطاع الطرق عليه لكثرتهم هنالك وكان الاهلون يرفعون ظلامتهم الى مقام الولاية ويذكرون له عجز اصحاب الامر عن ذلك الموطن فما كان يسمع صدى لاصواتهم المتكررة فراجعوني مراراً فاضربت عنهم صفحاً اذعاناً لدولتي وان كان يسوئني نظري اياهم في تلك الحالة (لان مجتمع الانسان كالجسد اذا اصيب عضو منها بآفة انتقل الالم الى الجسد كله) ثم جائتني محاضر (مضابط) فيها تواقيع كثير من العلماء والوجهاء قائلين ان لم تسعفنا نضطر الى ما لا تحمد عقبـاه .

وفي تلك المطاوي سمعت ان الدولة تنازلت عن حقوقها في خليج فارس وسواحله فاستندت حينئذ على مالي من الحقوق الشرعية في هذا القطر بمنزلة

اساس فبادرت الى تلبية طلب الاهالي ليكونوا في حرز حريز من فتك ارباب الفساد فيهم وابعاد الاجانب عن ديارهم .

فهذه هي الامور التي ساقتني الى ما اتيت فقدمت الاهم على المهم وسرحت رجال الدولة المخلصون في هذه المسألة وفكروا في مآلها احسن تفكير واعطوا لكل ذي حق حقه ولاحظوا الامن الضارب اطنابه في البلاد وتثبتوا ما انتشر من مرافق العمران بين العباد وحبذوا عملي هذا ولا سيما اذا علمتم باني قطعت دأب الاشقياء والمفسدين وحقنت دماء الاهلين وبسطت اروقة الراحة بين العالمين)

فاقترح الوفد على الامير عبدالعزيز السعود ان يكون للدولة العثمانية معتمداً في الاحساء فابي ذلك وطلب ان تفوض الدولة اليه شؤون منطقة الاحساء وتوابعها وتمنحه نفس الحقوق التي منحت الى القطر المصري على ان يكون للدولة العثمانية حق السيادة الخارجية فقط وعلى الدولة لقاء ذلك ان تمده بالسلاح والذخيرة والمال .

وبعد الاخذ والرد والمداولة والمناقشة الطويلة وافق الوفد على تلك الشروط وقرروا ان يبقى هذا الامر مكتوماً الى ان يعرض على الباب العالي لابرامه وانتهت تلك الجلسة على ذلك القـــرار .

ابرام الاتفاق

عاد الوفد الى الكويت فسألهم الشيخ مبارك عما توصلو ا اليه فاخبروه بما دار بينهم في الجلسة الاولى ولم يخبروه بما تقرر في الجلسة الثانية فتظاهر بالتأثر وبتصديقهم ولكنه لم يطمئن لمقالتهم وفكر ان لا بد في الامر شيئاً غير هـــذا .

ثم رجع الوفد الى البصرة فرافقهم الشيخ مبارك لكي يكتشف الحقيقة وبعد وصولهم بيومين اقام لهم عبدالوهاب باشا القرطاس مؤدبة حضرها والي البصرة سليمان شفيق كمالي ، والشيخ مبارك والشيخ خزعل

وكان الحديث يومئذ كله يدور حول الوفد ومهمته فقال الشيخ مبارك مخاطباً رجال الوفـد : —

(الم اقل لكم انكم لا تفلحون الا اذا انتدبتموني انا لاكون الواسطة بينكم وبين ابن السعود وما طابت ذلك منكم والله الا لامرين اولاً لكي اقوم بخدمة للدولة العثمانية . وثانياً لكي استر على ابن السعود لانه لا يعقل مـا يقول)

فاجابه الوالي

(كان رأيك يا جناب الشيخ هو الصواب ولكن الامر انفرط) ثم وجه الوالي كلامه الى السيد طالب وقال : (ماذا تقول يا سعادة الباشا ، فقال له السيد طالب

(ان القول ما يقول الشيخ مبارك فلوكان هو حاضراً لما فشلـنا)

وبعد اسبوعين من عقد هذا الاجتماع وردت برقية من انور باشا الى الامير عبدالعزيز السعود تشير الى ابرام الاتفاق هذا نصهـا

« نمرة ٤٨

(الى والي نجد وقومانداننها عبدالعزيز باشا السعود

اعرض التبريكات راجياً من المولى تعالى ان يوفقكم لبذل الخدمات المبجلة في سبيل الدين والدولـة ناظر الحربية

في ٨ حزيران ٣٣٠ انور »

كما وردت برقية اخرى من الباب العالي الى والي البصرة تتضمن ابرام ما تقرر في مؤتمر الصبيحية وبها الشكر الكثير الى الامير عبدالعزيز السعود ومنحه الوسام المجيدي الاول .

فلما وقف السيد طالب على مضمون البرقيتين حملهما وذهب بهما لمقابلة الشيخ مبارك الذي كان يومئذ عند صديقه الشيخ خزعل في قصر الفيلية فجابـه الشيخ مبارك بقوله (ابشر يا شيخ فقد اتفق ولدك عبدالعزيز مع الدولة العثمانية) فاندهش الشيخ مبارك عند سماعه هذا الخبر

وقال له (متى كان هذا) فقال له السيد طالب .

(هذا امر دبر بليل)

فاعترت الشيخ مبارك سورة من الغضب فوجه خطابه الى السيد طالب قائـــلاً

(كلها من مساعيك الخبيثة يا طالب سلط الله عليك ابعد عني) فقال له السيد طالب (تعلم الولد الخباثة من ابيه)

غير ان الشيخ مبارك لم تضعف عزيمته عند سماعه لهذا الخبر لانه كان يتوقع مثل هذا الامر . فكتب الى الامير عبدالعزيز السعود مع (عبدالعزيز الحسن) يهنئه بذلك الفوز ويوجه له اللوم لعدم ايقافه على هذا الاتفاق .

فاجابه الامير عبدالعزيز السعود بكتاب يقول فيه :

(اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجبيل الى الكويت وما ذلك الا حباً بك وعملاً بارادتك ولكن كيف استطيع ان ارضى والدي وهو يؤمرني بان لا اتفق مع الانكليز ولا مع الترك فاذا بين لي حضرة والدي الطريق الثالثة اسلكها راضياً شاكراً ولكن اسئل والدي ايضاً الآن كيف استحسن ذلك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس)

فاجابه الشيخ مبارك بكتاب سلس ودي يعتذر له ومما جاء فيه : —

« لا تصدق يا ولدي اكاذيب السيد طالب ولدي يا ولدي اني اريد ان اتظاهر امام الاتراك بالبعد عنك والجفاء لادرك لك الغاية التي تنشدها واني لم اعمل ذلك الا من اجل مصلحتك بعد ان تبين لي ما طلبته الدولة العثمانية فقد كان فيه اجحافاً بحقك والتقليل من سلطتك والواجب يحتم علي القيام بمحافظتك وصيانتك »

فاجابه الامير عبدالعزيز السعود بكتاب يقول فيه (الحمد لله ان الامور كانت على ما يرام فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام)

وقبيل ان يجتمع مؤتمر الصبيحية كان والي البصرة سليمان شفيق قد اجتمع بالامير سعود بن عبدالعزيز الرشيد بالقرب من مدينة الزبير وتم

الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة العثمانية الامير سعود الرشيد ليحارب الامير عبدالعزيز السعود فقدمت اليه عشرة آلاف بندقية وكثيراً من الذخائر وشيئاً من المال ولم يعلم الامير عبدالعزيز السعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض ولكن اعلان تركيا الحرب على الحلفاء افسد كل تلك الاتفاقيات واحال دون تطبيق بنود المفاوضات والمؤتمرات .

موقف الشيخ مبارك من موقعة جراب [١]

لقد خسر الشيخ مبارك المعركة السياسية في مؤتمر الصبيحية وقد نجم من خسارته هذه حقد تاصل في قلبه فاخذ يسعى لعرقلة مساعي الامير عبد العزيز السعود ويكيد له ويتربص به الفرص

لم تمكن الظروف الامير سعود الرشيد من محاربة الامير عبد العزيز السعود حال تسلمه كمية السلاح والمال من والي البصرة ولكن في أواخر عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م ترددت الاحوال بين الاميرين واصبح وقوع الحرب امر لا بد منه فعلم الشيخ مبارك ان قوات الطرفين متعادلة من حيث العدة والعدد فقد كان مع الامير عبدالعزيز السعود ثلاثة آلاف مقاتل منهم الف من الحضر اكثرهم من اهالي العارض الاشداء وثلاثمائة فارس من العجمان والباقي من البدو .

وكانت قوات الامير سعود الرشيد ثلاثة آلاف مقاتل ايضاً منهم ستمائة من الحضر والف فارس من فرسان شمر والباقي من البدو فلم يكن يومئذ من السهل على احد ان يجزم لمن ستكون الغلبة .

فكتب الشيخ مبارك الى الامير سعود الرشيد مع (سيف العتيقي) يثير فيه الحماسة لمقاتلة ابن السعود والتخلص من طغيانه ويظهر له استعداده لابداء المساعدات التي يطلبها .

---

(١) جراب ماء معروف بين سدير والدهناء .

كما كتب ايضاً الى الامير عبدالعزيز السعود يحثه على مواصلة حرب خصمه ابن الرشيد ويوعده بابداء المساعدة والنصرة ويخبره انه قد ارسل (سيف العتيقي) ليكشف له قوة ابن رشيد وعند عودة سيف سيعلن الحرب على ابن الرشيد ويوصيه بالتحفظ والتستر والكتمان.

وفي ٧ ربيع الاول عام ١٣٣٣ هـ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٥م اشتبكت قوات الاميرين بمعركة عنيفة تعرف بموقعة (جراب) أسفرت نتيجتها عن انتصار الامير سعود الرشيد واستيلائه على مخيم الامير عبدالعزيز السعود ووقعت في يده حقيبة الرسائل الخاصة وكان من ضمنها الكتاب الصادر من الشيخ مبارك الذي يحث فيه الامير عبدالعزيز السعود على قتاله فدعا الامير سعود الرشيد رسول الشيخ مبارك (سيف العتيقي) وقرأ عليه ذلك الكتاب وقطع معه المفاوضة

ثم أرسل سرية من رجاله للغارة على اطراف الكويت وسلب القوافل التي تخرج منها نكاية بالشيخ مبارك.

اما الشيخ مبارك فظن ان وقوع تلك الرسالة بيد ابن الرشيد لم تكن من باب الصدف بل انها بتدبير من الامير عبدالعزيز السعود وقد فعل ذلك لمآرب سياسية مقصودة.

ثم وردت اليه بعد ذلك رسالة من الامير عبد العزيز السعود يخبره بان النصر كان حليفه في معركة (جراب) والحقيقة كانت عكس ذلك كما مر آنفاً ولم تكن اخبار مثل تلك المعركة لتخفى على الشيخ مبارك وهو الفطن المنتبه.

ثم تلا ذلك الكتاب كتاب آخر من الامير عبد العزيز السعود يطلب ان يمده بالسلاح والمال والخيل والابل ويقوله فيه (بان طلبه هذا ليس من باب الاحتياج الحقيقي لان لديه في الرياض من السلاح والمال الشيء الكثير ولكنه يريد بذلك ان يظهر له الشهرة الطيبة

امام اهالي نجد ليعترفوا له بالفضل .)
اما الشيخ مبارك فلم تخف عليه الحقيقة فقد كان الامير عبدالعزيز السعود في حاجة ماسة لما طلب من السلاح والمال وان ذكره عدم الاحتياج لم يكن الا لغرض الاستغفال والخداع فلم يشأ في هذه المرة ان يعتصم بالصمت ويترك الامور على علاتها بل ارسل اليه كتاباً يتضمن بعض العبارات القارصة ويعتذر بعدم تمكنه من ارسال ما طلبه من المساعدات ويقول فيه ايضاً (ان ما اسداه من الجميل السابق لاهالي نجد يكفيه ان ينال عليه الشكر والثناء ولا حاجة للمزيد)
واخذ الشيخ مبارك يستميل الامير سعود الرشيد ويسترضيه فكتب اليه يرجو منه اعادة بعض الابل والاموال التي استولت عليها قبائل شمر من اعراب الكويت وينصحه بالتخلي عن الدولة العثمانية التي قد خسرت في جميع مواقعها الحربية وان عدم تخليه عنها ربما يسبب له متاعباً واخطاراً ويذكره بالصداقة التي كانت سائدة بين حائل والكويت وانه على استعداد تام لاحيائها من جديد وأرسله اليه مع سيف العتيقي فاجابه الامير سعود الرشيد بالكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من سعود ابن رشيد الى جناب المكرم مبارك الصباح سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعنا من فضل الله باحسن حال والخط الذى مع رجالكم سيف وصل وماذكرتم كان معلوم خصوصاً من طرف الاباعر والنقايص الذي خذو الشمامره وتعجبنا من ذلك في هذا الوقت ليس لها مدخال ثم تعلم ان حنانتبع لحكومتنا السنية وفي انتظار اوامرها السامية في كل خصوص ما لنا تداخل في الامور المناقضة لمصالح دولتنا العلية وتذكر من طرف الصداقة السابقة فانتم ما جريتو على مقتضاها صديق الوجه عدو السرائر العاقل خصيم لنفسه ومواد المحبة لا تفهمونها هذا ما لزم ومنا السلام على العيال والسلام
٣٠ رجب ١٣٣٣ »

حادثة العجمان

كان لبادية الجنوب حقوق في الاحساء تؤديها لهم الدولة العثمانية وكان لقبيلة العجمان نفوذ في الاحساء والقطيف يقرب من نفوذ الحاكم العثماني ولما استولى الامير عبدالعزيز السعود على الاحساء قطع تلك الحقوق وزال نفوذ العجمان من تلك المنطقة وكف ايدهم من التعدي .

ولما وقعت معركة (جراب) وخرجت قوات الامير عبدالعزيز السعود من تلك المعركة وهي منهوكة القوى وجد اعراب بادية الجنوب وفي مقدمتها قبيلة العجمان ان الفرصة سانحة لاسترجاع نفوذها في الاحساء فاخذت تسعى لتحقيق ذلك الامر سعياً حثيثاً فعبثت بالامن وصارت تسلب ما تقع يدها عليه من القوافل وتنهب اموال العشائر وغيرها .

وفي شهر رمضان عام ١٣٣٣ هـ تموز ١٩١٥ م اعتدت على بعض العشائر الكويتية ونهبت الكثير من اموالها فكتب الشيخ مبارك الى الامير عبدالعزيز السعود يطلب تأديب المعتدين ورد المنهوبات الى اصحابها . وكان الامير عبدالعزيز السعود يومئذ في شقراء وقد عقد صلحاً مع الامير سعود بن عبد العزيز الرشيد فكتب الى الشيخ مباركجواباً وارسله اليه مع احد ابناء عمه المسمى (ناصر) يقول فيه .

(لست يامبارك بصديق صدوق ولقد أنالني من العجمان اكثر مما أنالك فصبرت وتحملت ونحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن من شدته ان نسير بجيش الى ديرة العجمان .

الامر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد فاخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجداً ودخلت في حرب مع العجمان .

الامر الثالث نفقات هذه الحرب وقد تكاثرت عليّ فضاقت في سبيلها الاسباب .

الامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يلجأ العجمان بعد الحرب

اليك فتنقلب علي كما فعلت في يوم سعدون والظفير ومن رأيي على كل حال ان نؤجل المسألة الى فصل الشتاء)

فكتب اليه الشيخ مبارك يرجوه الاسراع باسترجاع تلك المنهوبات وان هذا الامر لا يحتمل التأجيل .

فأجابه الامير عبدالعزيز السعود بكتاب اهم ما جاء فيه : (اذا عزمت على محاربتهم تعطني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال والرجال وان لا تسلك في سياستك معهم مسلكاً غير مسلكي ولا تستقبلهم اذا لجئوا اليك ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم) فعاهده الشيخ مبارك على ذلك .

فقدم الامير عبدالعزيز السعود الى تلك النواحي ليتولى بنفسه قيادة المعركة فاشتبك مع العجمان في معركة شديدة قتل فيها اخوه سعد وجرح هو ودارت على جيشه الدائرة فانسحبوا الى داخل الاحساء فتعقبهم العجمان وحاصروهم لمدة ثلاثة اشهر .

فكتب الامير عبدالعزيز السعود الى والده في الرياض يطلب المدد فأمده بجيش تحت قيادة ولده محمد بن عبدالرحمن ومعه احداقاربه المدعو سعود بن عبدالعزيز (من العرافة)

كما كتب الى الشيخ مبارك يستنجده ولكن الشيخ مبارك تباطأ في ارسال النجدة فكتب الامير عبدالعزيز اليه مرة ثانية يذكره الوعـــد وقد كانت للحكومة البريطانية يومئذ سياسة خاصة في اواسط بلاد العرب ترمي الى تقوية الامير عبدالعزيز السعود على خصمه الامير سعود بن عبدالعزيز الرشيد لكي تخفف من ضغط الغارات التي كان يشنها الأمير سعود على قبائل بادية الحجاز الموالية للشريف حسين الذي كان في ذلك الحين يستعد للقيام بثورة ضد الاتراك فطلبت من الشيخ مبارك ان يمد الامير عبدالعزيز السعود بقوة حربية تساعده على قهر العجمان واخضاعهم لكي يتفرغ لخصمه وخصمها الامير سعود الرشيد .

فتقبل الشيخ مبارك هذا الطلب بدون رغبة منه فأمر بتجهيز قوة عسكرية تتألف من مائة وخمسين رجلاً من اهل الكويت ومائتين من البدو وارسلها نجدة

للامير عبد العزيز السعود واسند قيادتها الى ولده سالم واوصاه بالتحفظ والابتعاد عن الاشتباك بالحرب مع العجمان كما اوصاه ايضاً ان يتباطأ في السير ولا يقطع المسافة الى الاحساء الا في خلال عشرين يوماً بينما اوسط السير لقطع تلك المسافة سبعة ايام ولكن الشيخ مبارك اراد بهذا ان تتمكن العجمان من الاستيلاء على الاحساء قبل وصول الجيش الكويتي .

ولكن سالم بعد ان خرج من الكويت حث السير وقطع المسافة في ستة ايام فاوصل قواته الى الامير عبدالعزيز السعود كما وصلته القوات النجدية التي كانت بقيادة اخيه محمد . فعزم الامير عبدالعزيز السعود على مهاجمة العجمان فاصدر امره الى اخيه محمد والى سالم ان يبقوا في مراكزهم وزحف هو في احدى الليالي من اواخر شهر ذي القعدة عام ١٣٣٣ هـ تشرين أول ١٩١٥ م بفرقة من رجاله فادركوا العجمان في الصباح واطلقوا عليهم نيران بنادقهم ففر العجمان امامهم واتجهوا نحو الكويت فلم يتمكن الامير عبدالعزيز السعود من اللحاق بهم فعاد الى مقره وامر اخاه محمد وسالم بمطارد العجمان فادركوهم وجرت بينهم معركة ضارية اضطرت سالم ان يشتبك مع قواته بالقتال وان لا يعبأ بوصية ابيه فقاتل واصدق القتال وقد قتل في تلك المعركة حصانه الذي كان راكباً عليه فتم لهم النصر على العجمان . فقرر الامير محمد السعود الفتك بهم فابرز العجمان الى سالم كتاباً من ابيه يقول له فيه (ارسلتك مراقباً لا مقاتلاً فاذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم يا ولدي وابواب الكويت مفتوحة امامهم ولا تمكنه من تشتيت شملهم واعلن حمايتك عليهم . واذا غلبوه فلا تردهم عنه ولا تساعدهم عليه) فامتثل سالم امر ابيه وخالف الامير محمد على الفتك بالعجمان واشتد الخلاف بينهما حتى هجر سالم الامير محمد السعود واعلن حمايته على العجمان .

فكتب الامير محمد السعود الى اخيه يعلمه بما كان من امر سالم الصباح مع العجمان ويستأذنه بقتال الفريقين فاجابه الامير عبدالعزيز السعود يمنعه عن ذلك ويأمره بالتريث ريثما ينظر في الامر .

فكتب الامير عبد العزيز الى الشيخ مبارك يشكو عمل سالم ويقول (انني لم اقدم على محاربة العجمان الا اكراماً لك) فاجابه الشيخ مبارك بكتاب يقول فيه (ان بيني وبين العجمان صداقة قديمة وقد طلبت منك ان تسترجع المنهوبات من العجمان ولم اقل لك حاربهم واطردهم من ديارهم) .

وكان الشيخ مبارك قبل ان يعلن ولده سالم حمايته على العجمان قد ارسل جيشاً آخر لنجدة الامير عبدالعزيز السعود بقيادة علي الخليفة والشيخ احمد الجابر . ولكن الامير عبدالعزيز لما اتضح له موقف سالم تحقق لديه ان ذلك العمل لم يكن الا بايعاز ووصية من الشيخ مبارك فرفض قبول تلك النجدة خشية ان تكون مزودة بنفس الوصية التي كان مزود بها سالم .

فلما بلغ الشيخ مبارك رفض الامير عبدالعزيز السعود لقبول تلك النجدة اوعز اليها بالعودة ثم فسح المجال الى قبيلة العجمان لدخولهم مدينة الكويت فوردها قسم منهم واخذوا يبيعون ما نهبوه من الاحساء في اسواقها .

ثم قفل سالم راجعاً بقواته الى الكويت ومعه قسم كبير من قبيلة العجمان .

عندئذ جمع الامير عبدالعزيز السعود من كان معه من وجوه النجديين وشاورهم في ما يجب عمله فقرروا بالاجماع ملاحقة سالم ومقاتلة العجمان الذين معه في داخل مدينة الكويت فاصدر امره بالاستعداد للمسير لهذا الغرض .

طلب وساطة الشيخ خزعل

كانت الحكومة البريطانية بعد ان استولى الامير عبدالعزيز السعود على الاحساء تسعى للاتصال معه سرياً ولما عزم على مهاجمة الكويت خشيت ان تبوء محاولاتها السرية بالفشل فطلب السربرسي كاكس من الشيخ خزعل ان يتوسط في الامر ويسعى في حل الخلاف القائم بين الشيخ مبارك وبين الامير عبدالعزيز السعود ولكن اشتداد وطئة المرض على الشيخ مبارك منعت الشيخ خزعل من القيام بتلك الوساطة ولم يلبث الشيخ مبارك بعد ذلك طويلاً فقد توفي وبوفاته انتهت تلك الازمة .

المنتفق

لقد زعم بعض مدوني التاريخ ان لفظة المنتفق مشتقة من الاتفاق والنون من زيادات المولدين وقد خطئوا ،في زعمهم هذا فالمنتفق لفظة عربية معناها (الداخل في النفق) وهي اسم مرتجل لا منقول من صفة وان كتب الانساب تذكرهم بلفظة بني المنتفق لا بلفظة المنتفق.

وبنو المنتفق هؤلاء عرفوا باسم ابيهم معاوية (الملقب بالمنتفق) أبن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين.

والمنتفق اليوم ثلاث عماير كبيرة قد اجتمعت متحدة ومتفقة وهم :

بنو سعيد. بنو مالك. آل اجود.

وكل هؤلاء منتفق ويعرفون بالاثلاث والذي يظهر لمتتبع اخبار الانساب ان بني المنتفق هي عميرة واحدة وهم (بنوسعيد) والعميرتان الاخريان فهما اخوة بني المنتفق فاطلق عليهم لفظ المنتفق توسعاً ومجازاً.

فبنو مالك هم بنو عامر بن عقيل بن مالك بن المنتفق.

وآل اجود بطن من غزية وغزية بطن من هوازن بن المنتفق.

لمحة موجزة في تاريخ المنتفق

ان تاريخ قبائل المنتفق غامض ولا يعلم له تفصيل والمعروف منه في سنة ٣٧٨ هـ ٩٨٨ م لما هاجمت القرامطة منطقة البصرة كان رئيس قبائل

المنتفق يدعى الشيخ اصفر فجمع جموعه وسار بها لدفع القرامطة فادركهم قرب الاحساء فاصطدم معهم بقتال اسفر عن انهزامهم وتحصنهم في مدينة الاحساء فتوجه بجموعه الى مدينة القطيف واستولى على جميع ما كان فيها للقرامطة من اموال وعبيد ومواش ثم عاد الى البصرة وظل يرئس المنتفق الى ان توفي في عـــام ٤١٠ هـ ١٠١٩ م ثم توالت رئـــاسة هذه القبائـــل عـــدة شيوخ

ثم في عام ٤٩٩ هـ ١١٠٥ م اجتمعت قبائل المنتفق وربيعة ومن حالفهم من الاعراب وهاجموا البصرة في اواخر شهر ذي القعدة واسروا واليها ونهبوا اموالها واحرقوا الاسواق والدور وبقوا لمدة ٣٢ يوماً حتى فر معظم اهالي البصرة خوفاً من القتل .

وفي سنة ٥١٧ هـ ١١٢٢ م غضب الخليفة العباسي المسترشدبالله على دبيس بن صدقة امير الحلة مما دعاه الى الاتفاق مع قبيلة المنتفق على مهاجمة البصرة فهاجموها واوقعوا بها النهب والقتل فوجه الخليفة اليهم الجند تحت قيادة البرسقي فحاربهم واخرجهم من البصرة ولكن بعد (خراب البصرة)

وفي سنة ٥٣٢ هـ ١١٣٧ م اصدر الخليفة العباسي المقتفي لأمرالله امره بتولية الشيخ معروف شيخ المنتفق شؤون البصرة .

ثم في عام ٥٥٨ هـ ١١٦٣ م اصدر الخليفة (المستنجدبالله) العباسي امره باجلاء بني اسد من الحلة وضواحيها فسارت الجيوش نحوهم بقيادة (يزدن بن قماج) بعد ان قدم ابن معروف لنجدته من البصرة بقبائل المنتفق فاجلوهم عن ديارهم وسلمت البطائح من ديارهم الى ابن معروف فدخلتها قبائل المنتفق وظلت في البطائح الى سنة ٦١٦ هـ ١٢٢٠ م حتى استفحـــل امرها فوجه الخليفة العباسي (الناصرلدين‌الله) نحوهم الجنود تحت قيادة (الشريف معد) امير واسط فالتقى معهم في موضع يعرف (بالمقير)[1]

---

(١) هو تل اثري كبير من بقايا عاصمة من عواصم الكلدانيين وكانت تسمى (اور) ويقع على مسافة عشرة اميال جنوب مدينة الناصرية .

وكان رئيس المنتفق يومئذ (معلي بن معروف) فتمكنت الجيوش من التغلب على المنتفق فاخرجتهم من البطائح فاتجهوا نحو الاحساء والقطيف فلم يستقر بهم المقام هناك فاضطروا الى العودة الى العراق وطلبوا من والي البصرة ان يتشفع لهم عند الخليفة في بغداد بطلب العفو والسماح لهم بالبقاء فقبل الوالي رجاءهم وكتب كتاباً للخليفة وامرهم بحمله الى بغداد ليعرضوا خضوعهم الى الخليفة والانقياد لطاعته.

فلما ذهبوا وقاربوا واسط لقيتهم سرية من سرايا الخليفة قد امرت بمقاتلتهم وبعدم الاذن لهم بالبقاء في العراق فتقاتلوا معهم فانتصروا على جيش الخليفة وغنموا منه بعض الاسلحة ثم دخلوا البطائح في عام ٦١٧ هـ ١٢٢١ م وبقوا هناك.

ديار المنتفق قديماً وحديثاً

كانت منازل بني عجل بن لجيم بن صعب (الذين هزموا الفرس في معركة (موته يوم ذي غار في البوادي الواقعة من اليمامة الى البصرة ولما اندثرت بنو عجل اخلفهم عليها بنو عامر بن المنتفق وكانوا قبائل اهل بادية ولم يكنوا من القبائل النهرية التي تعيش على ضفاف الأنهار ثم نزحوا واتخذوا المناطق التي في اعلى الناصرية الى ظهر البصرة براً ونهراً دياراً لهم.

آل السعدون

آل السعدون عائلة شريفة هبطت العراق في اوائل القرن العاشر للهجرة واسست فيه امارة كبيرة دامت اربعمائة عام تقريباً وتوسع نفوذهـا وعـلا مجدها ويرجعون بانفسهم الى الحجاز وبانسابهم الى اشراف الحجاز وامرائه فهم قريشيون هاشميون ويعرفون بآل شبيب والشيخ سعدون الأب الثاني لهذه العائلة وهو من حفدة شبيب وتولى آل شبيب الامارة ومنهم

أنتقلت الزعامة الى سعدون آل محمد احد حفدة شبيب ومن بعده ترددت في حفدة محمد بن ثامر بن سعدون بن محمد وثويني العبدالله آل محمد وحمود ال ثامر السعدون ومن حمود استقرت في آل سعدون وفارقت آل شبيب من بعد ثويني بن عبدالله وندرج ادناه اسماء من تولى امارة المنتفق من هذه العائلة .

ان اول من تولى امارة المنتفق هو الشريف حسن الذي قدم العراق من الحجاز على اثر خلاف جرى بينه وبين اخيه الشريف مسرور فاستجار بزعيم بني مالك المسمى شيحان بن خصيفه فاحسن هذا مثواه ثم تزوج الشريف حسن ابنة امير بني مالك فولدت له ثلاثة اولاد وهم محمداً وعبدالله وشبيباً وبالنظر لما كان يتصف به الشريف حسن من الصفات القويمة الحميدة فقد آلت اليه امارة المنتفق وبعد ان توفي الشريف حسن خلفه على الامارة ولده الشيخ شبيب ثم تولى بعده ابن اخيه مانع بن محمد ثم تلاه ولده حسن بن مانع ثم خلفه شبيب بن مانع ثم آلت الامارة الى مانع بن شبيب ثم تلاه محمد بن شبيب .

ولما توفي محمد تولى الامارة من بعده ولده الأكبر سعدون وفي عام ١١٥٣ هـ ١٧٣٧ م قتل سعدون فرجعت الامارة الى ولده ثامر ثم تلاه الشيخ ثويني بن عبدالله الى ان قتل في عام ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م فخلفه على امارة المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون وفي سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٢٧ م عزل الشيخ حمود عن الامارة ونصب مكانه الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر ثم تولاها الشيخ ماجد بن حمود الثامر ثم تلاه اخوه فيصل ابن حمود ثم تلاهما الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر ثم تأمر من بعده اخوه الشيخ بندر بن محمد ثم تولاها الشيخ فهد بن محمد بن ثامر ثم تلاه الشيخ فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر ثم آلت الى الشيخ منصور بن راشد بن ثامر ثم استرجعها الشيخ فارس مرة ثانية فاشتد القلاقل بينه وبين بني عمه منصور وناصر ولدي راشد وبالاخير تغلبا عليه وقتلاه وانقسم آل سعدون على انفسهم

فوجدت الدولة العثمانية امامها مجالاً واسعاً للتدخل في شؤون آل سعدون لسحق قواهم فنزعت منهم صفة الامارة والزعامة وجعلتهم منصوبين من تحت يدها فعينت منصور باشا من قبلها على لواء المنتفق ثم حصل انشقاق بينه وبين اخيه ناصر باشا فصرف منصور باشا عن الرئاسة واحيلت الى عهدة ناصر باشا ثم نافسه ابن عمه فهد باشا بن علي فاحيلت اليه ثم اعيدت الى ناصر باشا ثم صرفت الى فهد باشا ثم اعيدت الى ناصر باشا ثم نفت الدولة العثمانية ناصر باشا الى (فروق) الاستانة، وعينت فهد باشا متصرفاً للواء الحلة.

وفي اثناء ذلك احس فالح باشا بن ناصر باشا في نفسه قوة فتظاهر بالتمرد على الدولة العثمانية فوقعت بينه وبينها معركة كبيرة تغلبت بها الدولة على قواته فاضطر الى الهجرة مع معظم اقاربه الى عربستان مستجيراً بالشيخ مزعل الحاج جابر امير المحمرة فاحسن له الجوار وبقي هناك مدة سنتين ثم سمحت لهم الدولة العثمانية بالعودة الى العراق لمباشرة املاكهم دون ان تكون لهم صفة رئاسة وذلك عام ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م.

سعدون باشا

كان من ضمن العائدين الى العراق سعدون باشا بن منصور باشا فنهض هذا في بادية البصرة يريد الاعتراف بحقوقه الضائعة فكانت حياته حياة جهاد لاحياء مجد المنتفق واعادة الامارة لآل السعدون.

الشيخ مبارك وسعدون باشا

في عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م غضبت الدولة العثمانية على سعدون باشا بن منصور باشا ابن راشد السعدون وتشددت عليه فاضطر الى الرحيل مع عياله الى الكويت وخيم بالمحل المسمى (فنيطيس) وطلب الحماية من الشيخ مبارك لحرمه وأمواله فاجابه الشيخ مبارك على ذلك فاطمأن سعدون باشا



(٣٥) السيد طالب النقيب (في سفرته الاولى الى اسطنبول)
(راجع صفحة ١٩٩)

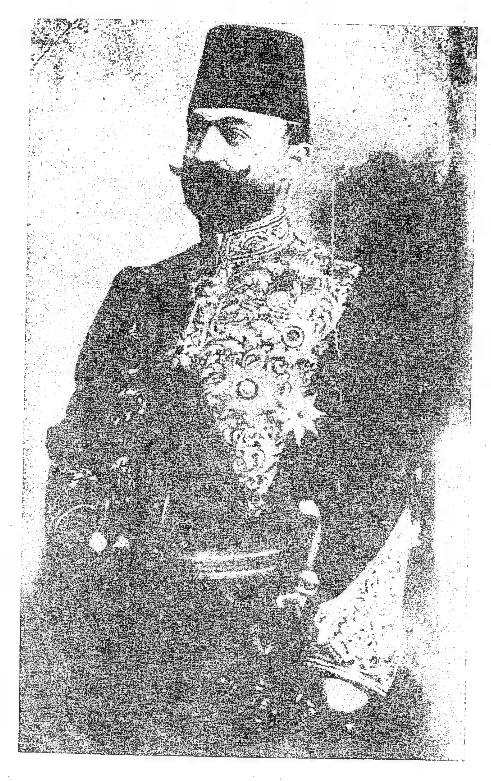


(٣٤) السيد طالب النقيب (عند ولاية
الاحساء) (راجع صفحة ١٩٩)



(٣٦) الامير عبدالعزيز السعود (حين الاستيلاء على الاحساء)

(راجع صفحة ١٩٢)

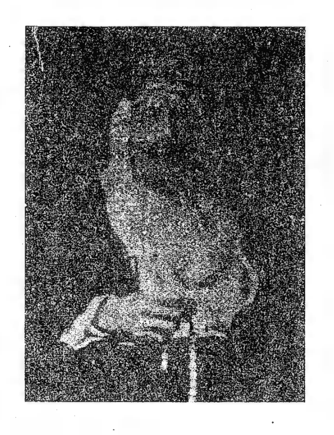


(٣٧) السيد طالب النقيب (في مؤتمر الصبيحية)

(راجع صفحة ١٩٢)



(٣٨) حمود بن سويط (شيخ الظفير)
(راجع صفحة ٢٣٤)



(٣٩) الشيخ سالم الحيون (شيخ بني اسد)
(راجع صفحة ٢٦٦)



(٤٠) خالد باشا العون (شيخ الزبير) (راجع صفحة ٢٦٥)



(٤١) عبدالوهاب باشا القرطاس (راجع صفحة ١٧١)

لقوله وعاد الى البصرة وحده وصار يشن الغارة تلو الغارة على اطراف البصرة حتى شملت غاراته القرى والنواخي المجاورة للبصرة وظل مستمراً على هذه الحال حتى توسط السيد طالب النقيب بينــه وبين الدولة العثمانية وحصل له على العفو من السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م فهدئت الفتن واستقرت الاحوال فذهب سعدون باشا الى الكويت وعاد باهله وشكر الشيخ مبارك على حمايته وبقي الولاء مستحكم بين الطرفين .

بداية الخلاف بين الشيخ مبارك وسعدون باشا

في اواخر عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤م حصل جدب شديد في نجد فاضطرت بعض القبائل النجدية الى الاكتيال من العراق وكان ممن قصد العراق قسم من عشائر شمر برئاسة احد زعمائهم المدعو (ابن سعيد) ومعهم ١٥٠٠ بعير وكان وصولهم اليه في بدايــة عام ١٣٢٣هـ ١٩٠٤ م فذهب (ابن سعيد) الى سعدون باشا وشكا اليه ما اصابهم من القحط والجوع واخذ يستعطفه ويستميله (لان سعدون باشا لم يكن يسمح في ذلك الحين لقبيلة شمر بدخول العراق) فرق لحاله واجاز له الاكتيال واصحب معه رجلين من خاصته وهم (سعد بن عون) من عشيرة الفضول (وفرحان البلبوص) من عشيرة بني ركاب ليعلم العشائر بان هــذه القافلــة في حمايته لكي لا يتعرضوا لهــا بسوء فلما تم لقافلة (ابن سعيد) الأكتيال وعزمت على العودة الى نجد وقربت من المحل المسمى (افنه) اوعز الشيخ مبارك الى احد رؤساء قبيلة الظفير الموالي له الموعو (نافع بن ضويحي) بالاغارة على تلك القافلة الشمرية فجهز (ابن ضويحي) سرية تتكون من ٨٠٠ فارس و ١٠٠٠ راكب فاغارت على تلك القافلة واسلبتها جميع اموالها .

ولما بلغ سعدون باشا هذا الخبر ارسل في الحال رسولاً من قبله الى (ابن ضويحي) يعلمه بحمايته لتلك القافلة ويطلب منه اعادة المنهوبات اليها فلم

يلتفت (ابن ضويحي) لطلبه ولم يعره انتباهاً فاستنفر سعدون باشا قومه وذهب بهم لاسترجاع اموال الشمرين من الظفير فادرك (ابن ضويحي) في المحل المسمى (البركي والردايف) فهجم عليه وارغمه على التخلي عن المنهوبات واستولى على ٣٠٠ بعير وعلى قسم كبير من امواله وسلاحه فاعاد الى الشمريين اموالهم وامرهم بالمسير الى بلادهم وامر ولده حمد مع مائتين وخمسين من رجاله بمرافقة تلك القافلة حتى يوصلها الى ما منها ورجع هو الى مقره بما استولى عليه من اموال الظفير .

اما الشيخ مبارك فبعد أن علم بهذا الخبر لم يشأ ان يفسد علاقاته مع سعدون باشا من اجل هذا الحادث (الذي لم يكن لسعدون باشا من ورائه اي غرض غير الوفاء بالوعد لحماية الشمريين .) فطلب الى السيد خلف النقيب بأن يتوسط بينه وبين سعدون باشا ويبلغه بان ما جرى على الشمريين لم يكن بعلم منه ولا يد له فيه ويرجو منه اعادة الركائب والاموال التي استولى عليها الى اصحابها (آل ضويحي) فتقبل سعدون باشا معذرته وصدق ادعاءه واعاد جميع المنهوبات الى اهلها . ولكن الشيخ مبارك مع كل ذلك لم يغتفر لسعدون باشا هذا العمل بل انطوى منه على ضغينة وحقد واخذ يعمل في الخفاء على خضد شوكته خشية من استفحال امره في المستقبل .

مقدمات حرب هدية

واهم اسبابها

ان للحروب مهما كانت كبيرها او صغيرها مقدمات واسباب تتتابع حتى تسمم الافكار وتوغر الصدور بالاحقاد ثم لا تلبث ان تذكو بحادث ما وقد يكون الحادث غير ذي بال لا يستوجب في الظاهر ان تثار من اجله حرباً تسفك فيها الدماء وتزهق بسببها الارواح . ولقد كان لمعركة هدية سوابق كثيرة ودوافع عديدة تراكم بعضها فوق بعض وتفاعلت حتى قدحت شرارة الحرب ولعل اهم الاسباب هي :—

(١) بعد ان ارغم السلطان عبدالحميد على التنازل عن العرش واتسع نفوذ جمعية الاتحاد والترقي وفتحت لها فروعاً في ارجاء الامبراطورية العثمانية لم يحسن الاتحاديون سياستهم مع العرب ولم يفوا لهم بما واعدوهم وقد أثار عملهم هذا غضب العرب ونفرتهم في جميع اقطارهم .

وقد أسس في البصرة حزب (الحرية والائتلاف) برئاسة السيد طالب باشا وكان يعضده في ذلك الحزب كل من الشيخ مبارك والشيخ خزعل لمناوئة الاتحاديين والعمل على طردهم من ولاية البصرة وبالتالي المطالبة باستقلالها .

فاوعز الاتحاديون الى سعدون باشا بأن يجرد حملة على الشيخ مبارك في في الكويت لانه في نظرهم كان من اشد الزعماء الثلاثة خطراً عليهم فاخذ سعدون باشا يتحين الفرص لمحاربة الشيخ مبارك والاشتباك معه في القتال

(٢) ان (بطي بن حلاّف) زعيم عشيرة السعيد وهي من قبيلة الظفير التابعة الى سعدون باشا استولى على مقدار من الاغنام تعود الى عثمان بن راشد احد تجار الكويت فطلب الشيخ مبارك من سعدون باشا ان تعاد الاغنام الى صاحبها واصر على ذلك ولكن لم يجب طلبه فاستاء لذلك كثيراً .

(٣) اتفق ان اغار سعدون باشا على طائفة من قبيلة مطير وكان بالقرب منها فريق من (عريب دار) وهي من الاعراب التابعة الى الكويت فنهب أموالها فتوسط جابر المبارك لدى سعدون باشا باعادة المنهوبات الى صحابها فقبل رجاءه غير ان ذلك لم يزل حالة التأثر والانفعال التي اعترت الشيخ مبارك فقد عد عمل سعدون باشا على (عريب دار) اهانة متعمدة له شخصياً .

(٤) وتلى كل ذلك ان طيراً (صقراً) انفلت من نجم العبدالله السعدون فاصطاده رجل يدعى (خليف النومى) من (عريب دار) التي كانت نازلة يومئذ بالقرب من الجهرة فارسل نجم السعدون رسولاً من قبله لاسترجاع ذلك الطير فابى خليف اعادة الطير الى صاحبه فحصلت بين الرجلين مشاجرة

انتهت بقتل رسول نجم السعدون فذهب القاتل والتجأ الى جابر المبارك فاجاره . ولما بلغ سعدون باشا هذا الخبر عزم على الاخذ بثأر القتيل فسار نحو (عريب دار) واوقع بهم واستولى على ما وقعت يده عليه من اموالهم وعاد راجعاً الى مقره وكان ذلك في اواخر شهر صفر عام ١٣٢٨ ه ١٩١٠ م وعندما علم الشيخ مبارك بذلك كتب الى سعدون باشا يؤنبه على عمله ويغلظ في التأنيب ويطلب منه بشدة اعادة الاموال المنهوبة الى اصحابها . فجمع سعدون باشا شيئاً قليلاً من تلك الاموال وارسلها الى الشيخ مبارك وكتب اليه معتذراً ويقول باعتذاره انه لم يكن يقصد عرب (عريب دار) بسوء بل كان غرضه من تلك الغزوة عشائر مطير وقد اعترته الصدف (بعريب دار) دون ان يكونوا هدفاً . ولم يكتف سعدون باشا بهذه الرسالة الاعتذارية فقط بل وجه وفداً من قبله الى الكويت ليوضحوا الى الشيخ مبارك جلية الامر وحقيقة الاعتذار غير ان الشيخ مبارك بالرغم من كل ذلك لم يتقبل تلك المعذرة وعزم على قتال سعدون باشا واصر على ذلك .

وكان سعدون باشا يومئذ مضطراً لتقديم المعذرة الى الشيخ مبارك وطلب مهادنته ومصافاته لانه كان عازماً على قتال (نوري الشعلان) في بادية الشام فسار الى قتال نوري الشعلان قبل ان ينتظر عودة وفده الذي ارسله الى الكويت فاشتبك مع قبائل الرولة بالقتال فكانت الدائرة عليه فعاد مندحراً بفلوله فوجد وفده قد عاد من الكويت ومعه رسول من قبل الشيخ مبارك يدعى (مطلق ابوحديدة) ليخبر سعدون باشا برفض الشيخ مبارك معذرته وانه قادم نحو المنتفك بجيش كبير .

كان الامير عبدالعزيز السعود يومئذ نازلاً علـى محل يدعى (الصمان) وهو يبعد عن الكويت نحو اربعة مراحل فكتب اليه الشيخ مبارك يطلب موافاته الى الكويت فقدم اليه بجيش صغير من العربان وفيهم بعض من العجمان فلما قابله الشيخ مبارك واخبره بعزمه على قتال سعدون باشا اشار عليه بالتريض قائلاً « ليس بينك وبين الرجل خلاف حقيقي

يوجب الحرب واني ارى مسالمته اولى والمسألة طفيفة وانا اتوسط بينكما)

فاجابه الشيخ مبارك قائلاً « انت ولدي وهل يقبل الولد ان يهان ابوه » فقال له وقد اعترته حالة من الخجل : « لا والله ولك ما تريد اني ملب الطلب انشاء الله ولكن أسألك ان تمهلني ريثما استنفر اهل نجد اذ ليس معي الآن غير مائتين من رجالي اما العشائر فلست اركن اليها في القتال فقال له الشيخ مبارك : « اني اجند من الكويت الجنود الكافية ولا ابغي منك غير مرافقة الحملة » فقال له : « اذا انت باشرت التجنيد في الكويت فان سعدون باشا قريب منا ولا تخفى عليه اخبارنا واعمالنا وقد يتأهب لنا ومن رأي « ان تعد قوة صغيرة بقيادة احد اولادك وتبتعد عن اطراف الكويت وتتربص الهجوم على سعدون باشا يوم تتفرق عنه عشائره وبهذا ننال مرامنا منه بحول الله » . فلم يرق للشيخ مبارك هذا الرأي واصر عليه بمرافقـــه الحملة فرافقها مكرهـــاً . بعد ان اوعده بالمساعدة على قتـــال ابن الرشيد في القصيم

خرجت جيوش الشيخ مبارك من الكويت ومعها الشيخ جابر والشيخ علي الخليفة يرافقهم الامير عبدالعزيز السعود وهي تتألف من الفين من الحضر واربعة آلاف ونيف من البدو ومئة وخمسين فارساً ومائتين من رجال الامير عبدالعزيز السعود فبلغ عددها كله نحو سبعة آلاف مقاتل . ولما بعدت عن الكويت حوالي مرحلتين اختلفوا عـــلى القيادة العامة ووجهة السير لان الامير عبدالعزيز السعود اراد التوجه بهـــذه الجموع اولاً الى القصيم للقضاء على الامير سعود الرشيد وبعد ذلك يعودون الى سعدون باشا اما الشيخ جابر فكان يريـــد الزحف على سعدون باشا والتنكيل بـــه قبل كل شيء فلما تباينت اراؤهما واختلفت مقاصدهما كتبا الى الشيخ مبارك بما حصل بينهما من الاختلاف ويستشيرانه في الامر .

فاجابهما بوجوب المسير لمحاربة سعدون باشا واسند القيادة الى ولده جـــابر فامتثلا هـــذا الامر وسارا معـــاً فتولى جابر قيـــادة

اهل الكويت واسند قيادة البدو الى علي بن خليفة وكان للامير عبدالعزيز قيادة جيشه النجدي .

حرب الطوال أو وقعة هدية

لما بلغ سعدون باشا خروج تلك الجيوش الى حربه عزم في الحال على المسير لملاقاتهم واخذهم على حين غرة فتوجه بمن بقي من جموعه وهم سبعون رجلاً من آل السعدون من ضمنهم عبدالله بك بن فالح باشا وابراهيم بك بن مزعل باشا ومزيد بك بن ناصر باشا مع خدمهم بالرغم مما كان بينهم من الضغائن ومن انضم اليه من الجشعم ورئيسهم (عبعوب ابن ياسر الثويني) ومئتان وستون من السوالم (آل حميد) منهم ستون فارساً ومائتان من المشاة يرأسهم (منيخر بن مرشد) واثنان وخمسون من البدو ومنهم اثنا عشر فارساً واربعون راجلاً ورئسهم (ذياب بن شحم وعباس بن عشيش) ومئة وعشرون من الظفير كلهم فرسان يرأسهم (حمود بن نايف بن سلطان بن سويط) وقسم من بني خالد يرأسهم (سلمان المنديل) وقسم من (الصمدة) وهم فخيدة من الظفير يرأسهم (ظاهر ابوذراع) .

فالتقا الجمعان في محل يسمى (جربيعات الطوال) ودارت بينهما رحى القتال في غرة جمادي الآخرة ١٣٢٨ هـ ١٠ حزيران ١٩١٠ م فكانت المنازلة الاولى للخيل فاغار فرسان الكويت البالغ عددهم مئة وخمسون على فرسان سعدون باشا الذين يحصون زهاء المئتين ولم يدم القتال طويلاً حتى اندحرت الجيوش الكويتية فتعقبتهم اتباع سعدون باشا واثخنوا فيهم القتل والجراح حتى ألجأووهم الى ترك ذخائرهم واثقالهم وحتى خيلهم وابلهم وسلاحهم فغنمها سعدون باشا ولكثرة ما غنمه في ذلك اليوم قال احد الكويتيين (اخذنا اموالنا لسعدون هدية) فسميت هذه الحرب (بوقعة هدية) وان حصة سعدون باشا وحده من الغنائم كانت خمسمائة بعير وقد

قتل من الجيش الكويتي ثلاثمائة وثمانية وثلاثون رجلاً غير الجرحى وقتل من اتباع سعدون باشا خمسة من رجاله واربعة من الجشعم وسبعة من الظفير واثنان من البدور وقتل (ليل بن هتيمي المنديل) واما الجرحى فكثيرون

وقد امر سعدون باشا اتباعه بان لا يقتلوا اسيراً ولا يحملوا على جريح ولما انتهت المعركة جمع سعدون باشا الاسرى والجرحى الكويتيين وارسلهم الى الكويت بعد ان اكرمهم واعاد اليهم بعض ما سلب من اموالهم عدى الاسلحة وقد غزل سعدون باشا قسماً مما استولى عليه من الاموال ودفعها الى عبدالله بك الفالح فابى قبولها قائلاً (اني لم آتي لمعونتك من اجل الطمع).

الشيخ مبارك بعد وقعة هدية

ان من اهم المزايا التي كان يتصف بها الشيخ مبارك هي الصمود تجاه النكبات وعدم تضعضع العزيمة في وقت الشدة فتراه بعد هزيمة جيوشه في موقعة هدية تلك الهزيمة النكراء وتكبده بتلك الخسائر الفادحة لم تكل له عريكة ولم تضعف له عزيمة بل خرج من الكويت الى قصره في (الصرة) منتظراً عودة فلول جيوشه فلما وصلوا وقابله جابر والامير عبدالعزيز السعود وشرحوا له اسباب فشلهم اخذ يهون عليهم الامر ويعدهم بالنصر في الحرب المقبلة واخبرهما انه قد عقد النية على استنفار اهل الكويت وقال لهما من ضمن ما قال « سأجمع والله خمسة أضعاف هذا الجيش وساحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد »

وفعلاً فقد باشر بجمع الجيوش واستيراد الاسلحة وضاعف الضرائب على الاهلين ورجا من الامير عبدالعزيز السعود البقاء عنده في الكويت.

ولقد اغتنم الامير سعود الرشيد فرصة غياب الامير عبد العزيز السعود عن نجد فاخذ يواصل حملاته على بعض العشائر التابعة له فطلب الامير عبد العزيز السعود الاذن من الشيخ

مبارك للعودة الى بلده خشية من استفحال الامر ولكن الشيخ مبارك استعطفه للبقاء الى جنبه قائلاً له « اذا تركتني اليوم يا ولدي فليس لي احد ينهض معي فيتمكن مني العدو وانا والدك يا عبدالعزيز ولي عليك حق المساعدة والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع ابقى عندي ولا تخرج مع الجيوش اتسلى بوجودك معي » فاضطر الامير عبدالعزيز السعود للبقاء مع جيش جابر مبارك الذي كان مخيماً خارج الكويت لمدة ثلاثة اشهر .

وفي خلال مكثه اعتدت بعض عربان مطير على عرب قحطان وسبيع بتحريض من الامير سعود الرشيد فلما قاربت مطير اطراف الكويت اراد الامير عبدالعزيز السعود تأديبهم فنهاه الشيخ مبارك عن ذلك . فكتب اليه الامير عبدالعزيز السعود يلومه ويقول له «كان الاجدر بك ان تساعدني عليهم وهم من القبائل العاصية » فلما وقف الشيخ مبارك على هذا الكتاب خرج الى المعسكر واجتمع هناك بالامير عبدالعزيز السعود وقال له « اظنك يا ولدي عبدالعزيز تبغي أهلك » ففطن الامير عبدالعزيز الى ما قصده الشيخ مبارك من هذا الكلام فعاد الى نجد وكتب اليه من هناك يعاتبه عتاباً شديداً .

استمر الشيخ مبارك بجمع الجيوش من الكويت وبارسالهم الى معسكر ولده جابر فاجتمعت لديه جيوشاً جرارة ، أمـا القواد فهم صقر آل غانم واحمد الجابر وابراهيم بن جابر الفضل وعبدالعزين بن حسن فقرروا المسير الى قتال سعدون باشا على ان يبدأوا هجومهم اولاً على قبيلة الظفير فساروا على هذا القرار ولما قاربوا منازل الظفير ابصروا ابلاً كثيرة منتشرة في البيداء ولم يكن معها من الرجال الا القليل فاغاروا عليها وجرت بينهم معركة ابدا فيها صقر الغانم شجاعة فائقة وتم لهم الاستيلاء على جميع تلك الابل وكان ذلك في شهر رجب عام ١٣٢٨ ﻫ ١٩١٠ م

فلما علم الشيخ مبارك بهذا الخبر تحقق لديه ان الاستيلاء على تلك الابل سوف لا تترك لهم غنيمة باردة بل سيسعى سعدون باشا حتماً

الى استرجاعها بالقوة فندم على فراق الامير عبدالعزيز السعود في تلك الظروف فكتب اليه يطلب منه ان يجمع له الرجال من نجد والقصيم ويقدم بها اليه في الكويت واخبره بان سعدون باشا قد جدد اتفاقه مع الامير سعود الرشيد فابطأ الامير عبدالعزيز السعود عن الاجابة فوجـه الشيخ مبارك وفداً من الكويت يحمل اليه كتاباً ومعهم ذلولان ومما جاء في ذلك الكتاب (انني ارسل اليك ذلولتي وقد كنت اركبهما الى الغزو وانا الآن عاجز من الركوب والمغازي انا والدك يا عبدالعزيز والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون).

فلما وقف الامير عبدالعزيز السعود عـلى ما كتبه الشيخ مبارك اجابه يقول (ان مشاكلي كثـيرة وعشائري متغلبـة واخشى ان اتركهم بعد ان اجتمع لي الامر في بلادي ويخونون وانا مضطر الآن ان استخدم كل ما لدي من القوة لمعالجة مشاكلي الداخلية) ولكن الشيخ مبارك لم يقتنع بهذا العذر فكتب اليه كتاباً آخر كله استغاثة واستعطاف ومما جاء فيه (انا اصيح واناديك وانت يا ولدي تصم اذنك ابمثل ذلك يعامل الوالد اتهجرني يوم شدتي فيساعد هجرك العدو علي. اسمعني يا ولدي يا عبدالعزيز اسمعني اصيح واناديك).

فلم يكن بدّ للامير عبدالعزيز السعود بعد وقوفه على هذا الكتاب الا استنفار عشائره تلبية لنداء الشيخ مبارك فسار لنصرته بجيش مؤلف من الف وخمسمائة مـن الحضر وخمسـة آلاف من البـدو وكتب يعلمـه بقدومـه وانه سيحل بجيشه في (الحفر) فارسـل الشيخ مبارك سلمان الحمود وعلي الخليفة لاستقباله وامرهما بمرافقته عند المسير لقتال سعدون باشا على ان يبدأوا اولاً بقتال حمود بن سويط رئيس قبيلة الظفير.

وفي خلال اقامة الامير عبدالعزيز السعود في الحفر اختلف سعدون باشا مع حمود بن سويط لاسباب منشاؤها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين

وكان نزاع هذين الحزبين يمتد الى العشائر بواسطة رؤسائهم . فلما علم الشيخ مبارك بذلك الخلاف كتب الى حمود بن سويط الذي كان يميل الى الائتلافيين يستميله اليه ويخبره بان الامير عبدالعزيز السعود سيزحف عليه بجيوشه الجرارة ويحذره منه . فعندما علم الامير عبدالعزيز بما دار من المكاتبات بين الشيخ مبارك وبين حمود بن سويط ادرك الغرض في طلب الشيخ مبارك منه الزحف على سعدون باشا وانه يقصد بذلك انفصال العشائر عن سعدون باشا لانه كان يميل الى جانب الاتحاديين خلافاً لمبدأ الشيخ مبارك فتوقف عن الزحف .

ثم اخذ الشيخ مبارك يتفاوض مع بقية رؤساء الظفير يستميلهم الى جانبه فابوا عليه ما اراد ولما يئس منهم اوعز الى العشائر التابعة له (الرشادية والعوازم) المنبثين بالقرب من عشائر الظفير في اطراف الزبير ان يتعرضوا الى قوافل الظفير التي تتسابل مع تجار الزبير وتكتال منه فجعلوا ينهبون ما تقع ايدهم عليه .

فشكت قبيلة الظفير أمرها الى سعدون باشا فخشي سعدون عاقبة هذا الامر وتطوره فانتدب ثلاثة من وجوه الزبير وهم (الشيخ احمد العسافي وابراهيم بن دامغ وعثمان بن شارخ) للذهاب الى الكويت والرجاء من الشيخ مبارك الكف عن اثارة القتال وصون الدماء البريئة .

اما الشيخ مبارك فلما علم بقرب وصول وفد سعدون باشا امر باخراج مدافعه ونصبها في ميادين الكويت العامة وامر اتباعه بالاجتماع حولها وهم مدججين بالسلاح .

فلما وصل الوفد الى الكويت ورأى تلك الحالة غلب على ظنهم عدم نجاح مهمتهم ولكنهم بالرغم من ذلك اجتمعوا بالشيخ مبارك وابلغوه رسالتهم فابى عليهم ما ارادوا وكتب الى سعدون باشا مع ذلك الوفد كتاباً يقول له « اني لااقبل الصلح معك ما لم تعاد الي جميع الاموال التي استوليت عليها في موقعة هدية » فعاد الوفد واخبر سعدون باشا بما شاهدوه من الاستعداد

الحربي في الكويت فايقن سعدون باشا بوقوع الخطر وان الحرب واقعية لا ريب فيها .

طلب سعدون باشا وساطة والي البصرة

عندئذ اراد سعدون باشا ان يلقي تعبة هذه الحرب الوشيكة الوقوع على عاتق الشيخ مبارك وحده . فعرض الكتاب الذي ارسله اليه الشيخ مبارك مع الوفد على (اسعد بك وكيل والي البصرة نيابة عن سليمان نظيف بك) وطلب منه التوسط بالكف عن اثارة الحرب .

فكتب (اسعد بك) الى الشيخ مبارك في شهر شعبان ١٣٢٨ هـ ١٩١٠م يرجوه الكف عن اثارة الحرب التي لا طائل تحتها غير سفك الدماء وازهاق الارواح . فاجابه الشيخ مبارك باستعداده لقبول الصلح مع سعدون باشا على ان تجرى الشروط التي ذكرها في كتابه الذي ارسله اليه مع رجال الوفد وارسل صورة من ذلك الكتاب الى احمد الصانع (الذي كان يومئذ عضواً في مجلس ادارة) لواء البصرة ليعرضه على انظار اسعد بك ويوقفه على مضمونه . فلما وقف اسعد بك على الشروط المدونة في كتاب الشيخ مبارك علم ان توسطه في مثل هذا الامر غير مجدي نفعاً فعدل عن التوسط وبقيت الحالة على ما هي عليه من التوتر لمدة ثمانية اشهر استحكمت خلالها حلقات العداء بين الطرفين وظل كل منهم يتخذ اهبته واستعداده للحرب وكان الشيخ مبارك معسكراً بجيشه في الجهرة وكان سعدون باشا واتباعه من المنتفك والظفير معسكراً في المحل المدعو (امالمدافع) وكل من الخصمين ينظر لصاحبه بعين الحقد ويترقب منه الغفلة ويتحين الفرصة للقضاء عليـــه .

وساطة اعيان البصرة

لقد ساء أعيان البصرة ان ينظروا تأزم الحالة بين الشيخ مبارك وبين سعدون باشا وعز عليهم سفك الدمام فهب بعضهم لتلافي هذا الخطر القريب

الوقوع واتفق رأيهم على تكليف والي البصرة المعين جديداً (حسين جلال بك) ليتوسط في هذا الامر فانتدبوا من بينهم احمد الصانــع ليتحدث اليــه بذلك فوجد من الوالي المذكور استعــداداً للتوسط في حسم هذا النزاع فاصدر قراراً من مجلس ادارة اللواء بايفاد احمد الصانــع لاصلاح ذات البين والتوسط بين الشيخ مبارك وبين سعدون باشا رسمياً .

فذهب احمد الصانــع اولاً لمقابلة سعدون باشا ومعه كتاب من الوالي (حسين جلال بك) فقابله في (امالمدافع) وسلم اليه ذلك الكتاب واخذ يعرض عليه الكف عن الاعتداءات ويحبب اليه الركون الى السكينة حتى اقنعه لقبول الصلح .

ثم ذهب الى الكويت للقاء الشيخ مبارك ومعه كتاب من الوالي المشار اليه بتاريخ ٢٤ محرم ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م يتضمن الرجاء من الشيخ مبارك ان يتنازل عما يدعيه على سعدون باشا وقد اصطحب احمد الصانــع في سفرته هذه الحاج احمد المنيس فقابلوا الشيخ مبارك ولاقوا منه منتهى الحفاوة والاكرام فعرضا عليه مهمتهما الى قبول رجاء الوالي واظهر استعداده لتنازل عما له على سعدون باشا .

فعادا الى البصرة يحمــلان معهما كتاباً من الشيخ مبــارك الى والي البصرة بتاريخ ٢٩ محرم ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م يتضمن قبوله الصلح مع سعدون باشا نزولاً عند رغبته كما ارسل معهما كتاباً آخراً ودياً الى سعدون باشا يرجوه فيه بأن يأذن إلى حمود بن سويط ونافع بن ضويحي بالعودة الى الكويت .

وبهذا انتهى النزاع بين سعدون باشا وبين الشيخ مبارك وعاد كل الى مقره فكافأت الدولة العثمانية احمد الصانع عــلى مسعاه ومنحته لقب (باشا) اكراماً لما قام به من الوساطة في هذا الامر وقد نظم احد الادباء ابياتاً من الشعر مؤرخاً وقوع الصلح بين الخصمين هي : —

لله في وفق النفوس شؤون ... والصلح خــير عنده مضمــون

لا ينبغي روح تحارب نفسها ... وتذيقها كــأس الفناء منــون

اذ دين طـــه للوئام والرضـــا	لا قدر المولى عليـه غبــون
سعدون حـــارب بالكويت مباركاً	والحرب طالت والزمان خؤون
فاتاهمـــا للصلح احمد صـــانع	كل صفى وبصفـــه ممنـــون
والمسلمون بفرحـــة قـــد ارخوا	عن بيت شـــعر جمعه موزون
صلح مبارك يـــا مبارك دم بـــه	فلك الامان الصلح يا سعدون

على ما يظهر ان الصلح لم يطهر الاحقاد الكامنـــة بينهما ففي اواخر شهر صفر عام ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م لما هاجم (خالد ابوشويربات) احد زعماء مطير قسماً من العشائر التابعة الى سعدون باشا واستولى على الكثير من اموالها قدم سعدون باشا شكاية الى والي البصرة (حسين جلال بك) واخرى الى ناظم باشا والي بغداد يتهم بهما الشيخ مبارك بانه هو المحرض الى ابي شويربات، على ذلك الاعتداء

فكتب ناظم باشا الى الشيخ مبارك يستوضح منه سبب ذلك الاعتداء فاجابه الشيخ مبارك بعدم علمه بذلك وانكر ان تكون له يد في هذا الامر وشرح له بان مطير هي من العشائر النجدية وان العداء بينها وبين الظفير يرجع الى امد بعيد وانه يشترك مع سعدون باشا بالشكاية عليهم لانهم قد اعتدوا ايضاً على عشائره الكويتية ويطلب من الدولة العثمانية انزال العقاب الصارم بهم وبهذا رفع الشيخ مبارك عنه هذه التهمة التي الصقها به سعدون باشا .

اما ما كان من امر الامير عبدالعزيز السعود ومن معه فقد ساءهم تحذير الشيخ مبارك الصباح حمود بن سويط منهم وعقد صلحه مع سعدون باشا دون اشتراكهم واخذ رأيهم في الموضوع فاستمروا على مواصلة سيرهم لقتال سعدون باشا فقدموا الى (جويبدة) القريبة من (الزبير) فوجدوا هناك اغناماً كثيرة تعود الى سعدون باشا فاستولوا عليها جميعاً ثم توجهوا الى صفوان فامرهم الامير عبدالعزيز السعود بان لا يعتدوا على احد

من اطراف الزبير والبصرة وكانت الدولة العثمانية قد رجت من الشيخ مبـارك ان يمكنها من عقد اجتماع مع الامير عبد العزيز السعود بعد إن فشلت جميع محاولاتها وجهودها السابقـة فاخذ الشيخ مبـارك يغدق المال بسخاء على الأمير عبدالعزيز السعود واتباعه وارسل اليه عبدالعزيز الحسن يرجوا منه الاجتماع برجال الدولة العثمانية فوافقه على عقد الاجتماع وحضر والي البصرة (حسن رضا باشا) ومعـه قسم من اهالي الزبير الى صفوان وهم يحملون الى الامير عبدالعزيز السعود الهدايا الثمينة من الدولة العثمانية ومن الاهالي ودارت بينه وبينهم مباحثات ودية استنار بها الفريقان .

وقد كلف الشيخ مبارك هذا الاجتماع نيفاً وثلاثة آلاف ليرة ذهب دفعها من كيسه الخاص .

ثم قفل الامير عبدالعزيز السعود راجعاً من صفوان الى الكويت فلما وصـل الجهرة خرج الشيخ مبـارك لاستقباله واعتذر منه عما بـدا بشأن ابن سويط دون اسهاب في التصريح فتقبل الامير عبدالعزيز السعود معذرته دون عتاب وبقي مدة في ضيافته ثم رجع الى نجـد .

وكان قبل عقد هذا الاجتماع بين والي البصرة وبين الامير عبدالعزيز السعود قد بلغ مسامع وكيل والي بغداد (يوسف باشا) خبر بعزم الامير عبدالعزيز السعود على مهاجمة سعدون باشا وعشائره فكتب الى الشيخ مبارك بتاريخ ٢ جمادي الثاني ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م مستفهماً منه عن مدى صحة هذه الاشاعات .

فكتب اليه الشيخ مبارك يقول (لقد كان ابن سعود عازماً حقاً على مهاجمة ولدي سعدون ولكني منعته عن ذلك وعن مهاجمة جميع العشائر التابعة للدولة العثمانية في تلك الربوع فامتثل وأطاع » .

تهديد قبائل المنتفق باللجوء الى الكويت

بعد ان تم الصلح بين الشيخ مبارك وسعدون باشا دارت اشاعات مفادها ان الغرض من تعيين ناظم باشا لادارة شؤون العراق هــو لاجل الاصلاح والترفيه عن الاهالي واعطاء كل ذي حق حقه فظن آل السعدون به خيراً.

فحشيت قبائل المنتفق أن آل السعدون سيكونون يداً وعوناً الى ناظم باشا فاوجسوا خفية على انفسهم من استفحال سلطة آل السعدون . وكانت قبيلة الظفير من القبائل الموالية لسعدون باشا ثم انقلبت عليه جانحة ــ لتلك الاشاعات وذلك في شهر محرم ١٣٢٩ هـ كانون الثاني ١٩١١ م عندما كان سعدون باشا مخيماً في الروضتين يحاول اعادة المياه الى مجاريها مع قبيلة الظفير تكشفت له قبيلة الظفير عن عداء سفر فارسل اليها ولده ثامر بك ليهدئها وامره في حالة عدم انقيادها ان يخفرها[1] فذهب ثامر بك الى ابن سويط رئيس قبيلة الظفير وابلغه رسالة والده فلم يعبأ بقوله فاراد ثامر بك الخفر فمنعوه ، وتبودلت بعض العيارات النارية فرجع الى ابيه بعد ان قتل احد رجاله وامرأة ظفيرية .

فلما بلغ خبر هذا الخلاف الى مسامع الامير سعود ابن عبدالعزيز الرشيد وكان يحمل غيظاً على قبيلة الظفير لانها اعتدت على قبائله وتعرضت لقوافله سابقاً واغتصبت منه ابلاً كثيرة وكان يمتنع عن تأديبها اكراماً لسعدون باشا عزم على الزحف عليها .

فلما احس ابن سويط بقدوم الامير سعود الرشيد وعلم انه سيكون عوناً لسعدون باشا عليهم شعر بحراجة الموقف فخف مسرعاً لاستقباله وطلب

---

(١) الخفر عند العرب ان يأخذ الرئيس الكبير من العشيرة العاصية بعضاً من أبلها وخيلهـــا بموجب الجرم الذي ارتكبته تأديباً لها .

منه العفو والصفح عما سلف فعفا عنه ثم طلب اليه ان يتوسط بينه وبين سعدون باشا في الصلح فلبى طلبه وارسل خاله ابن سبهان ومعه شيوخ الظفير الى سعدون باشا واقنعوه بالصفح عنهم فقبل بعد ان اشترط ان تدفع قبيلة الظفير خفراً قدره ٣٠٠ بعيراً و ٧٠ جواداً و ١٥ فرساً هدية لابن الرشيد فقبلوا بذلك وبعد اتمام الصلح رجع كل الى دياره .

ولم يكد يبتعد الامير سعود الرشيد قليلاً حتى ثارت قبيلة الظفير على سعدون باشا وتصادمت معه بقتال كثر فيه القتل من الجانبين ومن ضمن القتلى ثلاثة من عائلة السعدون وثلاثة من شيوخ الظفير وكانت هذه الوقعة بتاريخ ٢٢ ربيع الاول ١٣٢٩ هـ ٢٤ آذار ١٩١١ م في الحسينية بالقرب من شقراء .

فلما بلغت الامور هذا المبلغ كتب محمد العصيمي (احد اعيان الزبير) الى سعدون باشا بتاريخ آخر ربيع الثاني ١٣٢٩ هـ اواخر نيسان سنة ١٩١١ م يقول له (ارسل ابن اخيك يوسف بك الى انحاء الزبير لينظم الى عشيرة بني مالك ليقطع الطريق على قوافل الظفير التي اذنت لها الدولة العثمانية بالتقدوم الى الزبير) فاجاب سعدون باشا طلبه وارسل يوسف بك وخيم بمحل يبعد عن الزبير ميلاً واحداً واستولى على ثمانية اباعر من ابل الظفير ولما رأى يوسف بك كثرة الظير وان لا قبل له بمقاومتها واتمام ما انتدب له من المهمة لجأ الى قصر خالد العون في الشعيبة (احدى ضواحي الزبير) .

ثم كتب اليه محمد العصيمي ان يحاصر مدينة الزبير ويسلب وينهب كلما خرج منها من القوافل وقد فعل (محمد العصيمي ذلك انتقاماً من اهـــالي الزبير الذين استهجنوا عمله) فحاصر يوسف بك الزبير بتاريخ ٢ جمادي الاول ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م حتى انقطع السبيل بينها وبين البصرة وارتفع سعر الاطعمة ارتفاعاً فاحشاً فخاف الناس على انفسهم .

ثم تلى ذلك ان تسعة من شيوخ البدور استأمنوا من عجمي بك بن سعدون باشا على انفسهم فأمنهم فزاروه في محله فأمر بقتل سبعـــة منهم



(٤٢) احمد الصانع (راجع صفحة ٢٠٣)



(٤٣) السيد محمد رشيد رضا (صاحب مجلة المنار) (راجع صفحة ٧٠)



(٤٤) عبدالمسيح الانطاكي (صاحب مجلة العمران)
(راجع صفحة ٧٣)



(٤٥) الشيخ محمد الشنقيطي (راجع صفحة ٢٥٨)



(٤٦)   حافظ وهبه (راجع صفحة ٢٥٨)



(٤٧) السيد عمر عاصم الازميري

(راجع صفحة ٢٩٥)



(٤٨) الشيخ عبدالرحمن الابراهيم (راجع صفحة ٢٩٤)



(٤٩) ناصر المبارك الصباح

(راجع صفحة ٢٩٨)

وفدى اثنان نفسيهما بمال كثير فنجيا من القتل .

فلما سمعت قبائل المنتفق بهذا الخبر تحقق لديها ان ذلك لم يكن الا بأمر من ابيه سعدون فآلت على نفسها ان تنتقم منهمهما كلفها الامر فخلعت طاعته .

ثم كتبوا عريضتين ووقع عليهما اربعة عشر رئيساً من كبارهم بأسمائهم وانفذوا احداهما الى والي البصرة حسن رضا باشا والثانية الى والي بغداد جمال باشا وهما كما يأتي :

(من المعلوم ان الدور البائد باستبداد حمولة آل سعدون على لواء المنتفك كانت حياة عموم الرعية مستعزفة ولما تحقق لدى الحكومة جهزت جنداً كافياً فأخرجتهم الى جهة الشامية وبقوا مدة سنتين فاستراحت الاهالي وكسبت الامنية وكانت الاميرية تعطى من قبل الاهالي .

اما من مدة ثمان سنين فبواسطة اهل الغرض عبر سعدون من الشامية الى جزيرة الغراف وذلك في زمان ولاية مصطفى نوري باشا واخذ العهود عليهم لاحياء مشيخة آبائه وأجداده . والذي يمتنع ينهب ماله ويسفك دمه فصارت السلطة عليهم ولما تمكن هجم على قضاء الشطرة وقتل رهطاً من الجند وضايقها حتى اضطر الاهالي الى دفع الاموال لخلاصهم من القتل ثم ارتحل وهجم على قضاء السوق ونهب واحرق ولما تحققت معاملته لدى الحكومة ساقت الجند مع الفريق محمد باشا بعد ان استغاث اللواء وعشائره ففر الى الكويت ثم عاد بواسطة العفو وشيد قلعة المائعة ووضع فيها ما تمكن من الذخيرة ثم تسلط على العشائر واخذ يجلب رؤساءهم والذي لم يوافقه يقتله وهكذا استمرت افعاله والحكومة كانت تراها ولم تعاقبه لاطماعها فيه الى زمن الوالي السابق مخلص باشا فساق عليه الجند وامر بقلع المائعة ولما انفصل من وظيفته رجع استمر على جوره حتى بزغ الدستور وتلطف الباري علينا بالعدل فما لبث ان عاد لحالته الاولى ايضاً وجرى ما جرى منه في سفك الدماء وقتل الانفس .

ونظراً لما شاهدته العشائر من انظار حكومة المركز اخيراً واعطاء القوة

الى سعدون وولده صاروا مايوسين ومحاذرين من تسلط سعدون وولده عليهم بمعاملاته السابقة من قتل النفوس والفعل الشنيع الذي صدر من عجمي فوقعت مناوشة خفيفة بين عشائر البدور والجند وعند دخول اللواء صارت مصادمة بنفس اللواء حتّى تلفت جملة نفوس واحترقت جملة بيوت وانتهبت وترك الناس يقتلون بعضهم بعضاً فلم يصلحوا ذات بينهم ولا اخرجوا سعدون من قلعة المايعة وقد كان ذلك غاية ما تطلبه البدور من الحكومة وقد سحبوا تلغرافات الى المقامات العالية شارحين الحال طالبين اخراجه من المايعة ووضع مفرزة فيها من العساكر المظفرة لاصلاح الطرق فيها والامنية منتظرين الجواب .

فاذا لم يصدر الامر باجراء الايجاب على النظام تتحد عشائر البدور مع الظفير والشيخ مبارك الصباح وتنقل قبائل لواء المنتفك في معيته والى الآن ما حصلت النتيجة ولاصدر الامر باجرائها .

اما الظفير فقد تم اتفاقهم مع الشيخ مبارك الصباح واما عشائر البدور وقبائل لواء المنتفك ففي المخابرة والمذاكرة واذا بقي هذا الحال ولم يصدر امر باجلاء سعدون وقلعة المايعة لقطع دابر الفساد واصلاح الحال ووضع مفرزة من الحكومة في قلعة المائعة يسرى هذا الداء في عموم العراق فنلفت انظار الحكومة الى اصلاح احوال العراق وحقن دماء المسلمين وتخليصهم من يد سعدون واولاده وتعين مامورين الى اللواء خالين من الغرض محافظين حقوق الدولة والملة فيسعون الى اصلاح هذه المفاسد قبل ان تكون ولاية البصرة مرسحاً للاجانب) .

ولما تريثت الدوله العثمانية في اتخاذ الاجراءات ولم تصغ لسماع تلك الشكوة تحالفت العشائر فيما بينها على مناهضة سعدون باشا فاحتلت قلعة صغيرة من قلاعه قتل في اثناء احتلالها اثنان من رؤساء العشائر وحاصروا محله وقطعوا عنه المؤن .

فطلب سعدون باشا من الدولة العثمانية ارسال الطعام الى اهل بيته

بواسطة البواخر فاسعفت طلبه وارسلت له باخرتين من مركز الناصرية اسم الواحدة (فرات) وفيها مدفعان واسم الثانية (استيمبوط) وفيها رشاش وحملتهما بالطعام وارسلت معهما العساكر فلما علمت العشائر بذلك اطلقوا الرصاص على ذينك الباخرتين فقابلهم الجند بالمثل ودام اطلاق الرصاص من الجانبين اثنتي عشر ساعة فتبددت العشائر وتيسر للمحاصرين تسلم الطعام الذي ارسل اليهم

نهاية سعدون باشا

تحقق لتلك القبائل ان الدولة العثمانية غير متخلية عن سعدون باشا وانها تقصد حمايته والدفاع عنه وانه محتم بها في مدينة الناصرية فتجمهرت عشائر البدور وآل غزى والجوارين والعساكرة والحسينات وآل ازيرق وسائر اعراب الشامية وغيرهم وحاصروا مدينة الناصرية اشد الحصار ثم زحفوا حتى وصلوا الى منازل الصائبة في طرف المدينة الجنوبي فاحرقوا البيوت ونهبوا الأموال واستمروا بزحفهم الى ان بلغوا خان (ابوليرة) داخل امدينة الناصرية واتخذوه معقلاً .

فلما رأى الاهالي هذا المشهد ايقنوا بالهلاك فأوفدوا الى تلك القبائل وفداً من اكابرهم يسألون عما يريدون من عملهم فاجابوهم بان غرضهم كراه سعدون باشا على الخروج من الناصرية والا فانهم مصرون على نهب المدينة واتلافها وقتل من فيها جميعاً وكان الثوار قد اقاموا جماعة منهم على محل من نهر الفرات يقال له (ابوجداحة) وهو مشرف على مدينة الناصرية فاذا ما كسر سده غرقت الناصرية باسرها ولما تحقق الوفد صدق ما ينوون طلب منهم ان يمهلوهم لمدة ثلاثة ايام ليتمكنوا خلالها من اخراج سعدون باشا عن البلد فوافقوا على ذلك .

في اليوم الثاني لهذا الاتفاق قام احد اعيان الناصرية السيد زيدان ليسد منافذ الطرق والازقة فظنت تلك القبائل ان في الامر حيلة ومكيدة

مبيتة فثاروا ثورة عظيمة ونهبوا بعض المخازن والبيوت وقتلوا من الاهالي نحو ثلاثين شخصاً وقتل من الجنود عشرة انفار واما القبائل فلم يقتل منهم سوى عشرين شخصاً.

وفي اليوم الثالث اكرهت الدولة العثمانية سعدون باشا على الخروج من الناصرية فخرج بحماية آل ابراهيم واوصل الى محل ابن عمه مزيد باشا وبخروجه انتهى الحصار.

ولما استقر بسعدون باشا المكان واطمئن آل على نفسه ان يطارد قبيلة الظفير ولو بذل في ذلك دمه لاعتقاده ان سبب متاعبه كلها هي نتيجة حركات تلك القبيلة فاخذ يطاردها حتى اتى الزبير فسمع هناك بقدوم السيد طالب باشا النقيب من اسطنبول الى البصرة فاحب زيارته فكتب اليه رسالة يستوضح منه عدم وجود مانع يحول دون الزيارة فاجابه السيد طالب مرحباً بمقدمه.

فقدم سعدون باشا الى البصرة وحل ضيفاً على السيد طالب باشا النقيب وحالما علم والي البصرة (حسن رضا باشا) بدخول سعدون باشا الى البصرة ابرق برقية الى بغداد فورد اليه الجواب بالقاء القبض عليه وارساله مخفوراً الى بغداد.

فارسل الوالي المذكور آمر الدرك (قمندان الجاندرمة) الى سعدون باشا وطلب اليه ان يقابل الوالي فلبى الطلب مسرعاً فلما وصل دار الحكومة قيل له ان الوالي في العشار (محلة من محلات البصرة) «تقع على شط العرب» فركب العجلة ولما وصل العشار قيل له ان الوالي في الباخرة وما كادت اقدامه تطأ سطح الباخرة (مسعودي) الا واحاط به الجند واخبر بانه سينقل الى بغداد فوصلها بتاريخ جمادى الثاني ١٣٢٩ هـ ٢٧ تموز ١٩١١ م وانزل في دار خاصة ثم نقل منها بتاريخ رجب ١٣٢٩ هـ ٣ آب ١٩١١م الى قلعة المدفعية المطلة على نهر دجلة وفي ليلة ٢٠ آب سفر الى مدينة حلب عن طريق الموصل لمحاكمته هناك وكان يخفره ضابط وثمانون جندياً فوصل حلب في شعبان ١٣٢٩ هـ اواسط شهر ايلول ١٩١١ م واودع السجن ريثما يحاكم وظل هناك الى ان وافته منيته في اوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٩ هـ كانون اول سنة ١٩١١ م[١].

---

(١) وكان مولده عام ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م.

الشيخ مبارك والشيخ خزعل

ان اواصر الصداقة بين امراء المحمرة وامراء الكويت ترجع الى زمن بعيد ولكنها استحكمت حلقاتها وتوطدت عراها بين الشيخ مبارك والشيخ خزعل حتى بلغت درجة تفوق التصور وصارا بحكم التآخي المتين كالاخوين الشقيقين بل كالروح الواحد في جسدين . وقد اتفقا اتفاقاً محكماً في السر وفي العلانية . فما كان يوثر على احدهما كان يوثر على الآخر فان حاربا او سالما تراهما يداً واحدة . واذا ما حل احدهما في بلد الآخر انزله في داره الخاصة بحيث لا يحجبه عنه حاجب وكل منهما نافذ الامر في مملكة صاحبه وفي امواله ومقتنياته وكلمة كل منهما عند الآخر هي كلمة الفصل التي لا ترد وشفاعة احدهما عند الآخر هي المقبولة وهذا مثال حي على ذلك .

شفاعة الشيخ مبارك لمحمد اليعقوب

في عام ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م تآمر الشيخ عبود بن الشيخ عيسى وغضبان بن الشيخ سلمان (ولدي اخوي الشيخ خزعل) مع وادى (رئيس قبيلة الدريس) وسلطان وداود (رئيسى قبيلة مقدم من كعب) على انتزاع الحكم من يد الشيخ خزعل وقتله فاستطاع الشيخ خزعل كشف تلك المؤامرة والقاء القبض على المتآمرين المذكورين وزجوا في السجن ثم امر بعدئذ بسمل

عيون ولدي اخويه واما الآخرون فمكثوا في سجنهم الى ان ماتوا .

وكان سلطان متزوجاً من ابنة محمد اليعقوب الذي هو من المتهمين بتلك المؤامرة ولكنه تمكن من الفرار فقصد قبيلة بني طرف محتمياً بها .

فكتب الشيخ خزعل الى رؤساء بني طرف يطلب منهم عدم ايواء المؤما اليه فذهب محمد اليعقوب الى البصرة يطلب من يحميه ويتوسط في امره فلم يجد احداً فضاقت به الحيل فاشير عليه اذا اراد النجاة ان يلتجىء الى الكويت ويطلب الحماية من الشيخ مبارك والشفاعة له من صديقه الشيخ خزعل اذ ليس من يستطيع ذلك مع الشيخ خزعل سواه لانه الشخص الوحيد الذي لا ترد شفاعته فاسطحب محمد اليعقوب ابنته (صدمة) التي كانت يومئذ حاملاً بابنها يعقوب) وذهب الى الكويت ملتجىء الى الشيخ مبارك . فلما علم الشيخ خزعل بذلك كتب الى الشيخ مبارك كتاباً جواباً لكتابين سابقين مشبعاً بالعتب لقبوله محمد اليعقوب في الكويت هذا نصه :

« جناب صاحب السعادة الاجل الافخم الاخ شيخ مبارك باشا المحترم

الباعث لتقديم هذا الكتاب هو ان التفقد والاستفسار عن صحة وجود تلك الجناب وعن اخيكم بخير ما دمتم .

ثم مكاتب جنابك الاثنين الذين احدهم مع لارنس وصلن وجميع ما جنابك ذاكر صار معلوم الاصل سلامتك واخيك من تصير عدل ما يفرق على شيء انا بخير من تصير موجود .

ثم يا اخي من جهة محمد اليعقوب لا بد بلغك افعاله وراح الى بني طرف وعرفتهم وطردوه وايضاً بالبصرة وين ما راح مخاطر على عمره ولا احد قبله يخليه عنده ليلة واحدة وهو الذي انتشر عند جميع الناس باني مطارده وهذا ثبت وحالاً الناس يردون يسمعون بان محمد بخدمتك وجنابك تقبله انا ايش اقول للناس ولا زلت كنت اصيح بان مطرود الاخ مطرودي وايضاً مطرودي هم مطرود الاخ . ثم يا اخي انا ما اقول شيء بالذي تأمر انا مطيع ولكن لساني يقصر عند الناس فهذا شيء يعود الى رايك وراسك

شلون ما تسوى انا ما اتكدر ابداً فهو رايك المصيب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

خزعل جابـــر

فاجابه الشيخ مبارك يقوله بان قبوله لمحمد اليعقوب لم يكن الا بعد ان تحقق له نعدم المذكور وتوبته وقد عفا عنه بحسب مقتضيات الاخوية إذ لم يجد ما يحول دون ذلك لان البلدين واحدة وخزعل ومبارك وان كانا اسمين الا انهما نفس واحدة لا يفرق بينهما مفرق .

فاقر الشيخ خزعل جميع ما ابرمه الشيخ مبارك في شأن محمد اليعقوب ثم اكرمه وانعم عليـــه .

التجاء رؤساء قبيلة النصار

الى الكويت

ما زالوا رؤساء قبيلة النصار يوالون العصيان ويتمردون منذ ان تولى الحاج جابر شؤون الحكم في عربستان وكثيراً ما كانت تدور بينهم وبينه المعارك وكذلك كان الحال في عهد ولده الشيخ مزعل ولما ان تولى الشيخ خزعل زمام الامر اراد اولئك الرؤساء ان يسيروا على النهج السابق فحاول الشيخ خزعل ان يصدهم بالحسنى ويميل بهم الى العدول عن تلك الطريقة غير المجدية فدعاهم اليه ووعدهم ومناهم وطلب منهم الركون الى الهدوء والسكينة فعاهدوه على ذلك واستقام الامر بضع سنين .

ولما حل عام ١٣٢٠ ﻫ ١٩٠٣ م امتنعوا عن اداء ما عليهم من الرسوم واخذوا بالاستعداد للقيام بثورة مسلحة واعلان العصيان .

فعزم على تأديبهم والفتك بهم فتوسط الشيخ مبارك في امرهم فاجابه الشيخ خزعل الى ما اراد على شرط ان ينزحوا عن القصبة اولئك الرؤساء الى الكويت وهم جابر وحمود ولدا معلا ومحيسن بن مذخور وشائع بن

كريم وغيرهم ويدفع لهم الشيخ خزعل رواتب سنوية لمعيشتهم فوافقوا على ذلك وتركوا القبصة واستقروا في الكويت .

فاسند الشيخ خزعل ادارة شؤون القصبة الى احد اتباعه المدعو حاج سلطان (وهو حبشي الاصل) فاستقامت به الامور ورجى الشيخ خزعل من الشيخ مبارك مراقبة وضع القصبة وتوابعها .

ثم بلغه (وهو يومئذ بالاهواز) ان بعضاً من قبيلة النصار الساكنين في المعمرة يتآمرون عليه بالعصيان ويساندهم في ذلك عبدالعزيز وعبدالرحيم ولدا راشد وهما من الموالين للشيخ مبارك فكتب اليه يعاتبه على ذلك فاجابه الشيخ مبارك بالكتاب الآتي : —

بسم الله تعالى

« حضرة جناب الافخم كريم الشيم معز السلطنة سردار الارفع الاخ الشيخ خزعل خان المحترم دام بقاه

غب الافتقاد عن تلك الذاة الحميدة والاقاة السعيدة وعنا الحمد الله بحال خير المرغوب من الله دوام ذلك لكم وثانياً بابرك الاوقاة وردني كتابكم قلم يدكم المبروكة بدون تاريخ وكلما شرحتم به مع بوصلاته صار عند اخيكم معلوم . امرتم من خصوص الترتيب الى صار على المعمرة وامر توبه عبد الجميع كتب لي الحاج سلطان بوقته وودية له الجواب لا بد تسئلونه ايضاً جانا منه امس جواب ومعترض على عبدالعزيز ابن حجي راشد وبوقته كتبت خط بيومه ارسلناه عن يد سلطان الى عبدالعزيز واخيه غبدالرحيم مشترك وجعلة خطهم داخل خط الحاج سلطان وبعد اطلاعه على خطهم يودي عليهم بالمعمرة ويعطيهم الخط ولا بد عبدك سلطان يخبر دولتكم في مضمون خطهم .

وما انا يا اخي الشي، الى انت فيه انا فيه كان زين ام شين الشوفه واحدة والحال والمال واحد وهذا شيء ما فيه مظرة على اهل المعمرة وعواقبه

لهم زينة فلو اني شايف بهذا الامر مظرة كان لي الميانة كان كتبت لعبدالجميع يوخر المادة ايلا ان نراجعكم لاكن انني حسنت ذلك الى حجي سلطان واكدت عليه على اجراءه فقط انه يعرف شغله وعبدالعزيز بن حجي راشد انا كاتب لحجي سلطان من طرفه ان قاعهم لا يأخذ عليها شيء فاذا كان عبدالعزيز يعاكس بامرك فهذا ردا نصيبه امرك امري لا ينبغي منه ويجب واخير له عندي ان ينفذ امرك حتى على نفسه ويخدمك خدمة خالصة اذا ما يعمل ذلك انا ما اقبله كتبنا له يجي لخدمتكم مع رجالنا حسين المسعود ويجلب رضاكم بالخدمة والطاعة والا ما يصير له قبول عندي وهذا خادم للجميع ما هو فرد شيء فلو احد اولادي يخالف رضاك بالخدمة والطاعة ما قبلتـــه .

فنحنا الآن بالجهراء وعلى موجب تسهيل ماموريه عبدك سلطان ننحدر انشاء الله الى بلدك الكويت حتا نر له من طرفنا لاجل ترتيب شغله هذا واني اتمل دوام اعلام سلامتكم السارة معما يلزم تعرفوني بذلك ولكم المنية بتبليغ سلامنا لولدنا جاسب ومنا الاولاد يسلمون وكذلك يسلمون على اخيهم جاسب ودمتم سالمين والسلام .

١٤ لا سنة ١٣٢١ مبارك الصباح »

شفاعة الشيخ خزعل لسليمان الصباح

بالرغم من حرص الشيخ مبارك على بقاء اتفاقية عام ١٢٩٩ هـ سراً مكتوماً فقد فشا خبرها عند بعض الكويتيين وصارت تلوكها الالسن فاستنكرها قسم منهم وخشوا عاقبتها ولكن لم يستطع احد منهم التصريح بالاستنكار حيث قد علتهم موجة الارهاق وكان على رأس المستنكرين الشيخ حمود المالك الصباح فقد غاضه الامر كثيراً واخذ يندد ويوجه اللوم والخطأ الى الشيخ مبارك وينتقد سياسته . فاستاء الشيخ مبارك من ذلك اشدّ الاستياء

وحقد على حمود فخشي حمود من فتكه فترك الكويت مع ولده سلمان هارباً الى العراق وبقي هناك (في الدواسر) الى ان توفي وبعد وفاته اختلفت اولاده فيما بينهم وهم سلمان ومالك ودعيج وصباح فاخرجوا اخاهم سلمان وعائلته من الدواسر فتعسرت عليه المعيشة وضاقت به الحيل فعزم على العودة الى الكويت وطلب الى الشيخ مبارك ان يسمح له بذلك فرفض رفضاً باتاً فوسط اليه اناساً من ذوي الوجاهة والقدر فلم يوفقوا ورفضت جميع الوساطات فعميت عليه السبل ولم يجد امامه الا منفذاً واحداً وهو الطلب من الشيخ خزعل ان يتوسط لدى الشيخ مبارك فكتب اليه الكتاب الآتي :

« الى حضرة صاحب الفضيلة.والمجد والمناقب المستحسنة للشكر والحمد حضرة مولانا الاعظم معز السلطنة سردار الارفع المحترم ادامه الله تعالى للمسلمين ذخراً وزاده شرفاً وقدراً ولا زال عزيز الجانب بين العباد والمكارم والاخـــلاق .

اعرض انه تكرماً وتفضلاً من عميم احسانكم تتكرمون علينا في مكتوب الى حضرة اخيك الشيخ مبارك الصباح سبب لنا صار نظر بان ننتقل الى ارض الكويت ونريد الحماية من الله ثم من جنابكم عن التعديات من الاطراف والذي يكون في حمايتكم لا زال عزيز عند الناس وسعادتكم سيد العارفين .

هذا ما لزم عرضه لجنابكم وانتم خير الناصرين والسلام   داعيك

٢٦ شوال سنة ١٣٢٣   سلمان بن حمود

الصباح

فتشفع الشيخ خزعل لديه فقبلت فيه شفاعته وعاد الى الكويت وعفا عنه الشيخ مبارك واكرمه وادناه .

وقد دام هذا الوداد واستمرت تلك الصداقة بازدياد مستمر طيلة ايام الشيخ مبارك وقد برهنا بذلك بان الخل الوفي في هذه الدنيا ليس من المستحيل (كما يقولون) .

وقد جنى تجار الكويت ثمار تلك الصداقة واقتنوا زبدة ذلك الاتحاد

فتوسعت طرق تجارتهم في امان وانتشرت سفنهم في العراق وفي الهندبان وبندرمعشور بينما كانت فيما سبق عرضة للسلب والنهب من قبل القرصان الذين كثيراً ما كانوا يعتدون على الاموال والارواح ولم تكن محاولات الكويتيين المبذولة تجدي نفعاً ولما فشا خبر اتحاد الشيخ مبارك والشيخ خزعل كف اولئك القرصان للتعرض عن سفن الكويت خشية من غضب الشيخ خزعل

المساعدات المتبادلة بين الصديقين

(١) في عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م خرجت من البصرة سفينة كويتية محملة باموال تجارية تعود الى التاجر الكويتي الحاج حمد المنيس ولما قربت من جزيرة بوبيان هجمت عليها سفينة مسلحة مجهولة الهوية فسلبتها جميع ما كان فيها وقتل بعض رجالها .

ولما بلغ امرها الى مسامع الشيخ مبارك الصباح اسرع بالسفر من الكويت الى (القصبة) للتحقيق عن الجناة وابرق برقيته الى معتمده في البصرة (الحاج عبدالعزيز السالم) ليعرض الامر على والي البصرة (القمندان مصطفى نوري باشا) ولكن جميع هذه التشبثات لم توصله الى النتيجة المتوخاة .

وكان الشيخ خزعل في ذلك الحين بالاهواز فلما بلغه ذلك الخبر عاد الى المحمرة ليجتمع بالشيخ مبارك ويساعده في تلك المهمة فاسرع بالبحث عن الجناة حتى تمكن من معرفتهم والقبض عليهم بمدة وجيزة وساقهم امام الشيخ مبارك فانزل بهم العقاب .

ثم بعد ذلك ذهب الصديقان معاً للاستراحة والنزهة على ضفاف نهر كارون وبقيا هناك مدة شهر واحد وقد اطلق على المحل الذي قضيا نزهتهما فيه (المباركى) نسبة الى الشيخ مبارك وهو معروف بهذا الاسم الى الآن .

(٢) وفي شهر شعبان عام ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م رست في ميناء المحمرة احدى البواخر المحملة بالاموال التجارية وكان من ضمن تلك الاموال

قسم يعود الى تجار الكويت ارسلت اليهم من مسقط فاراد مدير كمرك المحمرة (البلجيكي الجنسية) ان ينزل تلك الحمولة الى البر لغرض تفتيشها ظناً منه بان فيها ما هو ممنوع المتجارة فيــه .

فابى عليه ربان الباخرة ذلك الطلب واخبره بان هذه الاموال قد حملت من مسقط الى الكويت ولا علاقة له بها واذا اصرر على طلبه هذا فانه سيعيد تلك الاموال الى مسقط فوافق مدير الكمرك عــلى ذلك وبر الربان بوعده واعيدت الاموال الى صاحبها (الكميني) في مسقط .

فاستاء الشيخ مبارك من هذا العمل استياءً بالغاً وقدم احتجاجه الى الميجر (نكس) القنصل البريطاني في الكويت وكتب الى الشيخ خزعل بالمحمرة ينبئه شدة استيائه من العمل الذي قام به مدير كمرك المحمرة (البلجيكي) .

فاسرع الشيخ خزعل الى القيام بانذار يهدد به مدير الكمرك المذكور اذا ما تعرض ثانية الى مثل هذا العمل وطلب منه القيام بتقديم معذرة الى الشيخ مبارك عما صدر منه فما كان من المدير المذكور الا ان قدم المعذرة اللازمة .

فكتب الشيخ مبارك الى الشيخ خزعل كتاباً يشكره فيه على الجهود التي بذلها في هذا الأمر وينبؤه بقبول معذرة مدير الكمرك ويطلب منه العفو عنــه .

(٣) بعد الخسارة التي انتابت الشيخ مبارك في موقعة (هدية) والحقت بجيشه الفشل عزم على ان يأثر لنفسه فاخذ يستعد لحملة اخرى فصار يجميع الجيوش ويشتري الاسلحة الحديثة وقد استنفد هذا العمل جميع ما كان لديه من الاموال فاضطر الى فرض ضرائب فادحة وزيادة في الرسوم الكمركية ارهق بها كاهل الاهلين حتى حمل هذا الامر ببعضهم على الهجرة من الكويت فعرض الشيخ خزعل عليه التصرف في جميع ما يملكه من المال والرجال والسلاح ولكن الشيخ مبارك لم يطلب منه الا ان يرسل اليــه تمور القصبة والمنيوحي

لترسل من قبله الى الهند ويجلب باثمانها الاسلحة اللازمة .

فامر الشيخ خزعل عاملة في القصبة (الحاج سلطان) بارسال جميع تلك التمور الى الكويت لتكون تحت تصرف الشيخ مبارك .

وبذلك انكشفت عـــن الشيخ مبارك تلك الأزمة الحـــادة التي كان يعانيها في امر تجهيز ذلك الجيش الجرار الذي تمكن بواسطته فيما بعد من ارغام سعدون باشا على قبول شروط الصلح التي املاها عليه .

ودامت هذه العـــادة مستمرة الى آخر حياة الشيخ مبارك فكانت ترسل جميع تلك التمور (وهي من الكثرة بمكان عظيم) الى الكويت لتباع تحت اشرافه ولينفق ما يشاء من اثمانهـــا ثم يدفع ما بقي بعد ذلك الى الشيخ خزعل وفيما يلي بعض رسائل الشيخ مبارك في هذا الموضـــوع .

« حضرة حميد المكارم والشيم عالي الهمم معز السلطنة سردار الارفع ميرنويان الاخ الشيخ خزعل خان المحترم دام بالعز والنعم

بعد اهداء السلام التام بمزيد العز والاحترام والسؤال عن تلك الذاة حميدة الصفات وعن اخيك من فضل الله في غاية الصحة والسرور بنا بجعلكم كذلك بعده تقدم لدولتكم كتابين عن يد عبدك الحاج سلطان الآمل مع هذا لديكم ودولتكم بكمال العز والصحة والسرور عبدك الحاج سلطان عرفناه يرسل لنا قبوض التمر وحالاً ارسل لنا القبوض وسياهه تفصيل وسوينا الحساب بموجب سياهه . تجدوها بطيه مقيد فيها الذي لنا والذي لدولتكم قيمته ٢٢٩٩٩ من تمر سعر ١٤ ليرة الباقي لنا من بعد ذلك ليرة ٥٠ قران ٥ وخط عبدك الحاج سلطان مع اسياهته عيناً تجدونها لفاً ان شاء الله تشرف على الجميع مسروى الخاطر ونسئل الله ان يمتعنا في حياتك وشفقتك هذا ما لزم المأمول دوام المحبة مع ابلاغ سلامنا ولدنا عبدالحميد واخوانه ومنا الاولاد جابر وسالم يسلمون وخادمك حمد يقبل اياديك وعبدالعزيز

وعبدالله الصميط يهدون السلام ولا تقاطعنا بشائر صحتكم معما يبدو من امر تقظية يد الاخوة ودمتم بحفض الباري سالمين محروسين

في ٢٥ محرم سنة ٣٣٠ مبارك الصباح

ختم »

« حضرة حميد المكارم والشيم عالي الهمم الافخم معز السلطنة سردار ارفع ميرنويان الاخ الشيخ خزعل خان المحترم دام عــزه

بعد اهداء السلام التام بمزيد العز والاحترام والسئوال عن تلك الذاة حميدة الصفاة وعن اخيك من فضل الله ودوام وجودك بخير وسرور جعلكم الله كذلك بعده في ابرك ساعة تناولت يد الاخوة مشرفيكم الكرام المبشرة عن صحة وجودكم المسعود المؤرخة ١٨ ـ ٢٠ الجاري وما ابديتم من اللطف والشفقة اوجب مزيد الشكر والثناء والدعاء لدوام وجودك وعزك متعنا الله بحياتك وطولة عمرك سنين عديدة بالصحة والعزة والسرور. اخيك من فضل الله صحتي طيبة يوم فيوم بزيادة فقط الآن معي ضعف وانشاء الله يزول مركبك مشرف اخرته عندى عزمى انشاء الله بعد ازالة الضعف اتوجه فيه لخدمتك قدر يوم ٣ ـ ٤ اشوفك وارجع لان يا اخي الخاطر مشوش ومشغول عندك ولا يستقر خاطري الا بمشاهدة طلعتك البهية الله لا يحرمنا من ذلك ويطيلي عمرك ويديم لنا شفقتك منجهة قصور حساب قيمة تمور القصبة والمنيوحي موجب السند الذي حررناه لدولتكم انشاء الله بعيد التاريخ بيو ١ ـ ٢ نوجه المبلغ لدولتكم مع خادمك ملا صالح يسلمه ويقبض سندنا الذي عندكم هذا والمأمول دوام المحبة مع ابلاغ سلامنا ولدنا جاسب واخوانه ومنا اولاد جابر وسالم يسلمون وخادمك حمد يقبل ايديك وعبدالعزيز وعبدالله السميط وكافة رفاقتك يهدون السلام ومزيد الاحترام ولا تقاطعنا بشائر صحتكم ومعما يبدو من امر تقضيه يد الأخوة

ودمتم بحفض الله سالمين محروسين

٢٥ ج ا سنة ٣٣٣ مبارك الصباح

ختم »

« حالاً يا صلكم مع خادمكم ملا صالح فاضل الحساب بموجب السند كما هو محرر بالسياهة الملفوفة بطيه ثلاثة آلاف ليرة عثمانية واثنين وثلاثين الف واربعمائة وسبعين روبية سكه منها حوالة على اغا عبدالنبي بن حاج عباس في اربعة آلاف وخمسماية ربية كسرنا الربية ١٣ – ١٠ بوقته صح عن ٢٣٨٣ ليرة قران ٩ والتفصيل بالسياهة مطابقة وجه السند ٥٨٦٥ ليرة ٣٠ قران انشاء الله تامرون في قبض المبلغ وتسلوم السند الى خادمكم ملا صالح واطال لنا الباري بقاك

ختم »

(٤) ان بعض اللصوص وقطاع الطرق قد اتخذت العشائر القاطنة في (القصبة) واطرافها من املاك الشيخ خزعل هدفاً لاعتداءاتها واستمرت في النهب والسلب حتى اقلقوا راحة السكان متخذة من نخيل الفاو مسكناً لها وملجأً تلتجىء اليه لعلمها بان الشيخ خزعل لا يتعرض لها بسوء ما دامت تقطن الاملاك العائدة الى الشيخ مبارك وتعيش مع فلاحيه. وكان الامر كما اعتقدت فلم يقدم الشيخ خزعل على اتخاذ اي شيء ضدها اكراماً واحتراماً لصديقه الشيخ مبارك الى ان انكشف امرها للشيخ مبارك فجهز حملة من الكويت الى الفاو لتتبع اثر اولئك الاشقياء ولم يدم الامر الا بضعة اسابيع حتى تمكنت قواته من القضاء عليها وتطهير تلك المنطقة منهما فاستتب الامن في تلك الربوع.

عصيان الكويتيين

في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م لما قامت الحرب العالمية الاولى واحتلت القوات البريطانيــة مدينة البصرة ٣ محرم ١٣٣٣ هـ ٢٢ تشرين ثاني ١٩١٤ م وظهر للدولة العثمانية بانها غير قادرة على الصمود امام الجيوش

البريطانية الضخمة ذات المعدات الهائلة ارادت ان ترمي آخر سهم في كنانتها فطلبت من بعض مجتهدي علماء الدين القيام بمناصرتها باعلانهم الدفاع والجهاد الديني ضد الاعداء وفعلاً فقد صدرت فتوى المجتهدين بوجوب الدفاع ، والجهاد ثم انبثت بعض رجال الدين بين العشائر يحرضونهم ويشجعونهم على الانضمام تحت راية الدولة العثمانية وقد ظهر نشاط تلك الحركات والدعايات في القسم الجنوبي من العراق بصورة جلية واضحة وعلى الاخص في اطراف البصرة بمعركة الشعيبة .

وفي شهر ربيع الثاني من هذا العام تقدمت ثلة من الجيش العثماني بقيادة محمد فاضل باشا الداغستاني يرافقها بعض رجال الدين ومعهم الشيخ عضبان البنيان (البنية) ومعه قسم من عشائره بني لام وانتشروا في اطراف الحويزة التابعة لامارة عربستان واخذوا يبثون الدعوة بين القبائل لاشعال نار الثورة فتمكنوا بدعوتهم من التأثير على قبيلة (بني طرف) فثارت معهم ثم عزموا على احتلال مدينة الاهواز القريبة من هناك .

اما الشيخ خزعل فهيأ جيشاً ليصد به تلك القوة عن الاهواز وكانت الحكومة البريطانية قد ارسلت قوة في نهر كارون لمكافحة تعلك الجيوش العثمانيـــة .

ثم تأثرت قبيلة (الباوية ربيعـــة) . بتلك الدعوة فاعلنت عصيانها على الشيخ خزعل فارسل اليها قوة بقيادة ابن اخيه الشيخ حنظل فاصطدم معها بحملة بقرب من قرية (ويس) شرقي الاهواز فدحرها

ثم تأثرت قبيلة بني كعب بدعوة اولئك الدعاة الذين انبثوا بين قبائلها يحرضونهم على القيام ضد الشيخ خزعل تتهمه بانه حليف الحكومة البريطانية ويسعى ضد الدولة الغثمانية المسلمة .

فاغتنمت قبيلة بني كعب اشتغال الشيخ خزعل بصد هجمات بني طرف وقتال (الباوية) فاعلنت عصيانها عليه في (الفلاحية) بتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م واسلمت زمام قيادتها الى احد السادة العلويين المدعو

السيد جابر السيد مشعل بعد إن التحقت بها قبائل (بندرمعشور) فاشتبكت معهم قواة الشيخ خزعل بالقتال بقيادة ولده كاسب فانتصرت عليهم .

وكان الشيخ مبارك الصباح يومئذ في المحمرة قد قدم لزيارة الشيخ خزعل وكان واقفاً على تلك الحركات جميعاً فرأى ان يقوم بمساعدة صديقه الشيخ خزعل في تلك الحالة الحرجة فكتب الى ولده جابر يطلب منه جنداً من الكويت ليشد به ازر الشيخ خزعل ويخيف بـه الثوار ويرهبهم .

وعندما تلا الشيخ جابر كتاب ابيه امتنع بعض الكويتيين عن طاعته بسبب الدعوة التي كانا ينشرانها بينهم الشيخان محمد الشنقيطي وحافظ وهبه ضد الحكومة البريطانية ويشجعانهم بعدم اطاعة اوامر الشيخ مبارك بمثل هذا الامر لانه ارتداداً عن الاسلام وقد فعلا ذلك تأثراً بفتاوى علماء الدين بالدفاع والجهاد

فاصر الشيخ جابر على تنفيذ طلب والده فقدم اليه بعض الكويتيين ومن ضمنهم قواد السفن وهم يحملون مسدسات تحت ثيابهم وقالوا له (لا نسمع لقولك ولا نطيع حتى وان امرت بقتلنا فخير لنا ان نموت على الاسلام من ان نموت على الكفر وقد جاء في الحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وانك تطلبنا لامر فيه معصية الله ولرسوله) .

فبهت الشيخ جابر عند سماعه هذا القول وتعجب من هذا التمرد الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الكويت وقد رأى من الحزم والحكمة ان لا يثير ساكناً حتى يكتب لابيه وينتظر منه الامر .

فابلغ الشيخ جابر اباه عصيان الكويتيين وعدم امتثالهم اوامره بكتاب ارسله اليه مع احدى رجاله واوصاه ان يشرح له تفصيل الامر شفوياً .
فلما وقف الشيخ مبارك على ذلك الخبر اخذته سورة من الغضب الشديد وامر بكتابة رسالة الى ولده جابر يتوعد ويتهدد بها الاشخاص المديرين لتلك الحركة وانه سينزل بهم العقاب الصارم عندما تطأ رجله ارض الكويت .

هناك شعر المدبرون لذلك العصيان بحراجة الموقف وعلموا ان امرهم قد انكشف وهذا الشيخ مبارك يتوعدهم ويتهددهم فندموا على ما فرط

منهم واخذوا يحثون الكويتيين على اجابة الطلب ويحرضونهم على طاعة الاوامر ولكن عملهم هذا لم يجد نفعاً لان الكويتيين اصروا على عدم الطاعة فاضطر اعيان الكويت الى ارسال وفد منهم لمقابلة الشيخ مبارك في المحمرة للاعتذار اليه ومن ضمنهم ابراهيم المضف .

فلما قابلوه اغلظ لهم القول واسمعهم من التأنيب القارص والكلمات القاسية الشيء الكثير ثم قال لهم من ضمن ما قال :

(ان اخي خزعل ليس في حاجة اليكم وها انكم تشاهدون باعينكم القوة الكبيرة المجتمعة لديه واني لم ارد منكم رجالاً للاشتراك بالقتال ولكني اردت سفناً لنقل ما يجب نقله من حلاله وامواله الى الكويت اذا اقتضت الضرورة فعليه ارجعوا من حيث اتيتم وبادروا بارسال ما يمكنكم من السفن باسرع ما يمكن) .

فعاد القوم الى الكويت نادمين عما بدر منهم واشتركوا مع الشيخ جابر في تجهيز بعض السفن فجهزوا ستة سفن كبيرة واركبوا فيها مائة وثمانون رجلاً وأمروها بالمرابطة أمام قصر الشيخ خزعل في (الفيلية) تنتظر الاوامر من الشيخ مبارك .

عودة الشيخ مبارك الى الكويت

تم للشيخ خزعل اخماد تلك الثورات وتغلب عليها وهدأت الاحوال واستتب الامن وقدم اليه رؤساء الثوار يطلبون العفو والصفح فعفا وصفح فاطمئن الشيخ مبارك ولم يجد بعد ذلك حاجة ماسة الى مرابطة تلك السفن فاصدر امره اليها بالعودة بعد ان بقيت مرابطة هناك مدة تقارب الشهرين .

ولما عاد الشيخ مبارك بعد ذلك الى الكويت استدعى اليه الشيخين محمد الشنقيطي وحافظ وهبة وكان حاضراً في مجلسه المعتمد السياسي البريطاني في الكويت الكولونيل (كري) فخاطبهما قائلاً :

(انا مسلم عثماني اغار على ديني وعلى دولتي ولا احب من يمسها

بسوء غير اني اتفقت مع الانكليز على امر فيه نفع لي ولبلدي ولهذا لا ارض بالطعن فيهم وان كنت لا احبهم وديني غير دينهم) .

ثم اخذ يتتبع اثار اولئك المثيرين لحركة العصيان والشغب فعاقب من عاقب وعفا عمن عفا . وفرّ من الكويت منهم من فرّ وكان من ضمن الفارين الشيخ محمد الشنقيطي فانه التحق بجيش المجاهدين المرابط في الشعيبة واشترك معهم في تلك المعركة وظل بعيداً عن الكويت .

عودة الى الاحوال السياسية

في الزبير

مرّ بنا في الجزء الاول بعض من احوال الزبير السياسة ومن تولي الأمر فيها حتى آل الامر فيها الى سليمان الزهير فنطرد من حيث افضينا .

استمرحكم سليمان الزهير على مدينة الزبير الى عام ١٢٨٩ هـ ١٨٧١ م ثم حصل تضاغن بينه وبين اهاليها فاضطر الى تركها والانتقال مع اهله الى مدينة البصرة واسندت مشيخة الزبير الى هيئة مكونة من ثلاثة اشخاص برئاسة عبدالله بن حميدان . ولكن هذه الهيئة لم تستطع السيطرة على المدينة وبقي الامر فيها فوضى .

فقرر اهالي حرمة وناصرهم على ذلك القرار عبدالله الابراهيم اخراج من تبقى من نساء آل الزهير فاخرجوهن مع حاشياتهن الى البصرة ولم يتركوا منهن الا ثريا بنت ناصر الفداغ (زوجة قاسم باشا الزهير) .

ثم عقدت اهالي حرمة الرأي على اضطهاد كل من كانت له علاقة بآل الزهير وتمادوا في غيهم وفي اثناء ذلك قدم من عدن احد التجار المدعو (فهد بن محمد آل راشد وهو من اهالي حريملة وكان فهد وكيلاً في عدن لبعض تجار البصرة ومن جملتهم آل الزهير فلما رأى ابن عمه (عبد الله بن ابراهيم) منضماً الى اهالي حرمة ضد آل الزهير اسائه ذلك فسعى

في الصلح بينه وبين سليمان الزهير فنجحت مساعيه فارسل سليمان الزهير[1] كمية كبيرة من التمر الى عبدالله الابراهيم هدية للصلح فحملت له من البصرة الى الزبير على ظهور الابل فقبلها عبدالله وانسحب من مناصرة اهالي حرمة وترك الاجتماع بهم فاوجسوا منه خيفة وعقدوا الرأي على اغتياله .

وفي عام ١٢٩١ هـ ١٨٧٣ م انتدبوا اهالي حرمة فراج بن زيد اللعبون وزيد بن شفير من (بني حسين[2]) وامروهما باغتيال عبدالله الابراهيم فذهبا اليه فوجداه في احد المساجد وقد انتهى من صلاة العشاء فاطلق زيد عليه النار فاصيب بجراح وخر مغشياً عليه فظنا انه قد قتل فهربا . وحمل عبدالله الابراهيم وادخل الى دار محمد بن موسى بن فارس .

ولما علم اهالي حرمة بعدم موته جاءوا الى دار محمد الفارس واحاطوا بها وطوقوا الباب وصمموا على اقتحامها بالقوة لقتل عبدالله المذكور . فاحتال آل فارس على تهريبه من دارهم فاصعدوه الى السطح وهرّبوه الى دار عبدالله بن محطب . ثم ارسل من هناك الى البصرة (في تلك الليلة ذاتها) وسلم الى سليمان الزهير .

ثم دخل اهالي حرمة دار محمد الفارس وفتشوها فلم يقفوا له على اثر فانصرفوا ثم علموا بعد ذلك بما قام به آل فارس في تهريبه فاجمعوا رأيهم على اخراج كل من له علاقة بآل الزهير فاخرجوا آل فارس وآل النصار وآل المشري وآل شماس وآل مطلق وكل من يلوذ بهم او ينتمي لهم في الزبير . ثم اخرجوا منها بعد ذلك كل من لم ينضم الى حزبهم .

فلما تحقق والي البصرة (اشرف باشا) ما فعله اهالي حرمة في اهالي

---

(١) بعد هذه الحادثة ترك سليمان الزهير البصرة الى الهند فمرض هناك ثم عاد الى البصرة وتوفى فيها عام ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م .

(٢) زيد كان خادماً لعبد اللطيف العون .

الزبير عقد العزم على تأديبهم فلما بلغهم ذلك وجهوا وفداً يتكون من عبداللطيف بن محمد بن عون وقوزان بن زيد اللعبون (اخو فراج) ومعهما جملة من جماعتهم الى والي البصرة لقصد تبرئة ساحتهم لديـه ولكي يزيلوا ما علق في ذهنه عنهم وتكذيب ما نقل اليـه .

ولما وصلوا الى دار الحكومة امر الوالي المذكور بالقاء القبض عليهم جميعاً وزجهم بالسجن لاجراء التحقيق ثم اصدر امره الى المنفيين من اهالي الزبير بالعودة الى مدينتهم فامتنعوا عن ذلك خشية على انفسهم . فارسل معهم صالح اغا (طابور اغاسي) ليكون مديراً لناحية الزبير . وطلب من ابراهيم العبداللطيف الزهير وعبدالله بن ابراهيم الراشد ان يصطحبا معهما جملة من اهالي البصرة من محلة الصبخة والمشراق والسراجي وقردلان - ويرافقوا صالح آغا الى الزبير .

ولما اقبلوا جميعاً على مدينة الزبير تحصن اهلها وسدوا ابواب السور واطلق القادمون الرصاص فقابلوهم بالمثل ودارت معركة بينهم دامت عدة ساعات دون ان يتفوق احد على الآخر .

هناك امرت ثريا بنت ناصر الفداغ عبداً لها يدعى (بلال الريحان) ان يجمع لها بعض من مؤيد سياسة آل الزهير ويأتي بهم الى دارها المطلة على السور فاحضر لها نحو ثلثمائة مقاتل فيهم جماعة من اهالي المجمعة تحت قيادة (عبدالمحسن بن الشيخ ابراهيم العقبي) فادخلتهم الى الدار وامرتهم بالصعود الى السطح لاطلاق الرصاص على المتحصنين في المدينة فلما دوهم المتحصنون باطلاق الرصاص من الداخل ذعروا دون ان يعلموا ماذا حدث فاضطروا الى الفرار . فذهب بلال الريحان الى السور وفتح الباب الذي من جهة البصرة فدخلوا الزبير وجعلوا يتعقبون زعماء اهل حرمـة في الشوارع ومن وجـدوه منهم قتلوه او اسروه فقتلوا تسعة اشخاص منهم جلوى ومحمد المدلج (من اهالي حرمة) ومحارب

السويد (من اهالي جلاجل) وهو من اقارب (ابراهيم المنديل) وقد القى القبض على الكثير من اهالي حرمة وزجوا بالسجن منهم عبداللطيف العون وغــيره [١]

ابراهيم العبداللطيف الزهير

تولى صالح آغا ادارة مديرية ناحية الزبير واحيلت المشيخة الى ابراهيم بن عبداللطيف الزهير وعين عبدالله بن ابراهيم الراشد معاوناً له . فبقيت الحالة مستقرة في الزبير ولم تحدث حوادث هامة الى ان ظهر رجل يدعى فيحان الشلاجة اشتهر بالبطش والاعتداء على بعض الاشخاص فخشي الناس باسه وساورهم الخوف منه ولم يستطع الشيخ ابراهيم الزهير كبح جماحه فرفع اهالي الزبير امرهم الى ولاية البصرة فتشاور الوالي مع يوسف بن قاسم باشا الزهير في الامر لانتخاب الشخص الذي يستطيع اعادة الامن والاطمئنان الى الزبير والقيام بتأديب فيحان فقر رأيهم على عبدالله بن ابراهيم بناءً على ما اشتهر به من الشجاعة والقوة والطيبة والاستقامة .

عبدالله بن ابراهيم الراشد

لما تولى الشيخ عبد الله مشيخة الزبير علا امره وتوسع نفوذه وصار يلجأ اليه في معظم الامور وكان عاقلاً عارفاً فاستقامت له امور الزبير الى ان كبر بنوه واخذوا يعيثون في البلد فضج الناس من اعمالهم ورفعوا الامر الى ابيهم الشيخ عبدالله فقرّ رأيهم على انتخاب رجل ذو غيرة واستقامة ليتولى الاشراف على تطهير البلد من الدنس والفساد فو قع الاختيار على عبدالله بن احمد بن بطاح فقام الرجل بواجبه خير قيام واخذ يكبس الدور

---

(١) بقى هؤلاء في سجنهم الى ان تولى ناصر باشا السعدون ولاية البصرة في عام ١٢٩٢ هـ ١٨٧٤ م فاطلق سراحهم .

ليلاً ويتتبع المفسدين ويضربهم بعصيهم .

فأثار عمله هذا هياج اولاد الشيخ عبدالله الابراهيم ومن لف لفهم من الشباب فاغتالوه في عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٨ م .

وبعد هذه الحادثة ضج الناس وثاروا ضد الشيخ عبدالله الابراهيم وانزلوه عن كرسي مشيخة الزبير واخرجوه منها الى البصرة مع جميع اولاده والضالعين معهم ثم ترك البصرة بعدئذ وذهب الى الكويت .

خالد العون

اسند والي البصرة (محمد انيس باشا) مشيخة الزبير الى خالد باشا العون (من اهالي حرمة) فوقف له آل ابراهيم بالمرصاد وحاولوا العودة الى الزبير عدة مرات فحال خالد باشا بينهم وبين ما يريدون فعزموا على اغتياله فقتلوه في البصرة في ٢٤ شوال ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م .

محمد بن حسين المشرى

وبعد مقتل خالد العون آلت مشيخة الزبير الى محمد بك بن حسين بن محمد باشا المشرى فشاعت الاخبار بان آل الابراهيم يحاولون دخول الزبير بالقوة فذهب محمد المشري الى البصرة ليشاور الشيخ ابراهيم الزهير فيما اذا كان في الامكان ان تساعده ولايـــة البصرة بقوة عسكرية تمكنه من صدهم حين الهجوم فوعده والي البصرة بالمساعدة ولما شعر آل الابراهيم بذلك عدلوا عما كانوا قد عزموا عليه .

الخلاف بين السيد طالب وعجمي السعدون

في شهر ربيع الثاني عام ١٣٣١ هـ مارث ١٩١٣ م قدم عجمي السعدون مع قسم من عشائره واناخ في البرجسيه التي تبعد قليلاً عن مدينة الزبير

وكاتب اهالي الزبير مهيب الهجوم على البصرة فاجابوه على كتابه بالموافقة لا سيما محمد المشري (شيخ الزبير) وابن عمه عبدالكريم بن علي ومحمد بن براك العصيمي

وعندما بلغ السيد طالب ذلك جمع اليه اعيان البصرة وتذاكر معهم بما يجب عمله فقرروا جميعاً ان يكونوا معه يداً واحدة والتطوع تحت لوائه في الدفاع عن البلد فدعا السيد طالب جميع رؤساء عشائر البصرة ليقدموا اليه فقدم اليه منهم الشيخ سالم بن حسن الخيون (رئيس عشائر بني اسد) وحمود الامير (رئيس عشيرة الصيامر آل سعد في المدينة) وكباشي السعدوشلال الصويلح (رئيسى عشيرة آل سعد الساكنين في النهيرات ومزيرعة والشرش) وحسن (رئيس عشيرة الحلاف الساكنين بقرب الدير) واحمد الراشد وحمد الموسى (رؤساء عشائر الهارثة) وشياع (رئيس عشيرة الحلاف الساكنين في النشوة) وجياد بن عبدالله (رئيس عشيرة مياح) وجرى بن جادر الرباط (رئيس عشيرة الكطارنة) واسماعيل الناصح وناصر بن شرى الطعمة (من رؤساء عشيرة العيدان) وسليمان الكنعان (رئيس عشيرة بني تميم في شط العرب) ومجيد وحاج سلطان وحاج طاهر آل حميد (رؤساء عشيرة العطب) .

واجتمع هؤلاء جميعاً في دار السيد طالب مع بعض اتباعهم البالغ عددهم زهاء الف رجل فتذاكر معهم بخصوص ما ينويه عجمي السعدون فتعاقدوا معه للدفاع عن البصرة وحمايتها .

ولما علم عبدالكريم المشري بما قام به السيد طالب من الاستعداد فر من الزبير الى البصرة وطلب من السيد طالب الانضمام الى جانبه فعفا عنه وقربه منه .

وفي ٢٥ جمادي الاول تعين علاءالدين بك الحمصي والياً على البصرة واسندت امرية حامية البصرة الى فريد بك . وكان علاءالدين ميالاً

بسياسته الى جانب السيد طالب ومحباً للسلام والاطمئنان كما كان امر الحامية فريد بك يؤيد عجمي السعدون ومن معه من اهالي الزبير وكانت سياسة تفضل الشدة والبطش .

وما لبث ان انسحب الشيخ سالم بن حسن الخيون من مشايعة السيد طالب بأمر من الزعيم الديني السيد ناصر السيد عبد الصمد فترك البصرة والتحق بعجمي السعدون فطلب والي البصرة من السيد طالب الركون الى الهدوء والسكينة وترك الاحقاد فاطاعه ورجا من رؤساء القبائل العودة الى مراكزهم .

وفي اول شهر رجب رجع رؤساء العشائر كل الى محله وبعد رجوعهم غزا الشيخ حمود الامير (رئيس عشيرة الصيامر) الغبيشية بمائتين زورق (مشحوف) تحمل زهاء الف مقاتل وكانت في الغبيشية اموال لعجمي السعدون فنهبها جميعها وقتل خمسة من رجال عجمي السعدون . ولما علم عجمي بهذه الحادثة قدم احتجاجاً الى والي البصرة يتهم السيد طالب بالتحريض على ذلك الفعل . وارتحل من البرجسية ونزل في الشعيبة في قصر السيد هاشم النقيب (لقرب الشعيبة من مدينة الزبير) وصار يهدد اهالي البصرة بالغارات .

وفي ١٤ رجب طلب فريد بك من عجمي السعدون ان يرسل اخاه حمد بك مع مائتي مقاتل الى البصرة فقدم حمد الى البصرة ونزل في محلة السيمر ومعه الشيخ سالم الخيون يصحبه بعض ابناء عشيرته .

ولما علم عبدالله الفالح وابراهيم المزعل السعدون بمقدم حمد قدما هما ايضاً الى البصرة لمناصرة السيد طالب النقيب لشد ازره ضد ابن عمهما عجمي السعدون وخشي السيد طالب ان يبطش حمد باهالي البصرة فارسل الى اهالي قرى حمدان والسبيليات وابي مغيرة ليوافوه بالرجال فقدم اليه منهم ما يزيد على الف مقاتل وبقي هؤلاء محافظين البصرة . وكانت البصرة يومئذ في اشد حالات القلق والخوف وخشي الناس على ارواحهم واموالهم

ثم تحقق للسيد طالب ان الذي ينفخ في بوق هـــذه الفتنة هو آمر الحامية فريد بك فعزم على التخلص منه فدبر الامر لاغتياله .

وفي ١٥ رجب عند صلاة المغرب ليلة السبت هجم بعض رجال السيد طالب ببنادقهم على فريد بك عندما نهض من الزورق ليطلع على السلم في الشريعة المقابلة لمحل البهرة في العشار فاردوه قتيلاً في الحال وقتلوا معه بديع نوري متصرف لواء الناصرية ولاذوا بالفرار في بساتين النخيل المجاورة .

واتهم بقتله الشيخ سالم الخيون فاضطر الى ترك البصرة هو وحمد السعدون وتوجها تواً الى عجمي واخبراه بما جرى . فجدد عجمي عهده مع اهالي الزبير وقرروا مهاجمة البصرة ونهبها وقتل اعدائهم منها اي (السيد طالب واتباعه) .

ولما علم والي البصرة بذلك امر بحشد اربعمائة جندي الى خارج مدينة البصرة وتعبئتهم في باب الزبير كما ارسل مائة جندي للمرابطة في جسر الغربان ومائة جندي في محلة الحكاكة للسيطرة على الطرق ومنع من يريد الاعتداء على مدينة البصرة .

وبعدما علم عجمي السعدون بما قام به والي البصرة من الاستعدادات خشي مغبة الامر فاوعز الى محمد العصيمي بالذهاب الى مقابلة السيد طالب ليفاوضه في الصلح فخاف محمد العصيمي من فتك السيد طالب فتعهد عبدالكريم الفهد السعدون بحمايته وفي ٢٨ رجب طلب محمد العصيمي الى السيد طالب العفو لنفسه والسماح فعفا عنه وسامحه ثم فاوضه بالصلح مع عجمي السعدون فوافق السيد طالب على ذلك واشترط ان يرسل عجمي الى الدولة العثمانية برقية يظهر بها ندمه فتقبل عجمي هذا الشرط وابرق برقية عنونها الى الصدر الاعظم واعطى صورة منها الى وزارة الداخلية ولجمعية الاتحاد والترقي والى ولاية بغداد هذه صورتها .

« بناء على سماعي بالاحوال التي جرت بالبصرة وقد اسندت الى السيد طالب بك النقيب وبوقته تقدمت الى الولاية بصورة الفدائي لاجل الذود عن الوطن وقد سبقت في معروضاتي لدولتكم بحق المشار اليه والحالة هذه

وجدنا السماع غير صحيح بل هو خادماً للحكومة محافظ لحقوق الملة والوطن وشرف العرب وجميع موظفي الحكومة المحلية شاكرين خدماته فنحن لاجل ذلك اصطلحنا معه وبادرنا للرجوع الى محلنا افندم .   رئيس عشيرة المنتفق

في ٢٨ رجب ١٣٣١   عجمي المنصور »

وبهذا تم الصلح بين الطرفين وعاد عجمي السعدون الى محله وهدئت الاحوال قليلاً وفي شهر صفر عام ١٣٣٢ ه تنازل محمد المشري عن مشيخة الزبير لعبدالمحسن الزهير ولكن الامر لم يستقم لعبدالمحسن فعاد محمد المشري الى المشيخة ثانية في شهر ربيع الاول من هذا العام .

وفي ٦ ربيع الثاني تولى سليمان شفيق ولاية البصرة وبعد ذلك بقليل ترك السيد طالب البصرة ذاهباً الى الكويت بزيارة خاصة الى الشيخ مبارك فدارت اشاعات مفادها ان سياسة الدولة العثمانية قد انحرفت عن السيد طالب وانها لا شك ستسعى في القضاء على نفوذه فاوعز عجمي السعدون الى اخيه حمد بك بالذهاب الى البصرة وفي الخامس من شهر جمادي الآخرة قدم حمد بك الى البصرة ونزل في دار عبدالوهاب القرطاس فظن اهالي البصرة انه لا يرمي من وراء مجيئه سوى مقابلة الوالي وسيعود بعد ذلك ولكنهم شاهدوا ان بعض رجاله قد اخذوا يتواردوا الى البصرة باستمرار حتى اجتمع لديه ما يزيد على الاربعين رجلاً خلال ثلاثة ايام فقدموا طلباً الى والي البصرة يأمر بأخراجه عن البصرة خشية من وقوع الفتنة .

وفي اثناء ذلك عاد السيد طالب من الكويت ونزل في المحمرة ووافته اخبار حمد بك فارسل الى والي البصرة (سليمان شفيق) يطلب منه اخراج حمد بك من البصرة والا فسيشعلها ناراً تحرق الاخضر واليابس

عندئذ اصدر الوالي امره الى مدير الشرطة وقائد الدرك والطابور اغاسي بالذهاب الى دار عبدالوهاب القرطاس للايعاز الى حمد بك بترك البصرة حالاً فطلب حمد بك ان يمهلوه الى الغد فلم يجيبوه على طلبه وكان الاهلون

قد احاطوا بدار عبدالوهاب القرطاس وطوقوها من كل اطرافها لقصد الفتك بحمد اذا ابى الخروج فاخرج حمد بك وعبدالله الزهير ومحمد بك ابن علي كاظم الموصلي من البصرة الى الزبير وذلك في ١٠ جمادي الاولى .

وبعد اخراج حمد بك عاد السيد طالب الى البصرة واخذ يراقب تلك الحركات بكل جد وانتباه . وفي منتصف ليلة الثلاثاء لسبع يقين من شهر رجب عام ١٣٣٢ هـ عزمت عصابة من اهالي الزبير تحت قيادة حمد بك وحمود بن مطلق الحمود السعدون مهاجمة البصرة والاستيلاء على مخفر باب الزبير وما ان اقتربت من ذلك المخفر حتى اطلقت على حاميته بعض الطلقات النارية فقابلهم حفاظ المخفر بالمثل واضطروهم الى العودة بعد ان قتلوا منهم ثلاثة نفرات واصيب مثلهم بجراح . وفي اليوم الثاني اصدر والي البصرة امره الى سليمان افندي بالذهاب الى الزبير لاجراء التحقيق واكتشاف مقر اولئك المعتدين فعاد سليمان المذكور واخبر الوالي بتحصن المذكورين في مدينة الزبير . وفي مساء الاربعاء ارسلت ثلة من الجند الى الزبير بقيادة قدري بك يصحبها اولاد عبدالله الابراهيم ومعهم قسم من اتباعهم فاصطدموا معهم بمعركة صغيرة فاضطر حمد بك واتباعه على ترك مدينة الزبير والسير الى كويبدة فاحتلتها قوات الحكومة .

وفي صبـــاح اليوم التالي هجم حمد بك ومحمـــد العصيمي بقسم كبير من اتباعهم عـــلى القوات المحتلة للزبير فقتلوا منهم نيفاً وعشرون رجلاً واستولوا على قسم من مدافعهم الخفيفة ثم اجمع الجيش قواته وتصادم معهم فلاذوا بالفرار وعلى رأسهم حمد بك ومحمد العصيمي ومحمد المشرى (شيخ الزبير) والتحقوا بمعسكر عجمي السعدون فابلغ خبر هذا الانتصار الى الوالي سليمان شفيق فتوجه هو والسيد طالب لزيارة الزبير لغرض الاشراف على الحالة فيها واصطحبا معهما قسماً من اشراف واعيان البصرة من ضمنهم الحاج طه السلمان والحاج محمود العبدالواحد وابراهيم العبدالله وعبدالكريم المشرى ومعهم مقدار من رجال العشائر المسلحين .

فاوعز السيد طالب الى بعض اتباعه بنهب دار محمد العصيمي ودار علي باشا الزهير وعبدالمحسن الزهير والشيخ ابراهيم (مفتي مدينة الزبير) فاغتنم عبدالكريم المشرى هذه الفرصة وامر بنهب اسواق المدينة ودور آل المشرى وعلى اثر ذلك اعلنت الاحكام العرفية في مدينة الزبير والقى القبض على مرسال العبد وحسين العون واحمد الدبيجل والشيخ ابراهيم مفتي مدينة الزبير (لانه افتى بالجهاد ضد الدولة العثمانية) واحمد بن حاج على الفريح مع ولده وجملة رجال غيرهم وزجوا في السجن .

الشيخ ابراهيم العبد الله الراشد

وفي صباح الجمعة عاد الوالي والسيد طالب ومن معهم الى البصرة بعد ان اسندت مشيخة الزبير الى الشيخ ابراهيم العبدالله فاعلن العفو عن جميع الاهالي المشتركين بتلك الحركات ولم يستثني من هذا العفو الا محمد بك وعلي المشري وحمد السعدون ومحمد العصيمي .

التجاء محمد المشرى الى الكويت

عندئذالتجأ محمد المشري واخوه علي الى الكويت طالبين حماية الشيخ مبارك فرحب بهما وآمنهما ووعدهما خيراً. وطمأنهما بانه سيقابل السيد طالب ووالي البصرة ويتشفع في امرهما ويزيل الخلاف عندما تهدأ الحال وتستقر الامور ولم يتأتى للشيخ مبارك الظرف المناسب ليشفع لهما بسبب نشوب الحرب العالمة الاولى وترك السيد طالب البصرة الى نجد فاستقرا في الكويت وطابت لهما بها الدار

نقابة الاشراف

نقابة الاشراف تتعلق باشراف المسلمين وهم آل الرسول وذلك ان آل الرسول كانوا في اوائل الاسلام محفوظي الحرمة لقرب عهدهم بزمن النبوة فكانوا يقيمون رئيساً منهم يتولى امورهم ويحفظ انسابهم ويدون مواليدهم ووفياتهم وينزههم عن المكاسب الدنيئة والمهن الوضيعة ويمنعهم عن ارتكاب المآثم ويطالب بحقوقهم في سهم ذوى القربى من الفيء والغنيمة او الخمس ويقسمه بينهم ويمنع الايامي منهم من الزواج الا من الاكفاء وغير ذلك مما يشبه الوصاية العامـــة .

وكانت نقابة الاشراف من المناصب السامية ولها الشأن الاول في الشرف بعد الخلافـــة .

وكان الخلفاء يكتبون للنقباء الاشراف عهوداً تدل على جلالة قدرهم ورفعة منزلتهم وكانوا كثيراً ما يعهدون اليهم بامارة الحج وديوان المظالم وما الى ذلك من الامور السامية ، والاعمال الجليلة .

وما زالت الدول الاسلامية تحترم نقابة الاشراف في كل ادوار تاريخها ولما تولت الدولة العثمانية لم تقلل من احترام منصب نقابة الاشراف فقد جعلت للنقيب المقام السامي في التشريفات الرسمية وقدمته على سائر رجال الدولة حتى على الصدارة ومشيخة الاسلام ثم تعددت نقابة الاشراف بان يقام في اكثر من بلد من البلدان نقيب بحسب مقتضى الحاجة لذلك البلد .

آل النقيب في البصرة

وآل النقيب في البصرة ينتسبون الى آل النقيب الذين في مندلي والجميع يرجعون في نسبهم الى السيد احمد الرفاعي المكنى (بابى العلمين) من سلالة الامام الحسين بن علي وكان لهم نفوذ كبير في البصرة ولكنه مقصور على النقابة وحدها دون ان يزجوا انفسهم في ميدان السياسة او المناصب الحكومية في الغالب .

الشيخ مبارك والسيد طالب النقيب

ان العلاقات بين آل الصباح وآل النقيب لم تكن وليدة عصر الشيخ مبارك بل كانت متوطدة بالود منذ زمن بعيد . بالنظر لما لآل النقيب من المنزلة الدينية والاجتماعية السامية في البصرة .

وقد اختار قسم منهم الاقامة في الكويت ولم يتوقف آل النقيب عن القيام بالتوسط في حسم النزعات ورفع الاختلافات التي كثيراً ما كانت تحدث بين امراء العرب بعضهم مع بعض او بينهم وبين ولاة الدولة العثمانية في البصرة وغيرها ويحل اكثرها بالصلح والسلام او بشكل مرضي لدى الطرفين بفضل وساطة آل النقيب وبما لهم من المقام المرموق والاحترام في النفوس

ولما عزم السيد محمد سعيد النقيب السفر الى بغداد في عام ١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م لزيارة الوزير مدحت باشا اصطحب معه الشيخ مبارك الصباح وكانت سنه يومئذ ستة وعشرون عاماً ليوثق علاقة الصباح بالوزير مدحت باشا .

وبالرغم من كل ما تقدم عن آل النقيب في البصرة فلم يزج احد منهم نفسه في ميدان السياسة او يطرق بابها او يحاول منافسة الولاة بصورة مكشوفة ظاهرة واضحة سوا السيد طالب النقيب الذي لم يكد يلج حومة الميدان السياسي حتى سطع ضوءه وعلا في الافق نجمه ففاق الكثيرين في هذا المضمار



(٥٠) حمد المبارك الصباح (راجع صفحة ٢٨٨)



(٥١) سالم الحمود الصباح



(٥٢) سليمان الحمود الصباح (راجع صفحة ٢٣٤)

وقد كان السيد طالب باشا النقيب ذا شخصية متعاظمة قوية تزينها رقة الشمائل والوقـــار والاتزان والهيبة والاحـــترام لينــاً وقت اللين شديداً في وقت الشدة حسن الفطنة وافر الذكاء كريماً سخياً (بالرغم من عدم ثرائه) وكثيراً ما الجأته الاحوال لتمشية مصالحه الى ابتزاز المال من بعض أثرياء البصرة الخاملين .

ولم يكن يتورع عن الاقدام على اخطر المجازفات في سبيل تحقيق غايته ولا يصده عنها شيء . وكان يلتزم اصدقاءه وحلفاءه ويخلص لهم الى اعلى درجات الاخلاص ويبطش بخصومه ومناوئيه بدون تساهل ولا رحمة مهما كانت منزلتهم من العلو والمنعة .

وعلى هذا فقد قويت علاقاته الودية بشيخي الكويت والمحمرة (الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل المرداو) فلم تنقطع بينهم الصلات وتبادل الهدايا واستمرار المراسلة فكانا يشدان ازره في نضاله ضد اعـــدائه ومناوئيه ويمدانه بالمال والسلاح .

فخشيت الدولة العثمانية اخيراً خطره فعزمت بان تقضي على نفوذه في البصرة وتكسر حدة جماحه ورأت ان ذلك لا يتم على يد الولاة السابقين وان الضرورة تحتم عليها ان تسند ولاية البصرة لوالي قوي الشكيمة ومن ذوي الخبرة والجد فوقع اختيارها على سليمان شفيق باشا كمالي وارسلته الى البصرة وارسلت معه عدداً كبيراً من الجند واوصته بالاهتمام بشأن السيد طالب طالب وبالقضاء على نفوذه ولو ادى ذلك الى قتله .

فترك سليمان شفيق اسطنبول وتوجه الى البصرة على ظهر الباخرة الروسية (ساراتون) .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الاثنين الموافق • ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م وصلت الباخرة الى قضاء الفاو ورست بجانب الباخرة الحربية العثمانية (مرمريس) (التي كانت قد ابحرت من البصرة قبل ثلاثة ايام لاستقبال الوالي الجديد) ريثما صعد المستقبلون وهم بهاء بك رئيس اركان

حرب وسامي بك متصرف الاحساء سابقاً ونامق بك قائد الدرك وبعد ذلك واصلت الباخرة الروسية سيرها واقتفت أثرها الباخرة (مرمريس) ورستاً الباخرتان في ميناء المحمرة حيث كان في انتظارهما الشيخ مبارك والشيخ خزعل والسيد طالب باشا النقيب ومعهم جمع غفير من اعيان ووجوه البصرة (في اليخت مشرف) فصعد على ظهر باخرة الوالي السيد طالب ومن ورائه جميع المستقبلين ولم يتأخر عن الصعود الا الشيخ مبارك والشيخ خزعل لكثرة المستقبلين .

وكان سليمان شفيق واقفاً على بداية سلم الباخرة بانتظار المستقبلين وبعد ذلك نزل الوالي والسيد طالب ومن معهما الى (اليخت مشرف) وتقابل مع الشيخ مبارك والشيخ خزعل ومنها انتقلوا الى قصر الشيخ خزعل في (الفيليّة) . وكان قد حضر في ذلك القصر جم كبير من اعيان ووجوه البصرة فاقيمت حفلة كبرى شيقة وكان اكثر الحاضرين يومئذ يرتدون (العباءة) فاظهر الوالي استحسانه اليها فاهداه الشيخ خزعل عباءة فاخرة فارتداها فوق بزته الرسمية وفي صباح اليوم الثاني سافر الوالي المذكور لاستلام مهام منصبه في البصرة .

ومنذ هذه المقابلة توطدت علاقات الصداقة بين سليمان شفيق والسيد طالب فعدل عن تنفيذ ما انتدب له واطمأن الشيخ مبارك لذلك فعاد الى الكويت .

اقتراح لعقد مؤتمر عربي في الكويت

في سنة ١٣٣١ هـ منتصف شهر تشرين ثاني ١٩١٣ م ساءت الاحوال بين العرب وبين الاتحاديين فاقترح عقد مؤتمر عربي في الكويت في بداية عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م للنظر في شؤون العرب وحل مشاكلهم وكان في النية ان يكون بين وفود هذا المؤتمر ممثل عن الشريف حسين (الذي كان يتبادل الرسائل مع السيد طالب) ويحضره الامير عبدالعزيز السعود والامير سعود الرشيد وعجمي باشا السعدون والشيخ مبارك والشيخ خزعل والسيد

طالب النقيب للقيام بثورة عربية لطرد — الاتراك من بلادهم . ولكن الامير عبدالعزيز السعود اعتذر عن الحضور لعدم تأهبه يومئذ للنهوض واخبرهم انه سينهض عندما يحين الوقت المناسب وعلى هذا تأجل انعقاد ذلك المؤتمر .

السيد طالب باشا في الكويت

ولما اشتركت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ ٢٨ تشرين اول ١٩١٤ م وعزمت الحكومة البريطانية على التأهب للحملة على البصرة . احكمت علاقاتها بالشيخ مبارك الصباح وطلبت اليه مفاوضة السيد طالب باشا للانضمام الى جانبها ففاوضه الشيخ مبارك بذلك فاشترط السيد طالب باشا شروطاً كثيرة لم توافق الحكومة البريطانية على قبولها ففشلت تلك المفاوضات .

ثم تلتها مفاوضات اخرى ولكنها لم تثمر ايضاً الثمر المطلوب وبقي الحال على ما هو عليه حتى عزم السيد طالب باشا النقيب على ترك البصرة الى نجد لمفاوضة الامير عبدالعزيز السعود بانضمامه الى جانب الدولة العثمانية فسافر من البصرة في يوم ١٥ ذي الحجة عام ١٣٣٢ هـ ٥ تشرين ثاني عام ١٩١٤ م ولما علم الشيخ مبارك بذلك ارسل ولده جابر مع الكثير من اعيان الكويت الى الجهرة لاستقبا له بحفاوة كبرى فوصل موكبه الى الجهرة بتاريخ ١٧ ذي الحجة عام ١٣٣٢ هـ ٧ تشرين ثاني ١٩١٤ م فاستقبله جابر واعيان الكويت ورحبوا به اجمل الترحيب وساروا معه الى الكويت وكان الشيخ مبارك في انتظاره هناك فاستقبله استقبالاً ودياً وانزله في قصره .

وفي مساء ذلك اليوم زاره المقيم السياسي البريطاني في الكويت كرنل كري وفي صباح ١٨ ذي الحجة ٨ تشرين ثاني اجتمع الشيخ مبارك والمقيم السياسي البريطاني في الكويت بالسيد طالب باشا وتداولوا معه الحديث باستعداد الحكومة

البريطانية للتفاهم معه على الشروط التي يريدها فأبى ذلك .

وفي ١٩ ذي الحجة ٩ تشرين ثاني اختلى الشيخ مبارك بالسيد طالب باشا في مجلس سري وتداول معه في هذا الموضوع وطال بينهما الجدال وحاول الشيخ مبارك الصباح اقناعه بشتى الوسائل فلم يقتنع واصر على الرفض فاغلظ الشيخ مبارك اليه القول ومما قال له : « انت مجنون يا طالب تعرض عليك الحكومة البريطانية أستعدادها لما تريد بدون مقابل فترفض انت ذلك بدون سبب معلوم . والله لان بقيت مصراً على رأيك فسأمنعك من مغادرة الكويت »

فأهاج هذا الكلام غضب السيد طالب باشا وعلا صياحه قائلاً « اسمحلي يا مبارك لقد كنت قبل اليوم ادعوك عمي اما الآن فأقول لك يا مبارك . ان حاولت منعي من مغادرة الكويت فسأقتلك واقتل نفسي من بعدك » فلم يجد الشيخ مبارك من المناسب بعد هذا الكلام ان يزيد في هياج السيد طالب باشا وفضل ترك البحث الى وقت آخر . ثم تناولا الغداء على مائدة واحدة وذهب الشيخ مبارك الى داره للقيلولة فاغتنم السيد طالب باشا فرصة غيابه فترك الكويت في ظهر ذلك اليوم الى نجد

عودة السيد طالب باشا الى الكويت

ذهب السيد طالب باشا الى نجد وقابل الامير عبدالعزيز السعود وفاوضه في مهمته وسايره الامير عبدالعزيز السعود ووعده بالمسير الى نصرة الدولة العثمانية ولكنه تباطيء بالسير ثم وردتهم الاخبار باحتلال الجيوش البريطانية البصرة وانسحاب الدولة العثمانية عنها .

فضاقت بالسيد طالب السبل وحار في امره لا يدري ماذا يجب ان يعمل وردت اخبار حيرته الى الشيخ مبارك الصباح فراجع في شأنه المعتمد السياسي البريطاني في الكويت فاقترح المعتمد السياسي ان يستسلم السيد طالب الى الحكومة البريطانية ويطلب منها السفر الى الهند فكتب الشيخ مبارك الى السيد

طالب باشا ليستحصل على كتاب من الامير عبدالعزيز السعود الى السر برسي كاكس يتضمن (طلب الشفاعة له وان يتعهد به بان السيد طالب باشا سوف لا يقوم بأي عمل ضد الحكومة البريطانية) فارسل الامير عبدالعزيز كتاباً الى السر برسي كاكس بهذا المضمون فعاد السيد طالب باشا الى الكويت ينتظر ما ستقرره الحكومة البريطانية في امره.

فكتب الشيخ مبارك الى الشيخ خزعل يشرح له اخبار السيد طالب باشا بموجب المرفق الآتي :ـ

ملحق أول

(اخي متعنا الله بحياتك

البيك عدم سفره مضرة عليه وفي هذه الحالة هو في عين الخطر سفره زين ويبريه عند الشماليين بدون ان يجري لهم فائدة يجيب خط من الذي هو ملفي عليه اعذار الشرجيين يستسمحهم انه ما يعمل امر ضد رضاهم هذا ان حصل منهم احسان الظن والا الامر على البيك ضروري . حنا حد امكاننا ندور الحالة الذي تحفظه والله هو الحافظ لا بد بعد يوم يومين يجي الجواب من المعلوم الله يقسم ما به خير .

يا اخي احوال مكدرة وحنا دخولنا بالشبهة والله المعين الساتر وانشاء الله بسلامتك ما يكون الا الخير انشاء الله وانا ولله يأخي متعبني اشتغال خاطرك والبيك مثبت انهم جالبين غضبان ومعه من عشائر الشمال فاذا تحققت عندكم ذلك عرفني انا اجيك ما اقدر اصبر)

ملحق ثاني

(طول الله عمرك

حالاً وصل مركب فالتوه فيه تلغراف الذي عندنا راح للمركب يخابر رئيس الشرجيين بخصوص البيك ولا بد يجبله الجواب)

ثم قررت الحكومة البريطانية ارسال السيد طالب باشا الى الهند منفياً سياسياً فارسلت لهذا الغرض احدى بواخرها الى الكويت لتحمله الى منفاه وفي يوم ١٩ صفر ١٣٣٢ هـ ٩ كانون ثاني ١٩١٥م ابحرت تلك الباخرة من سواحل الكويت وهي تحمل على ظهرها السيد طالب الى منفاه

الخلاف بين الشيخ مبارك

وبين تجار اللؤلؤ بالكويت

بعد معركة هدية ضاعف الشيخ مبارك الضرائب على تجار الكويت بغية الحصول على المال الذي كان ينقصه لشراء الاسلحة ليقوي بها الجيش الذي عزم على سوقه — لقتال سعدون باشا فتثاقل بعض التجار عن دفع تلك الضرائب الفادحة وعلى الاخص تجار اللؤلؤ .

فلما احس الشيخ مبارك بتثاقلهم عن دفع تلك الضرائب عزم على معاكستهم وعدم ابداء المساعدة اللازمة اليهم فاصدر امره في عام ١٩٢٩ هـ ١٩١١ م بمنع الغواصين من الخروج للغوص لغرض التجنيد العام

فاجتمع رأي تجار اللؤلؤ على مقابلة الشيخ مبارك ومفاوضته ليوقفوه على مدى الضرر الذي سيلحق بهم من عدم السماح الى الغواصين بالذهاب الى . الغوص وان من الغوص وحده منبع ثروة الكويت وتجارها .

فلما حضروا عنده استنتج بذكائه وفراسته ما كانوا يقصدون فلم يشأ ان يفسح مجالاً لمفاوضته فابدى لهم الاشمئزاز وامر ان ان يقدم لهم ماء بارداً وقال لهم (اشربوا لتطفوا نار غضبكم) قال ذلك بلهجة التهكم والاستهزاء ففت كلامه هذا في عضدهم ولم يروا مجالاً ليعرضوا عليه الامر الذي قدموا من اجله خوفاً من التعقد وزيادة الاشكال .

فاخذوا يتلطفون اليه بالقول ويسترضونه لكي يزيلوا عن ذهنه ما قد

سمعه عنهم واظهروا استعدادهم للقيام بجميع الاوامر التي يريدها منهم .
ولكن الشيخ مبارك صارحهم بحقيقة الامر الذي قدموا من اجله بقوله لهم :
« انني في الحقيقة لم امنع الغواصين من الخروج معكم في هذا العام الا للمصلحة العامة وانكم جميعاً تعلمون بان الخطر محدق بنا وان العدو على الابواب ونحن بلا جدال بحاجة ماسة لنظهر امامه بمظهر القوة والنشاط ولا اخالكم تنكرون ان منعي لخروج الغواصين من الكويت فيه ما يرهب العدو ويخيفه .)

فتظاهر القوم بالتصديق على كلامه وابدوا الرضاء والاستحسان وعادوا من حيث اتوا مستسلمين للأمر الواقع وكل منهم ينظر في وجه صاحبه وقد اعترته حالة من الوجوم والصمت .

ثم اخذوا بعد ذلك يتداولون فيما بينهم ويتشاورون لعلهم يهتدون الى طريقة يتمكنون بها من التوصل الى رضاء الشيخ مبارك للسماح بخروج الغواصين فاخذوا يسرعون بدفع الضرائب المفروضة عليهم بسخاء .

وقد علم الشيخ مبارك بعد هذا ان جميع التجار قد خضعوا لأمره الا ثلاثة منهم وهم هلال المطيرى وشملان بن علي وابراهيم بن مضف وهلال اعظم الثلاثة مخالفة وعناداً فغضب الشيخ مبارك من ذلك . واسرها لهم في نفسه وعزم على تهديدهم بشدة فحضر اولئك الثلاثة في احد الايام بمجلسه العام مع من حضر من التجار اما هو فلم يخرج الى المجلس بل ارسل احد رجاله ليأمر اولئك التجار الثلاثة بالبقاء في انتظاره وصرف الآخرين فخرج الجميع الا النفر الثلاثة فأشار عليهم شملان بالانصراف لكي لا ينولهم من الشيخ مبارك ما يكرهون فلم يصغوا اليه فتركهم وخرج وحده وبعد مدة وجيزة قدم اليهم الشيخ مبارك فلما استقر به المجلس وجه نظره الى هلال المطيرى وخاطبه بلهجة الغضب قائلاً

« هلال لا ينبغي بمن هو مثلك ان يشمخ بانفه ويتظاهر بالكبرياء والعظمة من انت ومن تكون اذ لست الا رجلاً من احقر رجال مطير واحد اسافلها

جئت الى الكويت فقيراً معدماً لا تملك من حطام الدنيا شيئاً فاقمت تحت ظلنا ورعيناك بحمايتنا حتى صرت الآن من اكبر المثرين في الكويت افيجدر بك وهذه سابقتك ان تتمرد وتظهر العصيان على من أواك ونصرك واصبحت بفضله من عيون البلد »

ثم توجه بنظره الى ابراهيم المضف وخاطبه بلهجة الازدراء والاحتقار قائلاً :

« وانت يا ابراهيم هل تظن انك من رؤوس (بني هاجر) وزعمائهم حتى يبدر منك ما بدر وما انت من عشيرتك الا من احطها بيتاً وارذلها منزلة ومن اذنابها واسافلها .

انسيت اذ كان ابوك فيما سبق خادماً لدى علي بن يوسف فكيف سولت لك نفسك العصيان وعدم اطاعة اوامري » .

ثم توعدهم وهددهم بالفتك اذا لم يعــدلوا عما هم عليه من التمرد والعصيان .

اما شملان فندم على تركه المجلس وخشي غضب الشيخ مبارك فعاد الى المجلس مسرعاً غير انه لم يلاق ما لاقاه صاحباه لان ثورة غضب الشيخ مبارك كانت قد هدأت .

ثم اذن لهم بالخروج فانصرفوا وفرائصهم ترتعد من شدة الخوف والوجل ثم اجمعوا امرهم بينهم سراً على الهجرة من الكويت ليأمنوا على انفسهم وبعد مدة قصيرة زاروا الشيخ مبارك وطلبوا منه الاذن بالذهاب الى الغوص كالعادة فاذن لهم فخرجوا من الكويت .

ولما انتهى موسم الغوص وآن اوان العودة اظهروا الى من كان قد خرج معهم بانهم لا ينوون الرجوع الى الكويت فمن يشاء البقاء معهم فعلى الرحب والسعة ومن شاء العودة الى الكويت فاليه الخيار فبقي قسم معهم وفضل القسم الآخر العودة الى وطنهم .

فاختار شملان بن علي بن سيف واخوه حسين وابراهيم بن مضف

السكني في جنة[1] فكتب شملان الى الشيخ قاسم بن ثاني امير قطر يخبره بنزولهم هناك فاجابه الشيخ قاسم بالكتاب الآتي : —

بسم الله الرحمن الرحيم

« الى جناب الاحشم الاشيم الافخم الولد المكرم شملان بن علي بن سيف المحترم سلمه الله تعالى وابقاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام والسؤال عن حالكم واحوالنا بحمد الله تسركم كتابكم المكرم وسرنا سلامتكم وكامل شرحكم صار معلوم ولا تزالون دايم على البال والله المطلع انه ما اهمكم واحسابكم انه كان علينا بل اعظم وان همنا لهم ازيد من هم انفسنا .

وتراحنا لكم على مرد اليد في جميع حالات الدنيا ولا عنكم امر مذخور في كل حال ولا تقطعون عنا اخباركم لانه ما يسركم يسرنا وليبلغ السلام الاخ حسين والاولاد ومنا الاولاد يسلمون والسلام

١٠ شعبان سنة ١٣٢٨

قاسم بن محمد
الثاني »

اما هلال بن فجحان المطيري فذهب بمن معه الى البحرين وعندما علمت الحكومة البريطانية بمقدمه طلب المعتمد السياسي البريطاني في البحرين والمعتمد السياسي البريطاني في الكويت (الذي كان قادماً بزيارة الى البحرين) مقابلته مقابلة سرية فقابلاه ورحبا بمقدمه ووعداه باسم حكومتهم باجراء المساعدة اللازمة فكتب الى جماعته في جنه يخبرهم بهذا الأمر ويطمئنهم .

بعد ما علم الشيخ مبارك بهجرة القوم وتصميمهم على البقاء خارج الكويت اسف اسفاً شديداً فطلب الى ناصر البدر وحسين بن علي وفارس الوقيان الذهاب الى البحرين لاسترضاء هلال ورفقاه وكتب اليهم يرجوهم العودة الى وطنهم وتناسي ما جرى في الماضي .

---

(١) جنة تابعة للاحساء وتسكنها جماعة من بني خالد تسمى العماير .

فذهبوا اليهم وعرضوا عليهم الرجوع الى الكويت فلم يلبوا طلبهم فعادوا الى الكويت واخبروا الشيخ مبارك بذلك .

فأمر الشيخ مبارك ولده الشيخ سالم بالذهاب لاسترضائهم وارسل معه حسين بن علي وامره بالذهاب اولاً الى (جنة) لملاقاة شملان بن علي ورفقاه وهم راشد ابورسلي واحمد المناعى واخوانه وسعد اخو ناهض وصالح المسباح وارسل معه كتاباً الى شملان بن علي هذه صورته : —

« جناب الأجل الاعجد الافخم الولد شملان بن علي ابن سيف المحترم دام بقـــاه

بعد السلام والسئوال عن خاطركم وعنا بحمد الله في خير وسرور جعلكم الله كذلك

بعده يا شملان يا ولدي الذي ثابت عندي واتيقنه ولا فيه شك انه واخوك احسين اللآزمي ولكل امر يرضيني ويسر خاطري تبذلون حلالكم ومالكم من بعده ولا عندي في ذلك شك هذا الثابت عندي واعرف واتيقن انك ما تقبل هالفواية[1] الى الآن تبلغنا وانك ما تقبل في كل امر يخل بامرى واسمى ويفرح العدو ومفاهيت[2] ما هي زينة اولاً ارسلنا أحسين الله يحفظ الجميع مع فارس الوقيان منطرفنا الى جماعتنا الذين ما اشوف سبب يوجب لذلك وهو واجب منهم هكذا وانت ايضاً اعرف انك انشاء الله ما ترضا في هاالفايهة دون العمل وانا ابو الجميع لي الميانة[3] ازيد وادب وآمر وانها ومع هذا شفقتي الله مطلع على الجميع ثبتة عندكم فاذا شفقتى ثبته عندكم تزيل عن الخواطر كلما ازيد وآمر وانها فانت بارك الله فيك جيتني ورأيتني على الحال السابق بل ازيد شفقة للجميع واما انت وحسين محسوبين مثل جابر وخوانه

---

(١) اشاعـــة .

(٢) مفاهيت جمع فايهة اشاعة .

(٣) كلمة فارسية معناها الوساطة والمقصود بها هنا الكلمة النافذة .

عندي وانا ايضاً ما استنكرت منك شيء فقط الحوالة لكن من حسن ظني ما استنكرت لان انشاء الله ما عندي فيكم شبهة ولا اظن فيكم الا الجميل واولاً شرة عليك اذا حصل نصيب تبيع بالبحرين فاذا ما جازلك السوق تسافر وانشاء الله موفق للخير فالان اذا انا ابو وشفيق وانة ولد تعلى وتسافر الى الكويت وحسين وناصر وفارس يواجهون الجماعة ويجون معهم سوى انشاء الله وانت ايضاً تكتب مع حسين وناصر خط للجماعة هذا الذي انا اراه وامر به وانة انشاء الله تساعد لامرى ولكما يرضيني وسمعنا انك تباركت[1] بالجزيرة انشاءالله مباركهذا ما لزم سلامنا على الجماعة ابراهيم وهلال وباقي الجماعة ومنا اخيك أولد جابر واخوانه يسلمون

٢٤ شعبان سنة ١٣٢٨ مبارك الصباح »

ختم

فذهب سالم الى (جنـة) حسب وصية والـده واظهر لتلك الجماعة اسف والده الشديد لترك الكويت والتمس منهم غض النظر عن الماضي فاظهروا الاقتناع لقوله الا شملان بن علي فانه طلب امهاله الى ان يستطلع رأي هلال المطيري .

فاستحسن سالم هـذا الرأي وتركهم الى البحرين لمقابلة هلال ورفقاه فقابل هلال بمحضر من الشيخ عيسى امير البحرين وفاوضه في العودة الى الكويت فاشترط هلال شروطـاً لذلك لم يسع سالم البت بهـا فاجلت المفاوضات والبت في تلك الشروط الى عودة سالم الى الكويت وعرضها على والـده .

فعاد سالم الى الكويت وعـاد معه قسم كبير من المهاجرين عدا هلال وبعض جماعته فعرضت شروط هلال على الشيخ مبارك فلام ولده على عدم

(١) تباركت من البركة والمقصود هنا الزواج .

التسليم بها وامره ان يكتب الى هلال بالحال يعلمه بتبول جميع تلك الشروط .

وفي اثناء ذلك وردت رسالة من هــلال الى جــابر المبارك يهبه فيها جميع ما يملكه في الكويت من ابل وخيل واغنام ويخبره بانه سوف لا يعود ثانية الى الكويت . بعد ان هاجر منها ويعتب فيها على الشيخ مبارك لاصغائه لكلام المغرضين ووشاية الواشين ويطلب ان تسفر اليه عائلته الى البحرين .

فلما وقف الشيخ مبارك الصباح على مضمون تلك الرسالة لم يستحسن ما جاء فيها ولم يرق له ما ذكره هلال اما سفر عائلته فلم يعارض فيه بل اذن لهم بالسفر.

ولكن بعض رجالات الكويت اظهروا الى الشيخ مبارك ضرورة عودة هلال الى الكويت لان البلد تنتفع منه سنوياً مبالغ جسيمة بما يبذله من السلفات والمساعدات . للضعفاء والمحوجين هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هجرة هلال من الكويت قد تفتح باباً للآخرين لترك الكويت وفي ذلك ما فيه من الخطر على الكويت واضعافها .

تحقق لدى الشيخ مبارك صدق النصيحة ورجحان القول فعزم على الذهاب بنفسه الى البحرين لحل تلك المشكلة ولما آن اوان خروج اخل الكويت الى الغوص . اظهر عزمة على زيارة الشيخ عيسى آل خليفة في البحرين واصطحب معه في تلك السفرة كل من شملان بن علي وابراهيم المضف صديقي هلال في هجرته فسافر في يخته الخاص (مشرف) وحل ضيفاً على الشيخ عيسى امير البحرين ثم طلب مقابلة هلال المطير فقدم الى لقياه وحضر ذلك المجلس الشيخ عيسى وبعض اولاده وبعض تجار البحرين والكويت فعتب هلال على الشيخ مبارك عتاباً طويلاً وبالرغم من ذلك العتاب تمكن الشيخ مبارك من استرضائه بمعسول الكلام ووعده انه سيلاقي في الكويت كل التجلة والاحترام فعاد هلال الى الكويت وانتهت هذه المشكلة بالحسنى .

حوادث اخرى متفرقة

حماية الشيخ مبارك لسفينة الاسلحة

كان بعض تجار الكويت يتعاطون تجارة الاسلحة يجلبونها من مسقط وفي عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م كانت احدى السفن الكويتية العائدة الى محمد صادق (معرفي) وكان ربانها يدعى عباح ابوالنخي قد شحنت كمية كبيرة من الاسلحة تعود للثلاثة من تجار الاسلحة في الكويت وهم علي نقي بن محمد كراشي ومحمد باقر وحاج مشتاق وفي أثناء عزمها على ترك مسقط صدر امر من الحكومة البريطانية (بعد اتفاقها مع الحكومة الفرنسية على عدم المتاجرة بالاسلحة) لمنع تجارة الاسلحة فانتشرت قوات بحرية بريطانية في الخليج العربي لمنع السفن التي تحمل الاسلحة . وعندما علم ربان تلك السفينة بالامر عزم على الذهاب الى الكويت مهما كلفه الامر . وكانت احدى البواخر البريطانية تراقب سفينته وتنتظر خروجها من ميناء مسقط للاستيلاء على ما كان فيها من السلاح

فاغتنم ربان تلك السفينة غفلة من تلك الباخرة فأطلق لسفينته العنان فغادرت الميناء وبعد مدة وجيزة من مغادرتها علمت تلك الباخرة فتبعتها ولكنها اختفت عن انظارها فصارت تلك الباخرة تبحث عنها في منعطفات الخليج فتحقق لديها انها قد دخلت احدى المناطق البحرية التي تقارب السواحل وكانت تلك المنطقة يكتنفها بعض الجبال وليس لها الا مخرجاً واحداً وكان الوقت قد قارب المساء فرست تلك الباخرة بالقرب من ذلك المخرج لتقطع على تلك السفينة طريق النجاة .

فلما علم ربان السفينة بما دبرته له الباخرة البريطانية رفع مصباحاً على

سارية سفينته وقبيل الفجر أمر بحارته بجمع ما لديهم من الحطب (وكان اكثره من سعف النخيل) وربط بعضها البعض بالحبال ورماها بالبحر ثم رفع عليها سارية صغيرة وجعل مصباحاً على رأس تلك السارية ليوهم الباخرة البريطانية بانه لا زال راسياً هناك. ثم خرج خلسة من ذلك المحل ولما اصبح الصباح تحقق لدى ربان وبحارة الباخرة ان السفينة قد خدعتهم فتعقبوها فلم يهتدوا لها على أثر فظنوا انها لا بد قد قصدت الكويت وستكون تحت قبضتهم متى شاؤوا.

اما ربان السفينة فحال وصوله الكويت راجع محمد صادق فذهب الاثنان معاً الى مقابلة الشيخ مبارك واعلماه بما حصل وكان ذلك عند المساء.

فاصدر الشيخ مبارك امره حالاً الى احدى خدمه المدعو محبوب ابو صلبوخ (الذي كانت وظيفته مراقبة شؤون الميناً) كما اصدر امره الى امان بن ربيعة مدير كمرك الكويت للاسراع بتفريغ جميع حمولة تلك السفينة من السلاح وارساله الى داره وامر تجار الاسلحة الثلاثة المذكورين بالذهاب الى دار حاج جراغ الحداد لكي لا يشعر احد بمقدمهم ويخبر ربان الباخرة. ثم أمر بسحب تلك السفينة الى اعلا الشاطىء وامر باطلائها بالزيت ليوقن من يراها انها منذ مدة في التصليح جرى كل ذلك ليلاً

ولما اصبح الصبح وقدم ربان الباخرة ليخبر الشيخ مبارك بمهمته انكر الشيخ مبارك علمه بذلك ورغب اليه بان يجري تفتيشاً من قبله للوقوف على أثر تلك السفينة فجاب الربان جميع شواطىء مدينة الكويت فلم يقف على اثر لتلك السفينة فتعجب لهذا الامر غاية العجب وانثنى راجعاً.

وبهذا تمكن الشيخ مبارك من انقاذ تلك السفينة مع حمولتا ثم تفاوض مع اولئك التجار للاسلحة الثلاث واشترى منهم جميع تلك الاسلحة.

زواج الشيخين حمد المبارك وعبد الله السالم

في عام ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨م عزم الشيخ مبارك ان يزوج ولده حمد وحفيده عبدالله السالم فاقام لذلك احتفالاً فخماً في الكويت وجلب الاجواق الموسيقية والمغنين من العراق واستدعى من مصر الحاج محمود حمدى المولاوى المعروف

(بالمغنى المصري) مع فرقته الموسيقية .

وبدأت حفلات الزواج بتاريخ (٢٥) ربيع الاول ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م دعى اليها الشيخ خزعل وفي مساء يوم الخميس ١٤ ربيع الثاني جرى زفاف الشيخ حمد وفي مساء يوم الاحد ١٧ ربيع الثاني زف الشيخ عبدالله وفي ٢١ منه ترك الشيخ خزعل الكويت بعد ان دعا الشيخ مبارك والعريسين لزيارة المحمرة وفي ثاني جمادي الاول قدم الكويت الشيخان بطي وخشون ولدا راشد من كبار شيوخ عمان .

وفي العاشر من شهر جمادى الاولى سافر الشيخ مبارك من الكويت الى المحمرة واصطحب معه الشيخين الموما اليهما واولاده سالم وحمد وناصر وحفيده عبدالله السالم والكثير من حاشيته واصطحب معه المغني المصري مع فرقته الموسيقية فاستؤنفت الافراح بالمحمرة من جديد ودعى اليها معظم وجوه البصرة . والقي في هذه الاحتفالات كثير من القصائد من قبل بعض الشعراء المعروفين في ذلك العهد . وبعد ذلك عاد الشيخ مبارك الى الكويت شاكراً مسروراً .

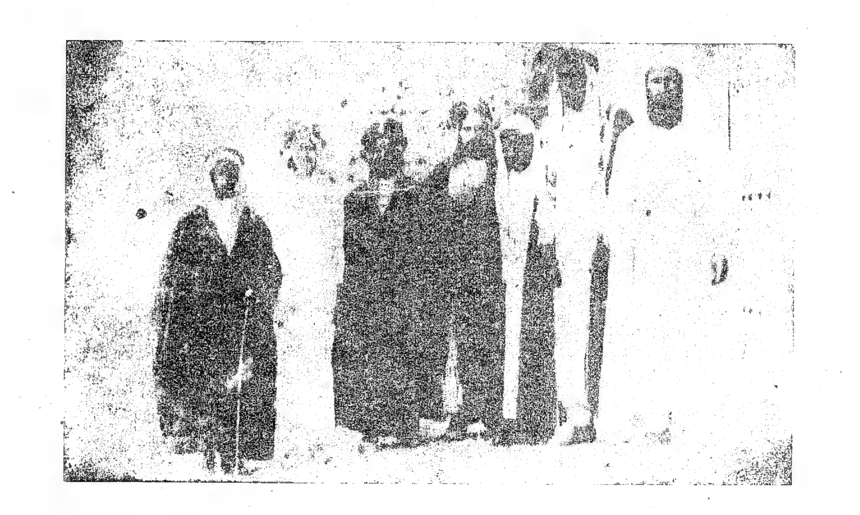
مقتل عبد العزيز الرواف

في عام ١٣٢٧ هـ ١٩١١ م كان احد التجار من بلدة بريدة المدعو عبد العزيز الرواف متوجهاً من مدينة الزبير الى الكويت وبالقرب من قرية الجهرة هجم عليه خمسة وعشرون رجلاً من البدو فقتلوه ومن معه واستولوا على جميع ما كان لديه من الاموال (التي قدرت بعشرة آلاف ريال) .

فلما بلغ الشيخ مبارك خبر هذه المجزرة امر بتعقيب الجناة فألقى القبض على ثلاثة منهم ومعهم قسم من الاموال المنهوبة واتوا بهم اليه فأمر بحبسهم وابقى الاموال عنده ثم ارسل ثمانين رجلاً من اتباعه لملاحقة بقية المجرمين ثم أمر بتعين اربعين رجلاً لحراسة الطريق التي بين الزبير والكويت .



(٥٣) هيئة تدريس (المدرسة المباركية) (راجع صفحة ٢٩٥)



(٥٤) (هيئة تدريس المدرسة المباركية) (راجع صفحة ٢٩٥)

مؤامرة صقر الغانم

في عام ١٣٢٩ هـ ١٩١٢ م كان الشيخ مبارك قد خرج من الكويت الى الجهرة فجاءه شخص يدعى (سعد الدخيمي) واخبره بأن هناك مؤامرة تحاك بين صقر الغانم (قائد جيوشه البرية) وبين اولا اخويه الذين في البصرة لقتله وقتل ولديه جابر وسالم وسيقدم الكويت شخص من قبيلة مطير يحمل معه رسالة سرية الى صقر الغانم تتضمن الاشارة الى تدبير تلك المؤامرة.

فاصدر الشيخ مبارك امره الى اتباعه بان يحضروا امامه كل قادم من البصرة عن طريق البر للقيام بتفتيشه بين يديه تفتيشاً دقيقاً فورد شخص من البدو فاشتبه في امره وجرى تفتيشه امام الشيخ مبارك بادق ما يمكن فلم يعثر على شيء معه وبالرغم من ذلك التفتيش الدقيق جزم الشيخ مبارك بان هذا الشخص هو الشخص المرسل الى صقر الغانم فأمر باعادة تفتيشه ثم امره بخلع نعله وعند فتحها عثر فيها على رسالة تبين منها بعض الاشارات التي تؤدي الى وجود مؤامرة فاحتفظ بها وامر بسجن ذلك الرجل وعاد مسرعاً الى الكويت ليتعرف الامر بنفسه ولم يبحث ذلك مع احد.

ثم وردته اخبار سرية من مدينة الزبير تفيد بان رجالاً سيقدمون الكويت من الزبير بصفة تجار أغنام يحملون معهم كتاباً معنون الى صقر الغانم يتضمن رموزاً حول تلك المؤامرة كما يوجد معهم اسلحة وعتاد فترقبهم الشيخ مبارك وعند وصلهم الى الكويت عثر على ما كان لديهم طبقاً لما اخبر به فزجهم بالسجن ثم اصدر امره الى علي الخليفة بالذهاب الى دار صقر الغانم والقاء القبض عليه.

فذهب علي الخليفة مسرعاً الى دار صقر فوجده جالساً وولده غانم في حجره (وكان يومئذ طفلاً) فاخبره بوجوب حضوره امام الشيخ مبارك بصورة مستعجلة فاستمهله حتى يسلم الطفل الى امه فلم يمهله.

وقدم به الى الشيخ مبارك فعاتبه الشيخ مبارك عتاباً مراً ثم أمر بزجه في

السجن وبعد مدة اطلق سراحه بعد ان سمل عينيه .

مطالبة الشيخ مبارك لقاسم الابراهيم

كان الشيخ عبدالرحمن الابراهيم من احد تجار اللؤلؤ في بومبي وكان الكثير من تجار الكويت يتعاملون معه وفي سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٢ م خسرت تجارته فأصابته من جراء ذلك أضرار مالية جسيمة (فانكسر) وكانت بذمته ديون كثيرة لتجار الكويت ومن ضمن اولئك التجار خالد الحمد فقد كان له بذمة المومى اليه مبلغاً يقارب الستمائة الف روبية .

ولما علم خالد المذكور ما اصيب به الشيخ عبدالرحمن ايقن بانه لا يستطيع الحصول على ذلك المبلغ فراجع الشيخ مبارك بذلك فهون عليه الامر واوعده باستحصال ماله في ذمة الشيخ عبدالرحمن .

فدارت مخابرات بين الشيخ مبارك وبين قاسم الابراهيم (ابن عم الشيخ عبدالرحمن) كان آخرها رسالة من قاسم الى الشيخ مبارك يقول له فيها (انه غير مسؤول عن ديون عبدالرحمن) فاجابه الشيخ مبارك برسالة يقول له فيها (انه سيضع يده على كافة نخيل آل الابراهيم التي في الدورة) .

فاضطرب قاسم لذلك وعلم ان الشيخ مبارك لا بد فاعل لما يقول فعزم على زيارة الكويت وجلب معه هدايا ثمينة الى الشيخ مبارك من ضمنها (عصا ثمينة من عصي السلطان عبدالحميد وسيارة جديدة) فاحتفى به الشيخ مبارك كما احتفى به تجار الكويت فخشي الشيخ مبارك ان يؤثر قاسم على اولئك التجار عما يخص ديونهم ويتنازلوا عنها فلم يسمح لاحد منهم ان يدعوه في داره او يتصل به بدون حضوره .

فعلم قاسم الابراهيم ان لا فائدة ترتجى من المحاولات فاتفق مع الشيخ مبارك ان تسدد تلك الديون بأقساط سنوية واستمرت الاقساط تدفع الى ان توفي الشيخ مبارك وبموته توقف الدفع

مقتل سيف الرومي

في صيف عام ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م خرج سيف الرومي في سفينته الخاصة من الكويت بقصد شراء اللآليء من الغواصين في عرض البحر وكانت بحارة سفينته كلهم من الصومال البريطاني الاطباخها فقد كان عراقياً من بغداد ولما قاربت تلك السفينة نواحي الجبيل تآمر البحارة الصوماليون على قتله والاستيلاء على امواله وكان الوقت قد قارب العشاء فهجم عليه رئيس الصوماليين حاملاً بندقية وكان سيف مستلقياً على ظهره فاطلق الصومالي عليه الرصاص فأصابه باسفل ظهره فالقى سيف ومن كان معه انفسهم في البحر ولما وصلوا الى قرب الساحل وافته المنية فدفنوه هناك .

اما اولئك الصوماليون فبعد ان خلت لهم السفينة من ركابها هموا بقتل الطباخ الا انه توسل اليهم فاطلقوا سراحه ووضعوه على خشبة ورموه في البحر فتقاذفته الامواج حتى اوصلته الى سواحل البحرين فذهب تواً الى دار الاعتماد البريطانية واخبر بتفصيل تلك الحادثة فارسلت سفينة حربية للبحث عن اولئك الجناة .

اما الشيخ مبارك فلما وقف على الخبر اهتم له اهتماماً زائداً واتصل بدار الاعتماد البريطانية في الكويت وطلب اليها التفتيش عن المجرمين .

ولم يكن اهتمام اهالي الكويت بهذه الحادثة بأقل من اهتمام الشيخ مبارك فقد قرر بعضهم ان يأخذ على عاتقه شخصياً البحث عن اولئك المجرمين فسافر عيسى القطامي ومعه ابنه عبدالوهاب بسفينة شراعية للبحث في سواحل ايران اما عبدالعزيز القطامي ويوسف بن حسين وابن عثمان فقد زودهم المعتمد السياسي البريطاني في الكويت برسائل بناءً على طلب الشيخ مبارك توصي بمساعدتهم فذهبوا الى لنجة بإحدى البواخر ولما وصلوها نزل عبدالعزيز القطامي الى المدينة يتجول بأحثاً عن اولئك الجناة ومعه رسالة المعتمد البريطاني في الكويت وبقي يوسف ومعه ابن عثمان على ظهر الباخرة يراقبان المسافرين

وبينما هما كذلك ابصرا باحـــد الصوماليين فمسكه يوسف ثم جاء الآخر فمسكه ايضاً ثم مسك الثالث وظل ينتظر كبيرهم القاتل. فجاء وعليه لباس جديد فلما رآه يوسف القى بنفسه عليه واشتبك معه بصراع فاستطاع يوسف بمساعدة ابن عثمان من ربطه بحبل وهناك تداخل ربان الباخرة وهم ان يطلق سراحه لو لم يخبروه بوصية المعتمد البريطاني في الكويت فاتصل بدار الاعتماد البريطاني في لنجة فارسل المعتمد البريطاني زورقاً فيه ثلة من البوليس لتسلم الصوماليين ثم ارسلهم الى الكويت في احدى البواخر ورافقهم يوسف وابن عثمان .

كان الشيخ مبارك حين وصول اولئك الصوماليين الى الكويت في المحمرة بزيارة الى الشيخ خزعل فطلبت عائلة سيف الى الشيخ جابر المبارك قتل اولئك المجرمين فهم الشيخ جابر بقتلهم فاعترض المعتمد السياسي البريطاني على ذلك فتوقف عن القتل فذهب شملان بن علي الى المحمرة لمقابلة الشيخ مبارك واخبره بوجوب قتلهم فوعده متى ما رجع الى الكويت ولما عاد نفذ في ثلاثة منهم حكم الاعدام في محلة المرقاب وعفا على الرابع لعدم إدانته فكان اعدامهم رمياً بالرصاص وعلى ملأ من الناس ودفنوا في احدى القلبان هناك

شؤون الكويت العامة

في عصر الشيخ مبارك

(١) شؤون الادارة والحكم

كانت الادارة والحكم في عصر الشيخ مبارك بسيطة للغاية ليس فيها اي شيء من التعقيد تجري على حالة بدائية فكان الشيخ مبارك هو الشخص الوحيد الذي ترفع اليه الشكاوى واليه ترجع الاحكام وعليه المعول في ضمان العدل . فهو الحاكم المطلق في جميع الشؤون ، فاذا اشكل عليه امر ما احاله الى بعض علماء الدين وما يحكم به ذلك العالم الديني على نهج الشرع الاسلامي ينفذ .

وأما المسائل التجارية وما ينجم عنها احياناً من الخلاف فيحكم فيها الشيخ مبارك برأيه فاذا استعصى عليه الحل اودعها الى واحد او اثنين او ثلاثة من التجار ذوى الخبرة فما يقررونه فهو القول الفصل .

اما المسائل البسيطة العارضة فقد كان للشيخ مبارك امير على السوق يفصل في القضايا الصغيرة ولاسيما ما يتعلق منها بالبدو وتشبه وظيفته وظيفة مدير الشرطة .

(٢) شؤون المعارف والتعليم

لم تكن للكويت نهضة علمية في عصور امراء الكويت السابقين للشيخ مبارك اذ كان التعليم فيها مقتصر على بعض الكتاتيب التي تقوم بتعليم القرآن الكريم وبعض مبادىء الكتابة .

وقد بدأت نهضتها في عصر الشيخ مبارك واول ما بدأت به هذه النهضة على الاسس العصرية هي انشاء المدرسة المباركية في ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م وانشاء هذه المدرسة كان بجهود الاهلين اذ قام بعضهم بتشجيع من الشيخ مبارك فجمع من اجل ذلك التبرعات وكان مجموع ما تبرع به الأهلون ستة عشر الف روبية وما تبرع به الشيخ مبارك خمسة الآف روبية ثم تبرع قاسم الابراهيم بثلاثين الف روبية وتبرع ابن عمه عبد الرحمن الابراهيم بعشرين الف روبية . فتوفر بذلك المال فعين لها المدرسين وخصصت لهم الرواتب واسندت نظارتها الى العلامة السيد عمر عاصم الازميري وكان من المعلمين الاول فيها الشيخ يوسف القناعي والشيخ حافظ وهبة . والشيخ عبد العزيز الرشيد وعثمان العبد اللطيف العثمان وغيرهم

(٣) شؤون الصحة والأعمال الخيرية

ترجع فكرة تأسيس اول مستوصف طبي في الكويت (في عصر الشيخ مبارك) ويمكن القول بان تلك الفكرة لم تخرج الى حيز العمل الا في سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م عندما تأسست (الجمعية الخيرية) فهي اول من نادى بتلك الفكرة واخرجها الى حيز الوجود . وكان الغرض من انشاء الجمعية هو ارسال طلاب العلوم الى خارج الكويت وفتح مكتبة عامة وتوزيع الماء على الفقراء وتكفين أموات المسلمين الفقراء والغرباء وجلب محدّث يعظ الناس لارشادهم والاتيان بطبيب وصيدلي لمعالجة الفقراء مجـاناً .

وقد شد ازر الجمعية ما تبرع به المحسنون واشهر من تبرع لها هو

الشيخ مبارك الذي امدها بمبلغ خمسة الآف روبية وقد اتى لها بالادوية عندئذ اتت الجمعية بطبيب تركي من البصرة يدعى (اسعد بك) وظلت الجمعية قائمة باعمالها الخيرية الى ان قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م حيث امر الشيخ مبارك الطبيب اسعد بك بمغادرة الكويت (لاسباب سياسية) ويعتبر اسعد بك اول طبيب اتى الى الكويت من قبل الحاكم والأهلين معاً وعمل في الكويت اكثر من سنتين.

واول مستشفى اسس في الكويت هو (المستشفى الامريكي) في عصر الشيخ مبارك سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م واول طبيب عمل بالمستشفى الامريكي (هو بنت) ثم حل محله (ملري) واول طبية هي (اليانور كالغرلي) وتسمى (خاتون حليمة) وجاءت بعدها (ميري السى) وتسمى (خاتون شفيقة).

(٤) شؤون المالية

لم يكن لشيوخ الكويت الذين قبل الشيخ مبارك واردات مالية تستحق الذكر غير ما كان يردهم من الزكاة التي كانت تجبى من البادية وما كانوا يتقاضونه من الأموال الضئيلة من التجار بنسبة ثلاثة بالماية رسم كمركي على بعض الأموال وان هذا الرسم لم يفرضه شيوخ الكويت على التجار بل فرضه التجار هم على انفسهم مساعدة للشيخ الذي لم يكن لديه يومئذ موارد تقوم باحتياجه وقد فرضت بعض الرسوم على الدكاكين ولكنها كانت تدفع جميعها الى الحراس الذين يحرسون المدينة ليلاً.

ولما تقلد الشيخ مبارك شؤون الحكم في الكويت وتوسعت مقاصده وعظمت اغراضه وازدادت نفقاته في معاركه وحروبه اسس في عام ١٣١٦ هـ ١٨٩٩ م دوائر كمارك منظمة وفرض رسوماً قدرها خمسة بالمائة على جميع ما يرد الكويت من الموانى البحرية والبرية ثم أخذ هذا الرسم يزداد على مر

الايام الى ان بلغ عشرة في المائة على بعض الأصناف من الاموال التجارية .

ثم وضع ضرائب على الدور تقضي بدفع ثلث قيمة دار كل تباع من دور الكويت .

(٥) شؤون التجارة

كانت التجارة حرة منذ تأسيس الكويت ولا دخل لاحد فيها وقد سعى الشيخ مبارك سعياً حثيثاً لانماء وتوسيع تجارة الكويت وقد عقد لهذا الغرض اتفاقية مع شركة البواخر البريطانية الهندية (**Rritish India Steam Navigation Company**) لكي ترسل الى الكويت باخرة من بواخرها في كل اسبوع لنقل الركاب وتحميل البضائع وكان بعض الاحيان يدفع اجوراً لتلك البواخر من كيسه الخاص تشجيعاً للكويتيين على ارتياد الممالك لقصد التجارة وترويج التعامل التجاري بين الكويت وبين الممالك ذات العلاقة التجارية الخاصة كايران ولهند وموانئ الخليج العربي الاخرى .

ولكن عمل الشيخ مبارك هذا اثار الدولة العثمانية لخشيتها من انقاص اهمية ميناء البصرة فقدمت احتجاجاً لتلك الشركة فعدلت الشركة موقتاً عن ارسال بواخرها الى الكويت ترضية للدولة العثمانية .

(٦) شؤون الخارجية

بعد ان تم للشيخ مبارك الارتباط بالحكومة البريطانية لم يهتم اهتماماً زائداً في امور الكويت السياسية الخارجية ولم يقم الا بتشكيل وكالة له في الهند (بمدينـــة بومبي) وكان الغرض من تلك الوكالة بذل المساعدات المادية والمعنوية – للكويتيين الذين يترددون الى تلك الاطراف بكثرة .

وفاة الشيخ مبارك

في عام ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م اثرت الشيخوخة على الشيخ مبارك فبرزت عليه علامات الضعف والانحلال فلما علم الشيخ خزعل بذلك اسرع بالحضور الى الكويت ليشرف بنفسه على حالته الصحية وما حل شهر المحرم ١٣٣٤ هـ تشرين الثاني ١٩١٥ م حتى اشتدت عليه وطأة الضعف اشتداداً منذراً بسوء المصير فارسلت الباخرة (مشرف) الى البصرة لاحضار الطبيب والادوية اللازمة وكتب الشيخ خزعل كتاباً الى الحاج عبدالعزيز السالم هذا نصه : ـ

« جناب الأكرم ذو العزة عبدالعزيز السالم البدر المحترم سلمه الله تعالى

بعد السلام عليكم ورحمة الله

بعده حضرة الاخ هليام حصل معه انحراف مزاج وصار معه ضعف قوي وتوجهت لخدمته ورأيت الاوفق مباشرة ازالة هالضعف فلهذا عرفنا قسطنطين يجي في مركب مشرف ويصحب معه الادوية اللازمة وانت ايضاً تجي معه لاجل مباشرته اوفق . والاخ من فضل الله باله زين يعقد ويأكل فقط معه ضعف قوي ودنافي ازالة هالضعف، ولا تصيرون في فكر هذا ما لزم ودم سالماً

١٨ محرم ٣٣٤ — معز السلطنة سردار ارفع

ختم

« وانا ما يمكنني اتوجه عن الاخ الا اذ كسب الصحة ومنتظرين وصول قسطنطين »

وفي ليلة ٢١ شهر محرم ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٩ تشرين ثاني ١٩١٥ م توفي الشيخ مبارك ودفن بجوار اخويه محمد وجراح في المقبرة الجديدة

وقد ترك من الاولاد الذكور ستة وهم الشيخ جابر والشيخ سالم والشيخ فهد والشيخ ناصر والشيخ حمد والشيخ عبدالله

ابلاغ السر برسي كاكس
بوفاة الشيخ مبارك

وفي صباح يوم ٢١ محرم ١٣٣٤ هـ ابرق الشيخ جابر المبارك برقية الى السر برسي كاكس يعلمه فيها بوفاة والده وتصديه لاستلام زمام الحكم في الكويت وهذا نص تلك البرقية

برقية

حضرة ذي الشوكة والاجلال سربرسي كاكس المفخم .

الوالد الشيخ مبارك توفي ليلة ٢١ محرم ١٣٣٤ هـ وها انا واقف ومتصدى لاوامر الدولة البهية وعلى كل حال انشاء الله تشاهدون منا الطاعة والخلوص وانتا بسلامتكم مستعدين الى جميع خدماتكم نلتمس وقوع انظاركم

٢١ محرم ١٣٣٤ ولي عهد حكومة الكويت

جابر المبارك

تم الجزء الثاني ويليه

الجزء الثالث

فهرست المواضيع

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرست الاعلام

– ح –

— خ —

فهرس الجماعات

فهرست الدول والحكومات

— م —

فهرست الاماكن

فهرست الصور

الاسم	رقم الصورة
السربرسي كاكس (المعتمد السياسي البريطاني في الخليج)	(١٥)
ميجر ناكس مع زوجته (اول معتمد سياسي بريطاني في الكويت)	(١٦)
الكبتن شكسبير (ثاني معتمد سياسي بريطاني في الكويت)	(١٧)
الشريف عون الرفيق (امير مكة)	(١٨)
الامير عبدالعزيز بن متعب الرشيد	(٢٠)
الامير عبدالعزيز الرشيد وفخري باشا (وكيل والي البصرة)	(٢١)
السيد رجب (نقيب اشراف البصرة)	(٢٢)
الشيخ مبارك والامير عبدالعزيز السعود	(٢٣)
الشيخ مبارك وسليمان نظيف بك والشيخ خزعل	(٢٤)
الشيخ مبارك وسعدون باشا	(٢٥)
الشيخ مبارك والشيخ خزعل	(٢٦)
الشيخ مبارك والشيخ خزعل	(٢٧)
الشيخ مبارك والسيد طالب النقيب	(٢٨)
والي البصرة سليمان شفيق والشيخ مبارك والشيخ خزعل	(٢٩)
الامام فيصل آل بوسعيد (سلطان مسقط)	(٣٠)
الامام تيمور آل بوسعيد (سلطان مسقط)	(٣١)
الشيخ عيسى الخليفة (امير البحرين)	(٣٢)
الشيخ حمد الخليفة (امير البحرين)	(٣٣)
السيد طالب النقيب (عند ولاية الاحساء)	(٣٤)
السيد طالب النقيب (في سفرته الاولى الى اسطنبول	(٣٥)
الامير عبدالعزيز السعود حين (الاستيلاء على الاحساء)	(٣٦)
السيد طالب النقيب (في مؤتمر الصبيحية)	(٣٧)
حمود بن سويط (شيخ الظفير)	(٣٨)

الاسم	رقم الصورة
الشيخ سالم الحيون (شيخ بني اسد)	(٣٩)
خالد باشا العون (شيخ الزبير)	(٤٠)
عبدالوهاب باشا القرطاس	(٤١)
احمد الصانع	(٤٢)
السيد محمد رشيد رضا (صاحب مجلة المنار)	(٤٣)
عبدالمسيح الانطاكي (صاحب مجلة العمران)	(٤٤)
الشيخ محمد الشنقيطي	(٤٥)
حافظ وهبه	(٤٦)
السيد عمر عاصم الازميري	(٤٧)
الشيخ عبدالرحمن الابراهيم	(٤٨)
ناصر المبارك الصباح	(٤٩)
حمد المبارك الصباح	(٥٠)
سالم الحمود الصباح	(٥١)
سليمان الحمود الصباح	(٥٢)
هيئة تدريس (المدرسة المباركية)	(٥٣)
هيئة تدريس (المدرسة المباركية)	(٥٤)

التصويب

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٦	٧	او او	او
١١	٦	١٢٦٩	١٢٦٢
١٥	٨	الواقعة الواقعة	الواقعة
١٨	١٨ و ٢٠	اولا	اولاد
٢١	١٢	فيشى	فينس
٤٣	١	اولاده	واولاده
٤٧	١	واعم	واعتم
٥٠	١٩	اميراها	اميراهما
٦٥	٢	نماذجاً	نماذج
٦٩	٧	نماذجاً	نماذج
١٠٤	٤	عارياً	عارياً من
١١٣	١	م	ثم
١٢٣	١٩	عاها	دعاها
١٧٤	١١	بتح	بتحر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٦	١٤	الامير	الامر
١٧٩	١٤	تشملها	تشملهم
١٨٢	١١	لاهين	الاهلين
١٨٣	٨	فيض	فيضى
١٨٥	٢٢	انه	غير انه
١٨٩	٢٣	يخبره بذلك	بذلك
١٩١	١١	بعزمه	وبعزمه
١٩٦	١٥	معة	معه
٢١٩	١٣	مزدة	مزودة
٩٢٩	١٩	ليجز	ليخبر
٢٣٠	١٣	القصير	القصيم
٢٣٢	٦	واعدى	عدى
٢٣٧	٨	الاير	الامر
٢٤١	١٧	الظير	الظفير
٢٤٢	٨	عوم	عموم
٢٤٢	٩	حتهم	جتهم
٢٤٤	١٤	امدينة	مدينة
٢٤٤	١٧	كراه	اكراه
٢٥٠	١٤	حاسب	جاسب
٢٥٣	١٩	بجميع	بجمع
٢٥٤	١٤	بنا	ربنا
٢٥٧	١٧	ععصيانها	عصيانها
٢٥٧	٢٢	الغثمانية	العثمانية
٢٦٦	٨	مي	من

شكر على رسالة

نعمة الكاتب مهما بلغ وغاية سعادته ان يتعاطف معه قراؤه فيهبوه ، إعجابهم ، وحبهم ، والكلمة الحلوة الطيبة اذا جاءت بحق كشجرة ظلالها وارقة يتفيأ حنانها الوجدان المحزوسة ممن جاءت فكيف اذا تكرم بها مثل المؤرخ الكبير البحاثة الأستاذ السيد عبدالرزاق الحسنيّ (صاحب المؤلفات القيمة الشهيرة) مشجعاً على الاستمرار في إنجـــاز بقية أجزاء (تاريخ الكويت السياسي)

واني إذ أتلقى هذه الرسالة الصدّيقة الصادقة أشكر الحسنيّ تكرمه بلفت النظر والحث على إكمال موضع أمنت بضرورة وجوده في مكتباتنا ، فله خالص حبي وإعجابي واحترامي

والله أسأل ان يوفقني لإكمال ما عقدت عليه العزم وهو المولى ونعم النصير

نص رسالة الاستاذ الحسني

ضهور الشوير يوم الخميس ٣٠ آب ١٩٦٢ .

سيدي الاستاذ الفاضل السيد حسين خلف الشيخ خزعل حفظه المعيد المبدي
طالعت بشوق واهتمام كتابكم التاريخي المفيد « تاريخ الكويت السياسي » الذي تفضلتم فبعثتم الي بجزئيه الاول والثالث واستفدت كثيراً من المعلومات والاحصاءات التي وردت فيهما ، وانا لا اشك مطلقاً في ان هذا الاثر الجليل سيلقى تقدير العلماء والباحثين من المستشرقين وغيرهم إن لم اقل انه سينقل الى لغات اجنبية مختلفة .

فقد كانت « الكويت » الى خمسين حجة خلت قرية كبيرة لا شأن لها يذكر ولا أهمية تحظى بعناية أحد حتى اذا جاهرت، المانيا بمشروعها الرامي الى ربط برلين بالكويت بسكة حديد تخترق جبال طوروس وتمر بالموصل وبغداد والبصرة وتنتهي الى هذه القرية الكبيرة المنعزلة اخذ ذكر « الكويت » يغشي الاندية والمجتمعات ويملأ موضوعها اعمدة الصحف والمجلات في مختلف انحاء العالم ولا سيما بعد انبثاق « الذهب الاسود » من جوفها .

وما زلت اتذكر اني زرت الكويت لاول مرة في مطلع عام ١٩٢٥ ونزلت في قصر السيف ضيفاً كريماً على المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح ، وتعرفت على نخبة ممتازة من علمائها وادبائها وفضلائها اضراب العلامة الشيخ يوسف القناعي والاستاذ عبد الحميد الصانع والمغفور له الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، ثم زرتها للمرة الثانية في خريف عام١٩٣٩م ، ونزلت في قصر دسمان ضيفاً معززاً على المغفور له الشيخ احمد جابر الصباح نفسه ، وكانت زيارتي الثالثة في آخر السنة١٩٥٥ حيث انزلت في قصر الضيافة على حساب دائرة المعارف وكان الفرق كبيراً بين زورة واخرى . فقد تهدّم السور الضخم الذي كان يحميها من عادية الاعداء إلاّ باباً منه ، وتحولت مراسي السفن الشراعية في القرية الى مرفأ عصري عظيم ،وساحة الصفاة ، الى عمارات شامخة ، والسوق المظلمة الى جادات واسعة ، والغفار الى مدارس ومساجد ومنتديات . اما مشروع تحويل ماء البحر المالح « الكوندنسور » الى مشروع ماء عذب زلال فمن ادهش المشروعات التي رأيتها في الشرق الاوسط .

وقد سرّني ان كل هذا ستتناوله بقية اجزاء كتابكم بالبحث والتدقيق . فالله اسأل ان يأخذ بيدكم لاتمام ما بدأتم به ، ويوفقكم لانجاز هذا المشروع التاريخي الجليل .

وفي الختام محبة وولاء واحترام من المخلص

ضهور الشوير ١٩٦٢/٨/٣٠ عبد الرزاق الحسني